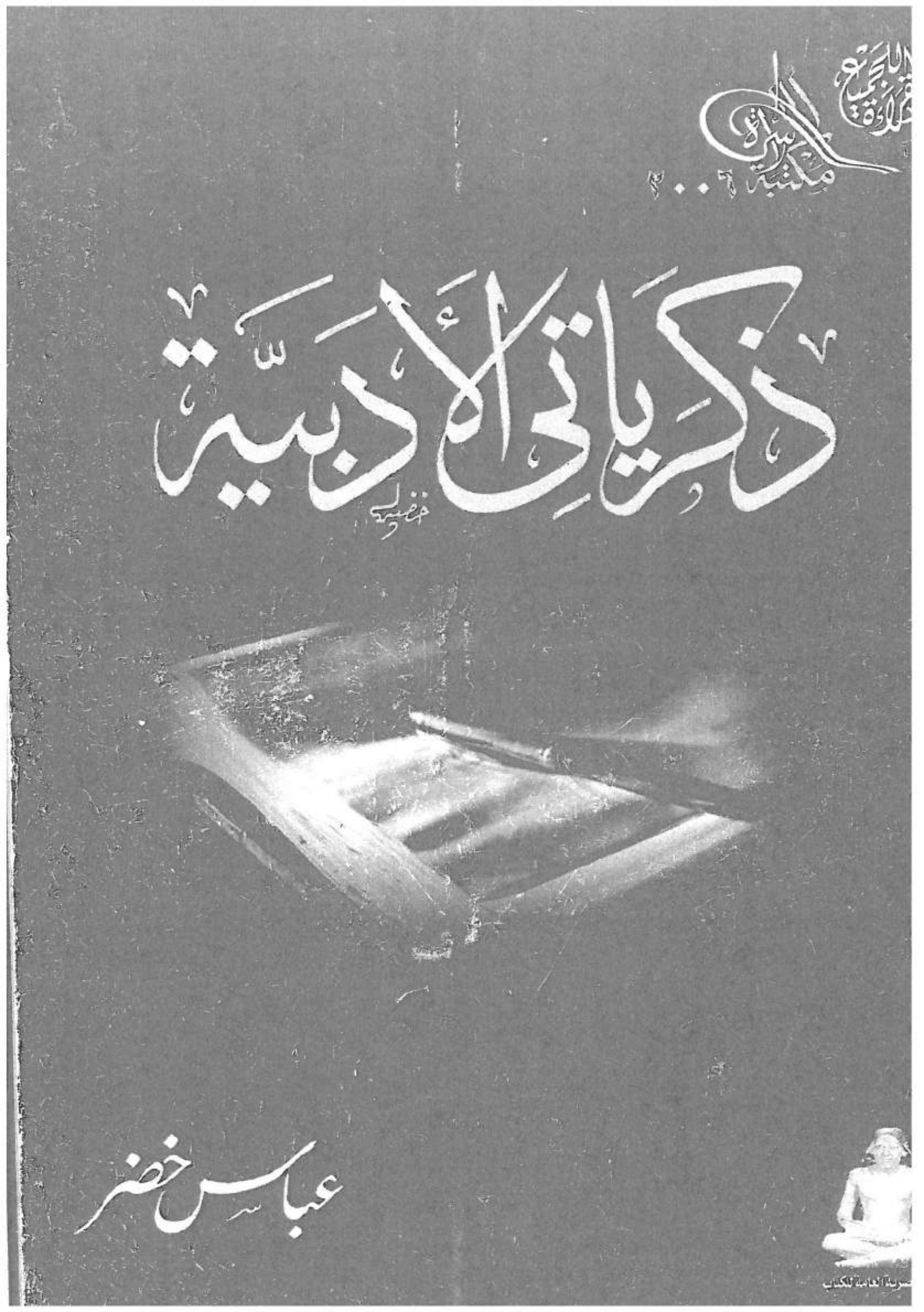

مكتبة الأسرة
٢٠٠٦
ذكرياتي الأدبية
عباس خضر

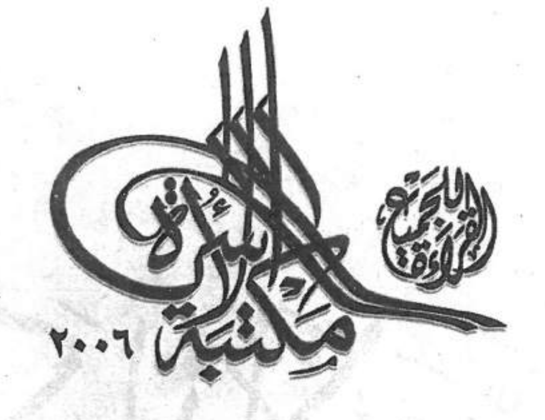


عباس خضر

« عباس إحسان خضر »
ص ١٩



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٦



٢٠٠٦

برعاية السيدة

سوزان مبارك

الجهات المشاركة

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف العام

د. ناصر الأنصارى

الإشراف الطباعى

محمود عبد المجيد

الغلاف

على أبو الخير

تقديم

منذ أطلقت السيدة الفاضلة **سوزان مبارك** دعوتها بأن «الحق فى القراءة مثل الحق فى التعليم والحق فى الصحة، بل الحق فى الحياة نفسها» ، والقارئ المصرى ينتظر كل عام **مهرجان القراءة للجميع**. وها هى **«مكتبة الأسرة»** أحد روافد المهرجان الرئيسية تكمل عامها الثالث عشر ، وقد أصبحت خلال هذه السنوات أضخم مشروع نشر فى مصر، وقدمت مكتبة عملاقة تجاوزت ٣٤٤٢ (ثلاثة آلاف وأربعمائة واثنين وأربعين) عنوانًا، من ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف) كاتبًا ومفكرًا وأديبًا، طبعت منها أكثر من ٣٩,٠٠٠٠٠٠ (تسعة وثلاثين مليونًا) نسخة بأسعار فى متناول الجميع، وذلك فى مختلف الفروع: العلوم والتكنولوچيا، والعلوم الاجتماعية، والتذوق الموسيقى، والتصوير، والمسرح، والسينما، والأعمال الأدبية الرفيعة، التى مثلت مسيرة الإبداع فى مصر والعالم، والأعمال الفكرية التى تنبذ الخرافة والإرهاب، والأعمال الدينية التى تعكس صحيح الأديان، وعيون الأدب العربى والتراث، التى تربط الأجيال الجديدة بتاريخها المضىء فى مراحله المتميزة، ورصد إسهام هذا التراث فى بناء الإرث الثقافى الإنسانى.

تنطلق «**مكتبة الأسرة**» لعام ٢٠٠٦ تحت الشعار النبيل الذى طرحته السيدة الفاضلة «**سوزان مبارك**» : ثقافة السلام، وهو يدعو إلى نشر ثقافة السلام فى المجتمع، ودعم التسامح ونبذ العنف، والتعرف على عادات وتقاليد الشعوب الأخرى، والتأكيد على أهمية الحوار واحترام الآخر، وتقديم التنوع الثقافى، ونشر المعرفة والتواصل مع الحضارات الأخرى.

تأتى «**مكتبة الأسرة**» هذا العام والعالم كله يعانى من وطأة العنف والإرهاب. ولم يعد هناك منقذ سوى مواجهة قوى الظلام بالتنوير على يد المفكرين والمثقفين والمبدعين، الذين ظل دورهم عبر التاريخ هو ترسيخ القيم العقلانية والجمالية والإنسانية، ومحاربة النزعات البدائية، التى تستخدم القوة لإشعال الحروب وتدمير البشرية وإنجازاتها.

و«**مكتبة الأسرة**» هذا العام من خلال سلاسلها المتنوعة ستعكس الدور الرائد لثقافة التسامح، التى تستطيع الحفاظ على تراث الأمة الحضارى.

وحتى نلتقى مع **مكتبة الأسرة** ٢٠٠٦ ، سنعيد إصدار نحو مائة عنوان بشكل جديد كتمهيد لانطلاقة المشروع.

ناصر الأنصارى

مقدمة

لم تخل كتاباتي النقدية فيما مضى من هوى شخصي يجنح مرة الى التحامل وأخرى الى المجاملة ، وأزعم أن الأمر كذلك في جميع الكتابات النقدية ·· اذ أعتقد أن الكاتب مهما حاول أن يكون موضوعيا متجردا ، فان النفس الأمارة بالهوى لا تدعه خالصا لهذه الموضوعية المتجردة مائة فى المائة ·

وأزعم كذلك أن الكذب ليس قاصرا على الكتابة والنقد · بل هو متفش أكثر فى حياتنا وأحاديثنا ، ولو وجد الصادق لما استطاع أن يعيش بين الناس يوما واحدا ··

وليس الصدق منجيا دائما ، كما تقول الحكمة المأثورة ، بل كثيرا ما يوقع فى المهالك و « العاقل » من يعرف متى ينجى الصدق ومتى ينفع الكذب · وليست الآفة الصدق نفسه وانما هى فى وقعه على الناس ·

هكذا الناس ··· وليت شيئا يستطيع أن يغيرهم ·

وكدت أكذب عليك فأقول أن ما اشتمل عليه هذا الكتاب كله صدق فى صدق · وقد أكذب ان قلت ان فيه كذبا ·· ولا تنتظر من ناقد أن يقول عنه صدقا ·· دع كل ذلك واعتمد على فطنتك ، ولا شيء غيرها ، أنت الذى يفهمها وهى طائرة ··

انما الشيء الذى أنا واثق به تماما ، هو أننى ـ فى هذه المرحلة من العمر ـ تخلصت من أشياء كنت أصارع من أجلها فى المراحل السابقة وبميل الى الصراع أحيانا عن الجادة ، ثم بدت لى تافهة أو سخيفة لا تستحق صراعا ولا تساوى بل لا تدانى ما يشعر به المرء فى قول الحقيقة من متعة ·

وهذه الرؤية الجديدة للأشياء تفيدنى الآن كثيرا ، فما عادت التفاهات والسخافات التى كنت أهتم بها ـ ما عادت تقلقنى أو تشغل بالى ، وفى بعض الأحيان أضبطها متلبسة بمحاولة التسلل الى نفسى ، فأردها على أعقابها خاسرة وأكسب أنا راحة البال عنها ···· كما أبقى على صفاء تحاول أن تكدره ·

وهذه الذكريات الأدبية التى تطالعك بعد هذه المقدمة لا تعد من قبيل السيرة الذاتية بمقدار ما هى حديث عن شخصيات وقضايا فكرية ، عاصرتها واحتككت بها من قريب ومن البعد على مدى نحو أربعين عاما ولا تزال بعض تلك القضايا قائمة حتى اليوم ، ولهذا امتد الحديث الى الحاضر مقرونا بالماضى ، فترى فيه الساق والفروع ، وقد ترى الثمار ولو بين السطور .

وهى ذكريات وليست مذكرات ، أى أنها تكتب الآن فتستمد من الذاكرة ، واذا كانت المذكرات التى تكتب فى وقت الوقائع أدق من جهة الحكاية عن الواقع ، فان للذكريات ميزتين تخلو منهما المذكرات ، الأولى أن مادة الذكريات هى التى احتفظت بها الذاكرة على مدى السنين الطويلة ، والذاكرة تحتفظ باللباب وترمى القشور فى الطريق ، والميزة الثانية هى اشعاع النمو من الماضى الى الحاضر ، واشعاع النظر الى الماضى فى ضوء ماجد بعده .

والحديث فى هذه الذكريات صريح غاية الصراحة كما سترى ، وأزعم أنه صادق لم يعق صدقه عائق من الأغراض التى لمت شباكى زهدا فى صيدها ، بل كان الصدق هو الصيد الذى قنصته الشباك ، وهو من المتع القليلة التى بقيت لى بعد العمر الطويل .

وسترى نفسك فى هذه الذكريات ان كنت عاصرت وقائعها أو بعضها فأنت أمام مرآة عاكسة ما علمته على فكر آخر ، وان كنت جديدا عليها فأنت أمام مرآة تعكس تلك ملامح مما سبق ، وهو وان كان غريبا عليك فليس غريبا عنك ، لأنك انحدرت من صلبه وتكونت فى رحمه ، فأنت ابن أو بنت له .

واتماما للفائدة ، كما يقولون ، الحقت بالذكريات كلمات تتصل بها أو كتبت فى جوها ، كنت أكتبها فى باب « الأدب والفن فى أسبوع » بمجلة الرسالة ، وهى تتسم بالمتابعة لما كان يجرى ، المتابعة بالتسجيل والتعليق والتقييم . وقد نقلتها كما هى ، لم أغير فيها شيئا ، لأنها مرآة لزمنها ليس فقط من حيث عكسها لصورتى الأدبية فى وقتها ، بل لأنها أيضا ذات دلالة تاريخية وبعض القضايا التى تثيرها ما تزال قائمة . ومن معالم العصر فيها الألقاب من مثل « بك » و

« باشــا » وصاحب العزة وصاحب السعادة ٠٠ الخ ولتلك الدلالة أبقيتها كما هى ٠

كذلك كان طابع العصر ، كنت أجارى فيه على كره ، فأنا بطبعى أميل الى الفطرة العربية الأولى قبل أن يطرأ عليهـا ما طرأ من العناصر الأجنبية التى من طبعها التفخيم بالألقاب ٠ ولهذا تلقيت ما جد فى حياتنا الأخيرة من نبذ الألقاب بصدر رحب ، بل بترحيب ، ومن هنا يتبين وجـه المفـارقة التى ستلحظها من تجـريد الأســماء من كل لقب فى الذكريات وأحاطتها بكلمات الألقاب فى الكتابات الأولى ٠

وكثير مما يجد فى حياتنا أفرح به ، كأنما كنت أتمناه فتحقق ، ســواء فى الناحية الثقـافية أو غيرها من ســائر النواحى حتى ما يأباه طبعى ولا يتفق مع ذوقى ، فانى أتفرج عليه كشىء طريف ٠٠٠ وأقول لنفسى : لولا أن هؤلاء الشبان يحبون هــذا الشىء الذى يفعلونه أو يتخــذونه ما فعلوه ولا اتخذوه ، فليكن لهم ما يحبون ٠

والوجه الآخر الذى أضيق به هو ما أراه من أندادى فى العمر الذين يجمدون عند ما ألفوا ويستنكرون كل جديد يأتيه شباب هذه الأيام ٠٠ وفى بعض الأحيان أشعر بالغربة بين هؤلاء وهؤلاء ، وأحتار : أين أجد الأنس ؟

عباس خضر

الفصل الأول

عندما صدرت مجلة « الرسالة » سنة ١٩٣٢ كانت أمنية تحققت ، لا أعنى أنى كنت أفكر وأتمني صدورها ، انما أقصد الشعور والسرور بمجلة أدبية يحررها أساتذة الجامعة وعلى رأسهم طه حسين ـ هكذا قيل فى الاعلان عنها ـ ويكتب فيها غيرهم من كبار الأدباء • وقد تبين بعد ذلك أن هـؤلاء ـ غير الجامعيين ـ كانوا أكثر تأثيرا واخصابا للحياة الأدبية كالعقاد والمازنى والرافعى وتوفيق الحكيم وفريد أبى حديد وسيد قطب وسعيد العريان ومحمود شاكر ومحمود الخفيف • وبصفة خاصة أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة ورئيس تحريرها •

وكان محمود الخفيف ـ عند صدور الرسالة ـ مدرسا لنا فى القسم الثانوى بالأزهر • وكنا نحن الشادين فى الأدب نكبره لأنه يكتب فى الرسالة • وكان مع ثقافته العلمية ـ خريج المعلمين العليا ـ يجيد اقتباس العبارات القرآنية فى كتابته التى تعد من السهل الممتنع •

كنت فى أواخر العشرينات من هذا القرن قد بدأت أقرأ ويتفتح ذهنى على عالم الأدب ، وكان مدخلى على هذا العالم « شواهد النحو » وهى أبيات من الشعر العربى يأتى بها مؤلفو كتب النحو شواهد على الشذوذ عن القواعد ، وأحيانا على صحتها أو دلالة على لغة من لغات العرب غير لغة قريش السائدة • كانت هذه الأبيات تثير تذوقى ، وكنت أسأل الأستاذ شرح ما غمض منها ، وكثيرا ما رددت هذا البيت معجبا ومترنما :

أيا شجر الخابور مالك مورقا　　　كأنك لم تجزع على ابن طريف

وقد جيء به فى باب المنادى شاهدا على أن غير العاقل قد ينادى ••

وكانت مجلة « السياسة الأسبوعية » ومجلة « البلاغ الأسبوعى » اللتـان تصدرهما أسبوعيا جريدتا السياسـة والبلاغ ـ كانت أهـم « المرضعات » اللائى أرضعتنا لبان الأدب •• ثم توقفتا عن الصدور قبل ظهور الرسالة بعدة سنين شعرنا فى خلالها بأزمة فى « لبان الأدب » وان

كنا نتعلل بصفحات أدبية فى بعض الصحف اليومية · على أن مؤلفات المنفلوطى كانت « المُرْضِعَ » الدائمةَ التى تأخذنا فى أحضانها بين وقت وآخر ، وان كنا نتطلع الى أحضان أخرى ···

فلما جاءت الرسالة كانت الأمنية التى اعتملت فى أعماقنا دون أن تتبلور فى الوعى الظاهر ، ثم تحققت · لم تكن مجرد مجلة أدبية ، بل كانت « حاجة » فكرية ، نطلبها فى أعماقنا أيضا ·· اذ نشأنا على حب اللغة العربية وأدبها ، ليس فقط ، بل تتلهف نفوسنا الى ما عبر عنه حافظ ابراهيم بقوله :

فارفعوا هذه الكمائم عنا ودعونا نشم ريح الشمال

كنا نتطلع الى الجديد الآتى من الشمال : من أوروبا ، وقد تلقينا منه ما بهرنا وأمتعنا · ولكن كانت تخيفنا بل تزعجنا حملات متطرفة هوجاء تهاجم اللغة العربية الفصيحة وتستهين بأدبها وتدعو الى العامية والى الارتماء فى أحضان الغرب والتجرد من كل ما هو عربى ··

كنا نريد الثقافة الأوروبية على أن نتلقاها ونحن واقفون على أرض عربية ، لا نقبل شيئا يمس كياننا وشخصيتنا العربية ، بل نطلب ونرحب بما يتآخى مع ثقافتنا ولا يتنافر مع قيمنا ·

كنا نريد أن نقطف الورد ونحاذر الشوك ·

فلما قالت لنا « الرسالة » انها « تربط الشرق والغرب على هدى وبصيرة » أعجبتنا جدا كلمتا « هدى وبصيرة » ·

وسارت المجلة المرموقة على الهدى والبصيرة ، تقدم لنا أطباقا شهية من ثقافة الغرب وقطوفا دانية من الثقافة العربية والاسلامية ، وأشرعت الأقلام فيها للدفاع عن الكيان والشخصية والقيم ، وجاست مشارط الكتاب فى جسم المجتمع المريض ··

وأردت أن ألقى دلوى فى الدلاء ، فكان حادث ··· قبل أن أحدثك عنه أعود الى الوراء قليلا · وأحب أن نتفق من الآن على أن تدعنى أعرج هنا وهناك وألتفت يمينا وشمالا ، أو أنظر ورائى ثم أتقدم الى الأمام ، غير متقيد بمنهج مرسوم ، فلا أرى هذه الذكريات يمكن أن تخضع لمنهج مرســوم ··

قبل ذلك ، أى قبل أن تصدر الرسالة وأحاول النشر فيها ، نشرت كلمات كثيرة فى مجلات وصحف مختلفة وخاصة فى الصفحات الأدبية التى كانت تنظمها الصحف اليومية ، مثل (كوكب الشرق) و (البلاغ) ، بعد توقف البلاغ الأسبوعى ·

بدات فى كوكب الشرق اعمل فى التحرير ، فكنت أصوغ الأخبار التى يأتى بها المندوبون ، وكنت أسرق للجريدة ــ وهى صباحية ــ أخبارا من جرائد المساء كالمقطم والبصير ، اذ « يُعَلِّمُ » لى عليها رئيسُ التحرير ، فأغيِّرُ العنوانَ والصياغةَ حتى تبدو فى شكل آخر كأنها مما حصل عليه مندوبنا ٠٠ وكان لجريدة (البصير) أهمية خاصة فى الصيف من حيث الأخبار ، اذ كانت تصدر فى الاسكندرية قريبة من دواوين الوزارة التى تُصَيِّفُ هناك ٠

ويظهـر أنى عوقبت على تلك السرقة ، أو المطاوعة فى تنفيذها ، برسوبى فى امتحان النقل من السنة الثانية الى الثالثة الثانوية ٠ وقد تبين والدى أنه كان يرسل الى النقود من البلد لتكون بمثابة أجر لى ٠٠ لقـاء العمل فى كوكب الشرق التى لم تدفع لى مرتبـاً ٠٠ بحجة أننى أتمرن ٠٠

ولما لم أجد للتمرين نهاية تركت الجريدة ورجعت الى اعادة الدراسة فى السنة الثانية ٠ لكى أرتزق من والدى !

وقد عرفت من زملائى بكوكب الشرق ، الذين يشتغلون بالصحافة منذ زمن ، أن « الصحافة كده ٠٠ » وأنهم لا يتسلمون مرتباتهم كاملة ولا بانتظام ، مع ضآلتها ــ من ٥ : ١٥ جنيها شهريا ــ وأحيانا تمر عدة أشهر دون أن « يقبضوا » لأن صاحب الجريدة فى الضيعة ٠٠ وهو لم يرث هذه الضيعة ، بل اكتسبها من ضيعة المحررين !

وسبحان مغير الأحوال وجاعل الصحافة الآن على عكس ما كانت ٠

على أننى كسبت فى تلك الفترة صداقة زملاء أفاضل ، هم محمد بيومى الجنيد الذى صار بعدها مدير تحرير البلاغ ، وأفسح لى مجال النشر فى الصفحة الأدبية ٠ والشاعر محمد الحناوى ــ والد الشاعر كمال ــ الذى انتقل بعد كوكب الشرق الى الأهرام ٠ ومحمد السوادى الذى كان يشرف على الصفحة الأدبية فى كوكب الشرق ، ونشر لى فيها مقالات وقصصا قصيرة ٠

ومما نشر لى فى البلاغ مقالان متتابعان فى نقد (ديوان الماحى) للشاعر محمد مصطفى الماحى ، ندمت بعد ذلك على تحاملى عليه لأنه لم يساعدنى فى الحصــول على وظيفة فى وزارة الأوقاف ــ بالشهــادة الابتدائية ــ كان مديرا عاما للوزارة ٠ وكان ذلك عقب يأسى من الصحافة كمصدر للرزق ٠

أما الحادث الذى كان ٠٠٠ عند محاولتى النشر فى الرسالة أول

مرة ·· فهو أني كتبت مقالا صغيرا عن التجديد ، وذهبت به الى ادارة الرسالة ، وكانت في مقر لجنة التأليف والترجمة والنشر التى أصدرت الرسالة فى أول الأمر باسم صاحبها ورئيس تحريرها أحمد حسن الزيات عضو اللجنة ، وهى تضم أساطين الأدب والفكر من أساتذة الجامعة ورجال التربية والتعليم بوزارة المعارف ، أمثال أحمد أمين وفريد أبو حديد وأحمد زكى ومنصور فهمى ومحمد عوض محمد وغيرهم ·

وجدت هناك أحمد أمين ، وكان الرجل الثانى في المجلة بعد الزيات، دخلت وحييت ودفعت اليه المقال واقفا وانصرفت · شاب صغير متعثر فى خطواته تهيبا للمقام ، لا داعى لأن يقال له تفضل أو حتى اجلس ·· تكفى هزة من الرأس المفكر الكبير ·

وانتظرت أسابيع ، ثم لمحت فى المجلة وأنا أتصفحها وقلبى يدق سريعا ·· لمحت عنوانا يشبه عنوان مقالى ، وليس اياه : التجديد والمجددون · لعله غيره ، لا بأس ، ولكن سرعان ما لمحت تحت العنوان : « للأستاذ أحمد أمين » ·

وكتب أحمد أمين أربع مقالات فى أربعة أعداد متتالية ، عالج فيها هذا الموضوع علاجا حسنا ، وكان محوره أن التجديد فى ذاته مطلوب وأنه علامة الحياة الراقية ·· الخ ولكن عندنا جماعة من الأدباء يدعون التجديد ويأتون بأشياء لا تعد من التجديد الحقيقى ووصف مظاهر هذا الادعاء بسخرية واستنكار ، وهو المعنى العام الذى قصدت اليه فى مقالى وكان عنوانه (أدعياء التجديد) غير أن مقالى كان مملوءا بالشتائم و « مفلفلا » أكثر من اللازم ·· على حين كان مقال الأستاذ يسخر فى هدوء ويناقش فى منطق وفكر لم أبلغ مستواهما ·

وذهبت اليه بعد أن انتهت مقالاته أسأله عن مقالى ، ولم يفتنى أن اذكر أننى أتيت به قبل أن يكتب هو فى الموضوع ·· فقال فى شبه غضب : ماذا تعنى ؟! وأنكرنى قائلا انه لم يأخذ منى أى شىء ولا يذكر انه رآنى قبل ذلك ··

خرجت منكسرا ساخطا فى نفسى ، لم أرد عليه بشىء بعد ذلك الانكار ، وكنت مع ذلك أشعر فى أعماق نفسى بالرضا ، اذ خطر لى موضوع خطر لهذا الأستاذ الكبير ، وكتبته كما كتبه · حقا لم أتناوله باقتدار ، ولكن يكفيك فخرا ــ كما قلت لنفسى ــ أنك شاركته فى الهدف وفكرت مثل تفكيره ·

لا أذكر هذا الحادث للغض من شأن الأستاذ أحمد أمين ، وانما

لأثره في نفسي ، على أنه مما ينبغي ذكره أن أولئك الأعلام لم يخرجوا عن كونهم بشرا يخطئون وليسوا منزهين عن الهفوات ، وهفواتهم لا تتعارض ولا تمنعنا من تقديرهم والاعتراف بفضلهم .

وقد أعجبت بأحمد أمين فى تناوله لموضوع التجديد تناولا موضوعيا متزنا على طريقته فى تناول الموضوعات والقاء الضوء على نواحيها المختلفة، وجعلت أوازن بين ما كتبته وما كتبه موازنة خرجت منها بمثل ما يستفيد المتعلم من المعلم ، وأغلب الظن أن مقالى الصغير أثار فى نفسه الفكرة ورأى أنها تحتاج الى معالجة أخرى غير معالجة هذا الناشىء الذى لا تزال أمامه الفرص لكى ينضج ويبلغ مستوى النشر فى الرسالة .

وقسرت نفسى على أن أقرأ لأحمد أمين برغم غضبى منه ، وتعلمت من ذلك أن انفعالى من سوء معاملة الكاتب شىء ، وقراءتى له شىء آخر ، لا ينبغى أن يمنع الأول من الثانى . وعلى العكس قد أحب شخص أحد ولا أحب أن أقرأ له ..

وقد التقيت بأحمد أمين بعد ذلك وسرتنى منه أشياء ، كانت وزارة المعارف قد عهدت اليه فى جمع ديوان حافظ ابراهيم والاشراف على تحقيقه وكتابة دراسة عنه ، واشترك معه فى هذا العمل المرحوم أحمد الزين وابراهيم الابيارى ، وقدمنى اليه الزين لكى أساعد فى جمع الشعر من الصحف التى كان ينشر فيها ، فكنت أكتب عن كل قصيدة بطاقة تتضمن عنوانها ومطلعها واسم الصحيفة المنشورة فيها وتاريخها . وكانت فرصة طيبة اطلعت فيها على الصحف القديمة وسعدت بمعرفة كثير مما كان ينشر فيها . رأيت مثلا كيف وضعت كلمة « سيارة » مكان « أتوموبيل » وضعها (أحمد أفندى زكى المترجم بنظارة المعارف) وهو الذى عرف بعد ذلك بشيخ العروبة أحمد زكى باشا .. وعارضه فيها كثير من الكتاب واللغويين ، وأيده القليل ، وبرغم ذلك سارت حتى يومنا هذا وستظل سائرة .

ورأيت أول ما نشر بتوقيع (عباس محمود العقاد) وكان فى جريدة المؤيد سنة ١٩٠٥ ونصه : « راسبو الابتدائية هذا العام مدعوون الى الاجتماع بحديقة الأزبكية بجوار كشك الموسيقى فى الساعة الخامسة مساء والرجا عدم التخلف للأهمية » .

وواضح أنه كان من أولئك الراسبين ، ويبدو أنهم كانوا يريدون عقد دور ثان لامتحانهم .

وقال تعليقى على ذلك فى باب (الادب والفن فى أسبوع) بالرسالة بدء مناوشات بينى وبين الأستاذ العملاق ، أرجىء ذكرها الى سياق آخر من هذه الذكريات .

والى جانب اطلاعى على تلك الطرف أغرقت همومى فى بحار الصحف القديمة ، وان كانت هذه الهموم قد استفحل أمرها لما مضت الأيام وطالت المدة ولم «أقبض» لأن الوزارة انما تصرف أجر العملية كلها بعد انتهائها .. وأبت « بدلتى » التى تقتبس من صفات الله تعالى « الوحدانية والقدم » أن تخضع لروتين الوزارة .. فانفجرت ثورتها فى « المنطلون » عند الركبة ، واستعصى الانفجار على « الرتق » اذ رق النسيج ولم يتحمل جولان الابرة فيه .. واندلع لهيب الثورة الى باقى المطالب من مسكن ومأكل ... الخ .

وطلبت الأجر فى استحياء .. ولم يستعص الحل على عقلية الأستاذ الكبير أحمد أمين وحسن تصرفه ، فقد أمر (عبد المتعال أفندى) كاتب لجنة التأليف والترجمة أن يصرف لى « سلفة » من اللجنة .

أخذت « السلفة » وأسرعت أول شىء الى محل (أفرينو) واشتريت « بدلة » جاهزة بخمسة جنيهات من صوف انجليزى ، ولم يكن هناك فى ذلك الوقت صوف مصرى . وخلعت الثائرة فى المحل وراء « البرفان » ولبست الجديدة وخرجت أعدو خشية أن يلحق بى أحد من المحل حاملا الى البدلة القديمة التى تركتها هناك فرحا بالتخلص منها .. راجيا ألا تكون كحذاء أبى القاسم المشهور ..

ومضت مدة بعد انتهاء العمل فى ديوان حافظ ولم تصرف الوزارة مكافآت الذين عملوا فيه ، وأنا منهم ، ولقيت صديقى اسماعيل كامل وكان رحمه الله أديباً موظفاً بحسابات وزارة المعارف ، فبادرنى قائلا : تعال ، لك مبلغ عندنا مستحق الصرف .. وأقسم : لن تخرج من هنا الا ومعك الشيك .. وكنت فى مكتبه . وبهمة الصديق استقر فى جيبى شيك بثلاثين جنيها ، هى مكافأتى على ذلك العمل ، وكان لابد أن أرد « السلفة » ومقدارها عشرة جنيهات ، فذهبت الى لجنة التأليف وقابلت أحمد أمين وأعطيته المبلغ ، فنظر الى بوجه لم أره من قبل .. وكم سعدت بمنظر هذا الوجه الذى تلوح عليه سمات التقدير والاحترام ، كان فى الموقف شيئان يستحقان ذلك ــ ولا فخر ــ الأول : استطاعتى أن أصرف مكافأتى وهو صديق الوزير وقد كلمه غير مرة فى صرف المكافآت عن ديوان حافظ ، ولا يزال « الورق » يتلكأ فى حسابات الوزارة .. ولولا

خجله لقال لى : اعمل معروفا ، كلم لى صاحبك ٠٠ الأمر الثانى : أمانتى أو قل اسراعى برد القرض ٠

وأحسست لأول مرة أن الأستاذ الجليل يشعر بوجودى ٠٠ وكلما لقيته بعد ذلك أقبل عليَّ بذلك الوجه الباشِّ ، وكان ضنيناً به ، ربما للكآبة التى كانت من طبعه وتكسو وجهه ، وربما لازدرائه التفاهات والأباطيل ٠

قال لى مرة كلمة كان لها فى نفسى فعل السحر ٠٠ اذ رآنى فى كازينو المعادى الذى كان مقاماً على النيل ، فقال لى :

— هل تجىء الى هنا كثيرا ؟

— نعـــم ٠

— هذا هو السبب فيما تكتب !

وكنت اذ ذاك أحرر باب الأدب والفن فى الرسالة ٠

وقبل أن ننتهى من الحديث عن العمل فى ديوان حافظ ، أذكر أن ابراهيم الابيارى دعانى الى منزله لكى نراجع معا بعض القصائد والبطاقات، وكنا فى شهر رمضان ، فقلت له : سأجىء اليك بعد المغرب ، فقال : قبل المغرب ، وعزم وشدد ، فقبلت ، وتناولت معه الافطار على مائدة حافلة بما كثر وتعدد وطاب ، وعرفت أن صاحبى « برجوازى كبير » وان كانت مائدته لا تقل شأنا عن مائدة « أرستقراطية » اشتهرت بالعدس الأباظى ٠٠ دعانى اليه الأديب الناشىء — اذ ذاك — ثروت أباظة ٠

أريد أن أقول : إنه لا المائدة البرجوازية والا الأرستقراطية أثمرت فى ٠٠ وكان لذلك حكايتان : دخلتُ على الزيات فى مكتبه بالرسالة ٠ وجلستُ إليه كعادتى ، فابتدرنى بسؤال غريب بُهِتُّ له :

— تعرف تقرأ عربى ؟

— وماذا أقرأ إذن ٠٠ ؟

— يعنى تعرف ٠٠ خذ ، اقرأ ٠٠

ومد لى يده بمجلة الثقافة مفتوحة على مقال بعنوان (أحمد الزين) لإبراهيم الأبيارى ، وكان صديقنا الزين قد توفي منذ أسابيع ٠

ابتدأت أقرأ المقــال ، وجفلت أول ما رأيت ، فقال الأســتاذ كأنه يتحدى :

ـ مالك سكت ؟ اقرأ ..

قلت وأنا أشعر بما كنت أشعر به فى (الكتاب) أمام سيدنا :

ـ حاضر ، سأقرأ .

« أليلت أذاع بلبالة صدرت بها فما تنفست حتى أصبحت » .

كان هذا مطلع المقال .. و « البلبالة » هى الهم الذي كان بمثابة الارهاص للعلم بوفاة الصديق المرثى . فقد قال الابيارى فى فقرة أخرى ينبىء بأنه ذهب الى دار الكتب حيث كان يعمل الزين ، فقابله البواب وأبلغه وفاة أحمد الزين :

« وابتدرنى البائب (البواب) ونعى الى « أحمد » وما أحمد .. » .

وكتبت أنقد هذا المقال وسألت الابيارى فى خلال النقد : ماذا فعل الزين حتى تعاقبه بهذا الرثاء ؟ أو هكذا يكون وفاء الأصدقاء ؟ الى آخر ما قلت مما لم أرع فيه مقتضيات تلك « العزومة » .

ولما التقينا بعدها ، ابراهيم الابيارى وأنا ضحكنا .

أما الحكاية الثانية فان ثروت أباظة ـ بعد العزومة ـ دعانى الى « بنوار » فى مسرح الأوبرا لكى نشاهد مسرحية شعرية لعمه الشاعر المرحوم عزيز أباظة . وكتبت عن المسرحية بما أرضى ضميرى وأغضب صديقى ، اذ لحظت فتورا غير معتاد بدا عليه ، فقلت فى نفسى : لاعلى ، فثروتْ لا يزالُ صغيراً ، وسيكبر وتتسع تجاربه الأدبية ويعذرنى ، وقد كان ، واستمرت صداقتنا ، وان كان لم يثن « العزومة » بعدها ..

رأيت (ثروت) أول مرة وهو صبى صـغير تلميذ فى المدرسـة الابتدائية ، وكان يدرس له اللغة العربية فى منزل المرحوم محمد مصطفى حمام ، وذلك عندما ذهبت بصحبة صديقى الأكبر الشاعر أحمد الزين الى منزلهم حيث كانت هناك ندوة أدبية يتصدرها والده ـ والد ثروت ـ ابراهيم دسوقى أباظة باشا ، وأظنه فى ذلك الوقت كان لا يزال «بك» .

كان ذلك الرجل أديبا بطبعه من نوع آل تيمور : الباشا الكبير أحمد وابنه محمد ومحمود ، ناس أغنياء ينحدرون من أصول غنية ، ولكن الطبيعة الأدبية تغلب عليهم ، فينجذبون الى الأدباء على اختلاف طبقاتهم ، ويؤثرون صداقاتهم ومجالساتهم ، ويجدون فى مخالطتهم المتعة الفنية والتجاوب الأدبى الذى يفتقدونه فى طبقتهم .

رأيت ثروت يتسلل الينا فى « الصالون » ويتسمع ما يدور من مناقشات فى اللغة والأدب ، وأذكر أنه دارت مناقشة فى كلمة« صبايا »

جمع صبية ، وأنكر أحمد الزين هذا الجمع ، وقال بصحته ابراهيم دسوقى أباظة ، ثم انتهت المناقشة ، وكل متمسك برأيه . وفى اليوم التالى ذهبت الى الزين فى مكتبه بدار الكتب ، واذا بَرْقية تَرِدُ إليه من إبراهيم دسوقى أباظة ، هذا نصها : .

(صبايا زين يا زين)

ومعنى هذا أنه راجع الكلمة فى كتب اللغة وتحقق من صحتها ، ولكن الزين تضايق ـ بغير حق ـ وقال : هؤلاء الناس لايشغلهم شىء .. شغل ذوات ياأستاذ ! .

وكان دسوقى أباظة « ذواقة » للشعر بصفة خاصة ، حدث فى مهرجان أدبى كان يشرف على تنظيمه ـ وهو وزير المواصلات ـ أن تلقى قصيدة من فتاة تريد أن تلقيها فى المهرجان ، وكانت الفتاة متصلة بالشاعر ابراهيم ناجى ، قرأ الوزير الأديب القصيدة ثم قال منفعلا : « لا .. قولوا لابراهيم ناجى اما أن يأتى ويلقى شعره بنفسه أو .. يسكت ! »

ويظهر أن دسوقى أباظة لم يكن « ذواقةً » للطعام كما هو فى الشعر .. فقد رأيته فى تلك « العزومة » يجلس معنا على المائدة الطويلة، منفردا بطبق خضر مسلوقة دون أن يثير شهيته ما وُضعَ أمامنا من عدس نستخرج منه قطعا من لحم الديك الرومى ، وقد تَعْثُرُ الشوكةُ فيه على فرخ حمام .. والذى لا يعرف يقول : عدس !

وكان مصطفى حمام على عكس دسوقى أباظة فى تذوق الطعام ، فقد كان وَحْيُ الشعر لا يأتيه ـ كما قال لى مرة ـ على أروع ما يكون الا وهو على المائدة .. كان مرة فى احدى هذه « العزومات » وكان معه الشاعر محمود غنيم . وقبل الغداء تحفز شيطان غنيم فهجا حمام بأبيات مقذعة . ولم يستطع حمام أن يرد عليه ، فقال له أحد الحاضرين : هكذا يغلبك الأستاذ غنيم ! فقال حمام : انتظر حتى يحضر الغداء وسأريه كيف يكون الهجاء !

والمسألة عند حمام ليست مجرد طعام ، بل لابد أن يكون فى « عزومة » يحدث مثلا أن يكون مسافراً الى الاسكندرية ، وفى القطار يلتقى بصديق من طنطا ، فيعزم عليه أن ينزل معه فى طنطا ، فينزل ويلغى التذكرة ويقطع غيرها بعد « العزومة » ويستأنف السفر .. وتقول له : ان ثمن التذكرة يمكنك من الأكل فى أفخر مطاعم الاسكندرية ، فيقول لك : هذا مزاجي يا أستاذ !

وكان مصطفى حمام أديباً من نوع فريد لا مثيل له بين الأدباء ، كان عنده من الأدب أكثر مما كتب ·· اذ كان يملأ به المجالس ولا يكتبه ·· لا أنسى ليلة قضيناها فى (فيلا الزيات) بكفر دميرة بلد الزيات ، قريبا من مدينة المنصورة · وكنا قد حضرنا حفل تأبين الشاعر على محمود طه بالمدينة ، ثم توجهنا الى « الفيلا » بصحبة مضيفنا وأستاذنا فى سيارته ، كان الركب يتكون ـ غير الزيات ـ من أنور المعداوى وحبيب الزحلاوى ومصطفى حمام وصاحب هذه الذكريات الباقي منهم على قيد الحياة ·· ولا يعلم أين الآن حبيب الزحلاوى وقد خرج من مصر منذ سنين ، وقيل انه هاجر الى أمريكا ·

تعشينا عشاءً فاخراً « انسجم » منه حمام ، وراح يمتعنا بأدبه وظُرَفِهِ إلى ساعةٍ متأخرةٍ من الليل ، ولما أصبحنا وتناولنا الإفطار و « انسجم » حمام من عسله وقشدته وفطيره و ·· الخ ـ تطلع إلى المائدة الحافلة وقال بلهجةٍ مفاجئةٍ أضحكتنا : « ملعون أبو الذوات ! » وأردف : « الأديب يستطيع أن يكون « ذوات » ولكن « الذوات » لايستطيع أن يكون أديباً ·· » ·

كانت كلمة (الذوات) عنده مقرونة بكلمة (العزومات) الفاخرة ··

وكانت تلقائيته وصراحته من عناصر ظرفه وخفة ظله · كنا يوما فى (استديو) الاذاعة الخاص بالبرنامج الثانى لتسجيل كلمات فى ذكرى أحمد شوقى · اقترب منى قائلا : هل أسمعك شعرا لشوقى لم ينشر ·· قاله فى حبيبات لم يعرفن ! قلت : هات ما عندك · وأسمعنى ·· فنظرت اليه مستريبا وقلت : هذا شعرك يا حمام ؟ سكت ، فقلت : وهؤلاء الحبيبات من بنات أفكارك ·· وهى فعلة من فعلاتك ! فقال فى همس : استرها على حتى أسجل وآخذ القرشين ··

وكان فى وقت من الأوقات يعمل محررا فى (الأساس) جريدة السعديين وفى جريدة وفدية معا · ومرة كان خارجا من جريدة الأساس فقيل له : الى أين ؟ قال فى صراحته الظريفة : « ذاهب الى حيث أرد على مقالتى فى الأساس » وكانت المقالات طبعا بدون توقيع · رحمه الله وغفر له ·

ونصل ما انقطع ، فنعود الى ما كنا فيه ، ولكن ماذا كنت أقول ؟ آه ، كنت أقول اننى عندما لقيت أحمد أمين فى كازينو المعادى وقال لى تلك الكلمة الطيبة كنت أحرر باب الأدب والفن فى الرسالة · مجلة الرسالة

بدأت الكتابة المنتظمة أسبوعياً فى ذلك الباب سنة ١٩٤٧ ، وسبقت

ذلك – فى علاقتى بالرسالة – أطوار .. لقيت فى أثنائها زكى مبارك وقد جاء يوصينى بالعناية بتصحيح مقالاته ، اذ كنت فى طور من تلك الأطوار مصححا لمجلة الرسالة . حكى لى زكى مبارك نكتة .. قال ان بعض المتزمتين فى اللغة أخذ عليه استعمال كلمة (التطور) لأنها لم ترد فى اللغة بهذه الصيغة ، انما وردت كلمة أطوار كما فى قوله تعالى : « وخلقناكم أطوارا » قال وهو يضحك : خلقنا الله أطوارا .. ولهـذا لا نتطور ! فضحكت معه مجاملة .. كان زكى مبارك ظريفا فى كتابته ، ولكن ميله فى الحديث العادى الى التعاظم لم يكن يساعده على الالقـاء الظريف للفكاهات . ومن المفارقات فى شخصيته أنه كان عنيفـا فى مناقشاته وحملاته القلمية ، ولكنه فى التحدث مع الناس لم يكن كذلك ، بل كان يتلطف برغم ذلك التعاظم ..

كان يهتم جد الاهتمام بأن يحمى بقلمه وبمنتهى العنف القدر الأدبى الذى استحقه بجدارة ، وأن ينتزع تقديره ومكانته من براثن الحاقدين والجاحدين والموتورين من لذعات قلمه ، ولكنه مع الآخرين لا يشعر بحاجة الى شيء من ذلك . وقد نالني رشاشٌ من لذعاته جزاءً وفاقاً على بعض ما كتبتهُ عنه بدافع الرغبة فى النِّطاح ! ولم يكن يدع شيئاً يمسه من كبير أو صغير مثلي ..

أما أطوار علاقتي بالرسالة فهى أولاً محاولتى النشرَ فيها التى عرفت أولها ، وقد تعلمت من تلك المحـاولة أو التجربة أن أَتريَّثَ وأُعِدَّ نفسِي للكتابة فى الرسالة .

حقاً كتبتُ ونشرتُ قبل ذلك ، ولكن أحسست أن الرسالة شيء آخر ، على أن أستعد لها وأصعد إليها سُلَّماً ليس ارتقاؤه سهلاً .

وأذكر أنه مما ساعد على نشر كتاباتى فى الصحُف والمجلات تَمَرُّني فى الصحافة ، اذ تعلمتُ منها اختيار الكلمـات الدالة والصياغة التى تتدفق فى يسر من غير لف ولا دوران لتأخذ طريقها فى انسيابٍ إلى أفهام القراء على اختلاف مستوياتهم ، مع الإحكام وعدم الابتذال . ولم تقف هذه الاستفادة عند ذلك البدء ، فقد عاودتُ العملَ الصحفيَّ مراراً على مدى العمر الشقيِّ الباقي ..

ومزجتُ ذلك بما قرَّ فى أعماقى من التأثر بأساليب الكُتَّاب العرب مثل ابن المقفع والجاحظ ، ويأسرنى السياق الممتع فى كتاب (الأغاني) للأصفهانى .

وفوق كل ذلك ، كتابات المنفلوطى التى كنتُ « أرتلها » فى نفسى بالتقديس والاجلال . وبدأت محاكاته وخاصة فى موضوعات الإنشاء المدرسية ، ومما كنتُ أصنعه أن أُدَوِّنَ فى «مذكرةٍ» العباراتِ التى تعجبنى من كتابات المنفلوطى ، وأضع المذكرة فى جيبى وأنا أشعر أنها نقود أنفق منها فيما أحتاج إليه .

ولا أظننى بحاجةٍ إلى أن أقولَ: إن ذلك كان فى البداية فقط ، فلابد أن تكون للكاتب شخصية متميزة وأسلوبه الذى هو هو .. ولكن لابد أن يتكون من منابع ويتقوى بروافد حتى يتم تمامه ويجرى جريانه .

واستمر انتظارى واستعدادى للنشر فى الرسالة ، حتى جاءت الفرصـــة .

وفى الفصل التالى نبدأ ـ ان شاء الله ـ بالحديث عن هذه الفرصة .

الفصل الثانى

تداعى كبارُ الشعراء فى مصر – سنة ١٩٣٦ – إلى « موسم » كالمواسم التى كان يقيمها الشعراء العرب الأقدمون فى سوق عكاظ وغيره ، وكان موسم شعراء زماننا فى دار جمعية الشبان المسلمين بشارع الملكة نازلى الذى هو الآن شارع رمسيس .

وحضرتُ الموسم الذى عقد فى يومين متتاليين وجمعتُ القصائد التى نشرتْ كلها فى جريدة الأهرام يتصدر معظمها فى الصفحة الأولى ، فقد عقدتُ العزم على أن أضع هذه القصائد فى ميزان النقد ، وجعلت العنوان : (شعراء الموسم فى الميزان) .

وذهبت بالمقالة الأولى الى (الرسالة) وكان قد استقل بها الزيات منفصلا عن لجنة التأليف والترجمة التى أصدرت فيما بعد مجلة (الثقافة) لتنافس بها الزيات ومجلته .

وأعطيت المقال للفراش وانصرفت دون أن أسأل عن « الأستاذ » فلم أكن أنوى مقابلته ، خشية أن يستصغر شأنى ، إذ يرانى صغيراً لم يتأهل للكتابة بعد .

ونشر المقال الأول من سلسلة (شعراء الموسم فى الميزان) التى كانت أربع مقالات وكتب تحت العنوان « للأديب عباس حسان خضر » اذ كنت أوقِّع كتاباتى الأولى بالاسم الثلاثى ، ووقعت بعضها بالاسمين الأولين فقط ، وكان الكتاب فى الرسالة على درجتين : مبتدىء ويوضع تحت عنوان مقالة « للأديب » ومتمرس ويوضع تحت عنوانه « الأستاذ » .

وأسرعتُ بالمقال الثانى ثم الثالث ثم الرابع ، ونشرت كلها فى أعداد متتالية . ورأيت – عند تقديم المقال الرابع – أن أجازف بمقابلة الأستاذ

.. أخذ المقال من يدى وأنا واقف أمام مكتبه ، وتناول النظارة من على المكتب ونظر فيه ، ثم رفعها وقال لى :

ـ أنت !؟

ـ نعـــم ..

دُهش أولاً ، ثم هش ودعاني الى الجلوس . وسألنى عن نفسى ، وأجبت . ثم حييت وانصرفتُ وانطبعتْ له فى نفسى صورة مُريحة .

تناولت فى كل مقال بضعة شعراء بترتيب الحروف التى تبدأ بها أسماؤهم وان كان الكلام كان منصباً على القصيدة التى ألقاها الشاعر ، وكانت كل قصيدة ذات موضوع خاص ، فلم يكن للموسم موضوع معين ، ولعلها كانت قصيدة واحدة التى لم يكن لها موضوع واحد ولا عنوان ، وهى قصيدة (أحمد نسيم) وكانت على قافية اللام ، فسميتها « لامية نسيم » وأذكر أنه بدأها بالغزل على الطريقة القديمة فذكر الأطلال وآثار الديار ، وعِبْتُ عليه ذلك من حيث أنه محاكاة للأقدمين وليس تعبيراً عن مشاعره الخاصة ، وأذكر مما قلته أنه لو تغزل فى شعرة من شعر حبيبة كانت أرسلتها اليه أو فى صورة فوتوغرافية لها لكان ذلك أدنى الى الصدق وألصق بالمعاصرة .

على أننى فى ذلك الوقت ـ برغم قراءاتى فى الأدب الحديث عربياً وأجنبياً ـ لم أكن تخلصت تماماً من الأفكار القديمـة الكلاسيكية التى لا تناسب العصر ، فقد هاجمت فى تلك المقالات ابراهيم ناجى وأحمـد رامى وغيرهما من الذين كانوا يطلقون لشاعريتهم الخيال الى أبعد مدى ويأتون بتعبـيرات غير مألوفة ، ونال ابراهيـم ناجى من ذلك القسـط الأوفر .

وكنت متأثرا فى ذلك بمجالسة شعراء محافظين مثل محمد الهراوى ومحمد الأسمر وأحمد الزين وكامل الكيلانى ، وكان هؤلاء ينقدون فى مجالسهم المجددين ويتندرون عليهم ويسخرون من تعبيرات يروونها من أشعارهم ، كان أكثر المستهدفين لذلك من المجددين زكى أبو شادى ، وكان كامل كيلانى خاصة يناصبه العداء الأدبى ويندد به .

وكان أولئك الشعراء المحافظون يجتمعون دائما فى قهوة الحلمية . وكنا نحن الشبان الناشئين ـ نأخذ مائدة قريبا من مائدتهم ، وكثيرا ما كان يَتّحِدُ المجلسان بفعل الجاذبية الأدبية ، وأذكر من أصدقاء الصبا

فى هذه الندوة طاهر أبو فاشا ورفعت فتح الله ومحمد شوقى أمين وشباباً آخرين كانوا متفتحين واعدين ، ولكن الحياة ابتلعتهم ، وبعضهم ابتلعه الموت .

وكان يقصد ندوة الحلمية كثير من الأدباء شيوخاً وشباناً مجددين ومحافظين .

وقد وصفتُ محمد الهراوى ـ فى مقالات الموسم ـ بأنه « زعيم المحافظين » وكانت هذه الكلمة مشهورة فى وصف (تشرشل) زعيم حزب المحافظين فى انجلترا . وعقب ذلك كنت جالساً مع الهراوى على طوار قهوة الحلمية حوالى الساعة الخامسة مساء قبل أن يلتئم شمل أدباء الندوة ، واذا رجل معمم يخب فى الجبة والقفطان يقول من بعيد كأنه ينادى :

ـ سلام عليكم يا شيخ المحافظين ..

فالتفت الهراوى نحوه وضحك رافعاً صوته :

ـ الشيخ أبو العيون .. ؟ أهلا ، تعال ، تفضل (مشيراً الىَّ) هذا هو الذى كتب ذلك ..

وكان الشيخ محمود أبو العيون من علماء الأزهر القلة الذين يشاركون بأقلامهم فى الشئون العامة بالصحف ، بل كان ينفرد بسمات خاصة ، واشتهر بمقالاته ضد العرى على البلاجات فى المصايف ، واحتلت صورته الكاريكاتيرية مساحات من المجلات فى وضع العدو الأول اللدود للمايوه .. ولهذا كان عجبى شديداً عندما كنت مرة فى مقر جمعية ، وكانت تتصدر المجلس أديبة معروفة لها صوت موسيقى جميل فى التليفون .. وقالت لنا تريد أن تزيد أنسُنا وسرورنا بمجالستها فى ذلك الوقت الذى كان يندر فيه وجود المرأة مع الرجال فى مثل ذلك المجلس .. قالت وهى تبتسم ابتسامة رقيقة :

ـ اسمعوا ياولاد .. أجيب لكم الشيخ أبو العيون !

وكان من « الأولاد » عبد الله شمس الدين صاحب نشيد الله أكبر ، وشاب تزوج الأديبة فيما بعد .

دهشنا .. وأسكتتنا الدهشة .. ولم تنتظرْ إجابة منا ، فامسكت التليفون ، وتحدثت مع الشيخ قليلاً وقالت له : عندى لك مفاجأة ، تعال حالا ..

ولابد أنه كان لابسنا وعلى وشك الخروج ، اذ أقبل بعد قليل واستقبلناه بالحفاوة والاحترام ولما صافح أديبتنا قال لها فى لهجة ظريفة :

ـ ازيك يابت ؟

وأغرقنا الشيخ أبو العيون فى جو من المرح والدعابة المهذبة ·· وكانت المعجزة ـ فى نظرى ـ أن يجتمع فى هذا الشيخ الفاضل الوقار والتنزه عن الإسفاف مع الظرف وخفة الظل ·

ونعود الى قهوة الحلمية حيث كنا مع الهراوى ·· سلم علينا الشيخ أبو العيون واقفا واعتذر من عدم الجلوس ومضى فى طريقه · وبعد مدة أقبل محمد الأسمر الشيخ « المودرن » والشاعر الرقيق ، وبادرنى قائلا فى أهمية :

ـ أين أنت ؟

ـ ·····

ـ يالله ·· بسرعة ·· اركب « أتوبيس ٤ » واذهب الى الاذاعة !

شعرت كأنه يخاطب شخصاً آخر ·· فما لى أنا وللاذاعة ، ولماذا حالا ·· الخ ؟

ولم يدعنى فى دهشتى :

ـ عزيز رفعت يريد لقاءك ··

آه ·· تذكرت ، عزيز رفعت الشاعر ، أحد شعراء الموسم الذى قلت عنه انه متشاعر ··

وقال الأسمر :

ـ لك عنده حديث ·· لقد أقسم انه لم يهمله ، ولكنه متأثر منك ·· على كل حال لا شىء وكن لطيفاً معه ·

وعلى باب مكتب عزيز رفعت رئيس القسم الأدبى بالاذاعة التى كانت تديرها شركة ماركونى الانجليزية ـ استقبلنى السكرتير ، الشاب (على خليل) الذى صار من أساطين الاذاعة بعد ذلك · وحدد لى موعدا ألقى فيه الحديث على الهواء ، فلم يكن وقتذاك تسجيل للأحاديث ، ولما عدت تلك الليلة الى ندوة الحلمية : قسم الشباب ـ تصدرت المجلس ·· وأنصت الجميع باهتمام الى النبأ العظيم ·· عباس سيلقى حديثا فى الاذاعة ! ودفعت المشروبات ·· كان (الطلب) بخمسة مليمات ، ونفحت رمضان

الجرسون عشرة مليمات ووعد بأنه سيهتم باعداد (الراديو) فى القهوة فى ميعاد الحديث . قال ذلك وهو يرفع صوته :

– « شيشة وشاى للشيخ شـوقى » ..

والشيخ شوقى (قلب أفندى) بعد ، وصار محمد شـوقى أمين أفندى ، وكان الشيخ حسين والى عضو المجمع اللغوى الذى عين فيه الشيخ شوقى محررا يقول له مداعبا : قد تكنفتك الشينات يا شيخ شوقى .. فيرد شوقى : انها – الشينات – تحيط بى أكثر فى القهوة عندما أطلب الشيشة والشاى .

ومرة جرت مناقشة لغوية فى صفحة الآداب والعلوم والفنون بجريدة الأهرام – وكانت هذه الصفحة تظهر يوميا – بين الشيخ حسين والى وبين الشيخ شوقى أمين ، وكان الطريف فيها أن الشيخ الصغير نقد الشيخ الكبير فى أنه يكتب اسمه (حسين والى) باثبات ياء المنقوص (والى) حيث يجب أن تحذف ..

عندما خرجت من (الأستديو) عقب القـاء الحديث وجدت فى انتظارى ذلك الشاب السكرتير وقدم لى « شيكا » بجنيه .. فكان هذا « الجنيه » أول مبلغ محترم أتقاضاه لقاء عمل .. لهذا كانت فرحته فى نفسى عظيمة ، وامتدت آثاره الشرائية الى عدة أشياء منها قميص حرير طبيعى جاهز بخمسة وعشرين قرشا ..

وعلى الطريقة الأزهرية التى دربنا عليها أقول ان وصف المبلـغ بأنه « محترم » احتراز من مبالغ أخرى « غير محترمة » مثل « شلن » كنت أتقاضاه لقاء المقال الافتتاحى فى جريدة لصحفى قديم كف بصره وأقعدته أمراض الشيخوخة التى أدركت الجريدة أيضا فلم تعد توزع كما كانت فى سالف العهد ، وأصبح (دخلها) مقصورا على نفحات « علية القوم » الذين تمدحهم . كان خليل صادق – صاحب الجريدة – يشرح لى فكرة الموضوع الذى يريد أن أكتب فيه ، وأنا أكتبه ، وكان يثنى على قائلا : (انت ييجى منك) مبشرا لى بأنه يمكن أن يأتى منى كاتب فى يوم من الأيام .. وعلى هذا الوضع فأنا أستحق « شلنا » فى المقال ..

ولقينى فى تلك الأيام صديقى الكبير الشاعر أحمد الزين ، وكان يعرف عملى مع خليل صادق فسألنى :

– ماذا كتبت اليـــوم ؟

– فندت مزاعم مراسـل جـريدة (الافننج) التى افتراها على المصريين .

فقهقه ضاحكا حتى لفت الينا الأنظار ونحن سائرون فى شارع محمد على وهو يقول فى خلال الضحك :

ـ « يا رجل ، حرام عليك ٠٠ تفند مزاعم الافننج بشلن ٠٠ ؟ هل تعرف ماذا أخذ المراسل على تلك المزاعم » ؟

وكان لمقالات (شعراء الموسم فى الميزان) صـدى امتد طويلا ، وفيما بعد تبين لى أنها لم تكن تستحق ما نالت من تقدير وبعض شهرة وان كنت فى وقتها زهوت بها كل الزهو ٠٠ لم أرض بعد عما صنعته بها من تحامل على شعراء مثل ناجى ورامى وان كان تحاملا صادقا ٠٠ بينى وبين نفسى ، اذ كان ذلك قصاراى فى الفهم والتذوق ، ولم يبد منى ايذاء ولا اسـاءة ولا حتى استعراض عضـلات ٠ وكذلك تقديرى للقصائد الكلاسيكية كان مبالغا فيه بحكم ميولى الأدبية اذ ذاك ٠

ولعل الاستحسان الذى نالته تلك المقالات راجعا الى ما كان فيها من سخرية وعنف فى بعض المواضع ، مما هو من قبيل الاثارة ، والناس عادة يريدون جنازة يشبعون فيها لطما كما يقول المثل الدارج ٠

وقد أراد شعراء الموسم أن يثبتوا وجودهم بعد شوقى وحافظ ، اذ كان النـــاس « يترحمون » على الشعر مع تحسرهم على الشاعرين الراحلين ، ولم يظفر هؤلاء الشعراء بما ابتغوا من اقامة ذلك الموسم ، فقد ظل الناس على اعتقادهم وعلى الشعور بأن أحدا لم يخلف شوقى ، حتى عندما نادى طه حسين بعد ذلك بعباس العقاد أميرا للشعراء ٠٠ بل على العكس كان هذا مدعاة للسخرية والاستنكار ٠

ولم يهتز الناس بشىء من قصائد الموسم ، سواء منها التقليدى والتجديدى ، كما كانوا يهتزون بشعر شوقى وحافظ ومطران ، ولعل ذلك يرجع الى أن تلك القصائد لم تلب الحاجة الى التعبير عن وجدان الشعب الفائر الذى كان يغلى ويفور ثورة على الانجليز وحكمهم للبلاد من وراء ستـار الملك والوزارات الحزبية التى يحركها المنـدوب السـامى البريطانى ، وقد سادت البلاد فى تلك الفترة حوادث دامية ، اذ هب الطلاب فى جميع الكليات والمعاهد والمدارس الثانوية ينددون بالاحتلال وينادون بالحرية والاستقلال ويدعون الزعماء الى الائتلاف والكفاح صفا واحدا ، ويلتحمون فى معارك دامية مع رجال الشرطة الذين تحكمهم وتحكم رؤساءهم السلطة المحتلة ، ويقع فيها شهداء وتسيل دماء ٠ كل ذلك والشعراء فى كل واد غير الوادى يهيمون ٠٠ ويلتمس العذر لهم بأنهم موظفون يأكلون العيش بالجبن ٠٠ كما قال شاعر من شعراء عصر المماليك والأتراك ٠

ولست أدرى لماذا لم أقل ذلك فيما كتبت فى ذلك الوقت .. ؟ لقد اشتركت فى مظاهرات الطلبة وتعرضت لكثير من الأخطار ، ولم أنج الا لأن « عمر الشقى بقى » كما يقول المثل الدارج ، وكتبت فى السياسة كلمات بتوقيع (عين) فى جريدة (مصر) فى فترة كانت تصدر بدلا من احدى جرائد الوفد الكبيرة التى عطلها اسماعيل صدقى . وكانت هذه عادة متبعة ، تغلق الحكومة جريدة فيستأجر صاحبها اسم صحيفة صغيرة ويصدرها مكان الجريدة المغلقة . وأذكر أنه لما جاء شهر رمضان تركت الكتابة السياسية ، وشغلت (العمود) المخصص لها بكلمات فى شئون دينية واجتماعية تحت عنوان (سوانح رمضان) موقعة بالاسم الصريح (عباس حسان) اذ لم يعد داع الى (عين) التى ادرأت بها عن عيون تلتفت الى أنى طالب مشتغل بالسياسة ، وهى حرام على الطلبة والموظفين .

وكذلك كنت عندما كتبت عن شعراء الموسم أو عن قصائدهم ، خشيت ما خشوا .. فقصرت كلامى على الناحية الفنية البحتة ، وان كانت درايتى بهذه النواحى لم تكن قد اكتملت .. شأن أى شاب يبدأ حياته الأدبية وتنازعه نفسه الى النقد ، فيخوض ميدانه بسلاح تتوافر له الجرأة أكثر مما تتوافر الثقافة والمعرفة ، و « آه لو عرف الشباب ! » ومن الناحية الأخرى أقول : آه لو قدر الشيوخ !

وأعتقد أن من المشكلات فى النقد الأدبى أن مزاوله اما شاب غرير جرىء فيه جهالة ، أو رجل كبر ونضج ولكن جرأته تقل أو تنعدم ازاء علاقاته ومطالب حياته .

واذا رجعنا الى السياسة فمن الحق أن يذكر شىء مهم ، وهو أن اسفاف السياسات الحزبية كان يصد كثيرا من المثقفين عن الاشتغال بالسياسة ، وكانوا يتمثلون بقول الشيخ محمد عبده : لعن الله « ساس يسوس » ربما لا يكون هذا لفظه بالضبط ولكنه قريب منه .

ومع اهتمامى بالسياسة وانفعالى بالحوادث الوطنية لم أنتم الى لجنة أو تشكيل ، وان كان ميلى على وجه عام متجها الى الوفد من بعيد ، وكانت مشاركتى فى الكتابة السياسية فى هذا الاتجاه ، وكنت معجبا بعباس محمود العقاد ككاتب سياسى ، من حيث الفن الكتابى ومن حيث الجرأة التى لم يبلغها كاتب عصرى فى عصره ، وما زلت أذكر بعض عناوين مقالاته التى كانت تهزنى هزا .. قال محمد محمود باشا رئيس الوزراء أنه سيحكم البلد بيد من حديد ، فكتب العقاد مقالا يسخر منه تحت عنوان (قبضة من حديد فى يد من جريد) . ونشرت الصحف أن ابن

رئيس الوزارة اسماعيل صدقى سافر الى أسوان فى « صالون » خاص على نفقة الدولة ليتفرج على الخزان – وعللت جريدة (الشعب) الناطقة باسم حزب الشعب الذى يرأسه اسماعيل صدقى – عللت سفر ابن الرئيس بأنه طالب أو خريج فى الهندسة وأن رحلته فنية علميـة ٠٠ وكتب العقاد مقالا بعنوان (بسلامته مهندس !) وأشبع الولد وأباه سخرية وتجريحا فى موضعهما ٠

واشتد اعجابى بالعقاد لما قال فى البرلمان : اننا نسحق أكبر رأس فى هذا البلد يتعرض للدستور ٠ فقامت عليه قيامة صحف المعارضة ، وتساءل كتابها تساؤلا مفهوما جوابه : ماذا يقصد العقاد بأكبر رأس ٠٠ ؟ فرد عليهم بمقال تحت عنوان : (أجل نسحق أكبر رأس) بدأه – على ما أذكر – بقوله : أقولها وأكررها هنا كما قلتها فى البرلمان !

وسجن العقاد وقلوبنا معه ٠

يجب على التاريخ أن يقف هنا ويطيل الوقوف ، فالعقاد أول رجل « أعزل » يقف من العرش موقف التحدى السافر ٠ وقف مثل هذا الموقف من قبل أحمد عرابى ، ولكنه كان مسلحا والفرق واضح ٠

ولما انشق العقاد على الوفد هزت مقالاته فى الهجوم على النحاس ومكرم عبيد ثقتنا بالوفد ، وكانت هذه المقالات فى جريدة (روز اليوسف اليومية) التى تعاون هو والسيدة روز اليوسف على اصدارها ، وعملت فى هذه الجريدة منـدوبا لها فى الأزهر والمحاكم الشرعية ٠ وكان لى جولات فى مجال هذا الاختصاص : أذكر منها أن طلبة القسم الثانوى فى الأزهر – وكنت منهم اذ ذاك وان كنت شاردا عن الدراسة والحضور الى العمل الصحفى – كونوا فرقة تمثيلية ومثلوا مسرحية مجنون ليلى ، ومثل (ليلى) أحد الطلبة فى هيئة أنثوية ٠٠ ولما علم بهم الرؤساء ثاروا وأنزلوا بهم أشد العقاب ٠ وكان الشيخ الفحام وكيل الأزهر يصرخ فى التليفون وهو يخاطب الشيخ الدرغامى رئيس القسم الثانوى : « تمثيل فى الأزهر ! وليلى كمان ! ليلى فى الأزهر ! يا للعار ! » ٠

وحدث فى ذلك الوقت أن بعض الشبان الأدباء فى القسم الثانوى دعوا الى تأليف جمعية أدبية وانضممت اليهم ، وكانت هذه احدى مرتين شرعت فيها بتأثير الأصدقاء فى مخالفة طبعى الميال الى الاستقلال وعدم التقيد بآراء وخطط ألزم باتباعها من قبل هيئة أنتمى اليها ، وفى المرتين لم يتم هذا الانضمام ٠ وكانت المرة الثانية عند بدء انشاء جماعة الاخوان المسلمين ٠

أحدث تأليف الجمعية الأدبية فى الأزهر دويا ، وأثيرت حولها الشبهات ، ومن جملة ما وصفت به التمرد والشغب والزيغ ـ وكانت كلمة « جمعية » فى وسط الطلاب فى ذلك العهد مزعجة للسلطات ومخلة بأمن المتسلطين • ووجهت التهديدات والانذارات لأعضاء الجمعية ، فخاف بعضهم وتشجع البعض الآخر ، واجتمعوا بمنزل محمد شوقى أمين المتحمس الأول للفكرة (عضو المجمع اللغوى الآن) واختلفت الآراء ما بين داع الى الاستمرار وقائل بأن مستقبلنا أهم ، فوقف شوقى أمين غاضبا قائلا : تقعدوا أصدقاء أو تنصرفوا أعضاء !

وعلى أثر ذلك أصدر شيخ الأزهر قرارا بفصل جماعة من أعضاء الجمعية أولهم شوقى أمين ، وكان هذا آخر عهده بالأزهر ، اذ راح يكتب مقالات ونقدات لغوية فى الأهرام وغيرها ويدعو الى انشاء المجمع اللغوى ، ولما أنشىء المجمع كان من أوائل موظفيه • وعمل من وراء ستار فى كتابة بعض كبار الأدباء ••

وكان من المفصولين زميلى فى المسكن والدراسة محمد طاهر أبو فاشا • وفى أثناء فصله عدت الى المنزل فوجدته منهمكا فى تأليف قصيدة يمدح بها الشيخ الأحمدى الظواهرى شيخ الجامع الأزهر ويستعطفه كى يلغى فصله ويعيده الى الدراسة • ولمحت جانبا ورقة فيها ألفاظ مرصوصة عموديا ، منها « الأحمدى » و « ادلعدى » فسألته عن « الدلعدى » فقال ان القصيدة دالية ، وهذه الكلمات معدة لآخذ منها القوافى •• وله نوادر تحكى مثل نوادر أبى نواس !

وأعيد طاهر أبو فاشا ، ولم أكن أنا من المفصولين ، واستمررنا معا ودخلنا دار العلوم معا حتى تخرجنا فيها • وقد أصدر وهو طالب فى دار العلوم ديوانا بعنوان (أزهار وأشواك) كان يعد بمستقبل أحسن فى الشعر لولا انشغاله بالتمثيليات والبرامج الاذاعية •

أما حكايتنا مع جماعة الاخوان المسلمين فان أخا أصغر لحسن البنا كان طالبا معنا وحدثنا عن أخيه ، ثم جاءنا ببطاقات دعوة لحضور اجتماع الجماعة • وذهبنا ، وسهل علينا أمر الذهاب أن مقر الجماعة كان قريبا من قهوة الحلمية ، فقمنا منها وعبرنا اليها شارع محمد على (القلعة الآن) •

واستقبلنا حسن البنا ببشر ظاهر ، وتحدث الينا خطيبا بلسان طلق عربى فصيح فأثر فينا ونال اعجابنا ثم قال اننا سنقضى فترة فى

الظلام نتأمل خلالها فى داخلنا وتتصل أرواحنا بخالقها ٠٠٠ الخ وأطفىء النور ٠٠ وتراجع التأثير وتبدد الاعجاب ٠٠ وتسللنا خارجين فى فترة التأمل ٠٠ الخ ٠

ونعود الى العقاد بعد هذا الاستطراد ، وما هو فى الحقيقة باستطراد، انما هى ذكريات تمتد خيوطها هنا وهناك ، وتتجمع وينطوى بعضها على بعض ، ثم نفك العقد ونمسك بالخيط ٠

تعثرت جريدة (روز اليوسف) اليومية ، اذ حاربها الوفد فى مجال التوزيع بعد أن عجز قلم مكرم عبيد عن مصاولة العقاد الكاتب الجبار كما كان يلقب ٠٠ وكان مكتب العقاد فى ادارة الجريدة ندوة حافلة بالمؤيدين والمتظاهرين بالتأييد ، يجلجل فيها صوت العقاد بالشتائم التى لا يستطيع كتابتها بحكم القانون أو الآداب العامة أو المعتقدات الدينية ، وما زلت أذكر قولة قالها فصكت الأسماع : « أنا ٠٠ أنا اللى باشتم ربنا ٠٠ أغلب فى الولدين دول ! » والولدان هما مصطفى النحاس ومكرم عبيـــد ٠

وعجزت الجريدة عن موالاة الصدور ومقاومة الوسائل « التكتيكية » التى دبرها حزب الوفد ٠ وهى الجريدة الوحيدة المعارضة للوفد التى استطاعت أن تكون صحيفة منتشرة على مدى واسع ، ولكن الى حين ٠٠ كان هناك مجلة أسبوعية اسمها (الكشكول) تعارض الوفد ٠ وهى فقط التى استطاعت أن تستمر برغم معارضتها لحزب الأغلبية ، وذلك لقوة تحريرها وخاصة الناحية الفكاهية فيها ، ومنها الشعر العامى الذى ينظم على أوزان الشعر العربى ونسقه ، وهو الشعر المسمى «حلمنتيشى» ولعله نشأ فى مجلة الكشكول ، وكان ينظمه أديب كبير من أدباء الفصحى المعدودين وهو محمد الههياوى بتوقيع (الشاعر اياه) وكان يشترك فى تحريرها حسين شفيق المصرى الذى كان من فحول الشعر الفصيح والزجل العامى معا ٠

وكانت لى وقفتان ازاء الشعور نحو العقاد فى ذلك الوقت : الأولى أنه أعطى لجميع العاملين فى الجريدة أجورهم عند توقفها عن الصدور ، وأنا فى جملتهم ، على حين كانت معظم الصحف الناجحة المستمرة «تأكل» حقوق المحررين ، فكان ــ مثلا ــ محررو «المقطم» يعتمدون على «التهليب» فى الخارج ، أى الاستفادة ممن يذكرون بالثناء ٠٠

وقارنت بين موقفى هذا وموقفى من العمل المجانى الذى كان فى (كوكب الشرق) ٠ جعلتنى هذه المقارنة أكبر العقاد فى نفسى ، ووددت

لو كنت فى حالة مالية تسمح لى أن أعتذر عن عدم قبول ما دفع الى ، كما فعل ذلك بعض المحررين تقديرا للموقف • وكان العقاد اذ ذاك ـ بعد اخفاق روز اليوسف اليومية وبعد الخروج من الوفد ـ فى حالة سيئة لم تمنعه ـ مثلا ـ مما يأتى : أخذ منه الطالب طاهر أبو فاشا ـ وكان من تلاميذه ومريديه ـ خمسين نسخة من كتاب (سعد زغلول) لكى يبيعها للطلبة ويعود بثمنها على المؤلف : العقاد • وباعها أبو فاشا وقد تأخر « المصروف » الذى كان يأتيه من والده فى دمياط ، فاضطر الى انفاق ثمن كتاب العقاد • ومكث مدة طويلة محرجا لا يذهب اليه • وصدفة رآه فى الطريق ، فحاول أبو فاشا أن « يزوغ » ولكن العقاد بادره قائلا :

ـ « تعال يا مولانا •• انت فين ؟ » •

تلجلج أبو فاشا حائرا خجلا ، فقال العقاد :

ـ « لا ، لا ، مسألة الكتاب مش مهمة •• تعال •• » •

الوقفة الثانية •• عندما سمعته يقول انه يشتم ربنا •• رجع بى خيط الذاكرة الى الوراء يوم أن كنت أعمل بجريدة (كوكب الشرق) وكان العقاد يكتب فيها المقال الافتتاحى • كان عند انصرافه من ادارة الجريدة يطلب عربة « حنطور » ليركبها ، ويقول لمن يرسله لاحضارها : تأكد أن السائق مسلم !

وكنا نأخذ ذلك الطلب على أنه بدوة من بدوات العبقرية ! وقال بعض الظرفاء من المحررين : ان الأستاذ العقاد يخشى أن يكون السائق سلامة موسى !

هل هو متعصب ؟ لا ، لم يعرف عنه ذلك ، وكان له أصدقاء من المسيحيين ، وكان يحب الآنسة (مى) ولم تكن مسلمة ، فلم سائق الحنطور بالذات ؟ هذا الذى حير الأفهام ••

ويمتد خيط الذاكرة الى الأمام •• فنرى العقاد يؤلف العبقريات والاسلاميات • ويخوض فى الدراسات الاسلامية ويغوص فى بحارها الى أعماق لم يصل اليها كاتب معاصر ولو كان من علماء الأزهر ••

ولم يعرف عنه سلوك دينى فى حياته ، من حيث الصلاة والصوم مثلا وغير ذلك • وتروى عنه عبارات لا تتفق مع ايمان مثل ذلك القسم •

فهل كان مؤمنا وهل كتب فى الاسلاميات بباعث الايمان ، أو بباعث فكرى رأى خصوبة فى الفكر الاسلامى فشارك فيه كمستشرق ، ولكنه لم يكن محايدا أو مبديا للحياد مثل المستشرقين ، بل أوغل فى العقيدة ودافع عنها وفند مزاعم خصومها • ولابد من سؤال آخر : هل كان يرمى الى ما تحقق له فعلا من الكسب المادى بعد ما عانى آلام الحاجة الى المال ؟

ذلك أيضا ما حير الأفهام أو فهمى أنا على الأقل ٠

وتحضرنى قضية أحب أن أبدى فيها رأيى ٠ القضية هى ما العلاقة بين الانتاج والحياة الخاصة ؟ أو بصيغة أخرى : هل يلزم أن يعيش الأديب حياته ويكون سلوكه العملى فيها طبقا لآرائه وأفكاره التى يكتبها وينشرها ؟

اننا لو طلبنا ذلك وبحثنا عنه فى تاريخ أعلام الفكر والأدب ، أقصد التاريخ المحقق لا أى كلام يكتب ، لم نجد ما يؤيد تلك القضية ٠ اذن ماذا ؟ وأين الصدق مع النفس أو الصدق الفنى أو أى اسم تسميه ؟

أرى أن الأديب كأى انسان يجرى فى حياته أكثر ما يجرى على التلقائية وعوارض الأمور ذات الأثر الفورى ، مخالفا ما هو متأصل فى أعماقه ، فاذا تهيأ للانتاج وصفت نفسه وتخلصت من الشوائب امتاح من نبعها الصافى ، ولعل هذا قريب مما يسمى الوحى أو الالهام ٠

وأذكر أن بدء الفكرة عند العقاد فى كتابة العبقريات ، أو بدء تنفيذها ، أنه كتب مقالا بعنوان (عبقرية محمد العسكرية) للعدد الهجرى الخاص الذى كانت تصدره الرسالة سنويا فى عيد الهجرة ٠ وكان هذا المقال نواة لكتاب (عبقرية محمد) ثم تلته بقية العبقريات ٠

مرة طلب منى ولدى ــ وكان طالبا بالمرحلة الثانوية ــ أن أشرح له المكتوب فى صفحتين من كتاب (عبقرية محمد) المقرر عليهم فى الدراسة ، فأجبته وشرحت له ما فى الصفحتين بعبارات لو كتبت لا تزيد على سطور ٠ فقال الولد : ولماذا لم يكتب كما تقول ٠٠ ؟

ولما قال الدكتور طه حسين قولته المشهورة فى التليفزيون : أنا لم أفهم العبقريات ٠٠ كان لهذه القولة صدى مختلف عند مختلف الناس ٠ وعندى أنه على حق فى الموضوع ، فعدم الفهم هنا معناه استنكار طريقة التأليف ، ولكنه لم يقل هذا الحق فى حياة العقاد ولم يكن لديه الجرأة لذلك ، اذ كان يخشاه ويعمل له ألف حساب ، وما كان يخشى فى عالم الأدب أحدا مثله ٠٠ وكان العقاد يغتاظ من تقديم طه حسين عليه فى أى مناسبة ، ولا يقبل أن يسبقه بالكلام في حفل ، وقد تخلص المجمع اللغوى من هذا الحرج بعدم الجمع بين الاثنين فى حفل واحد ٠

ومن ذلك ما حدث عند تقديم كتابى (غرام الأدباء) الذى نشر فى سلسلة « اقرأ » فقد اتصل بى المرحوم عادل الغضبان المشرف على السلسلة ، وقال انه يرجو تغييرا بسيطا فى ترتيب الموضوعات ، بحيث

يجىء الموضوع المكتوب عن العقاد فى الأول ، وكنت رتبته الثانى بعد موضوع طه حسين . ولما سألته عن السبب أجابنى بأن العقاد يغضب من تقديم طه حسين عليه .. وبعد المحاورة والأخذ والرد اتفقنا على أن يظل موضوع طه حسين كما هو فى الأول ، ويأتى بعده موضوع توفيق الحكيم ، ثم موضوع العقاد . وكان هذا اقتراح عادل الغضبان الذى وافقته عليه ، ولكنى سألته : ألا يغضب العقاد من هذا التأخير ؟ فأجاب : المهم عنده ألا يأتى بعد طه حسين مباشرة !

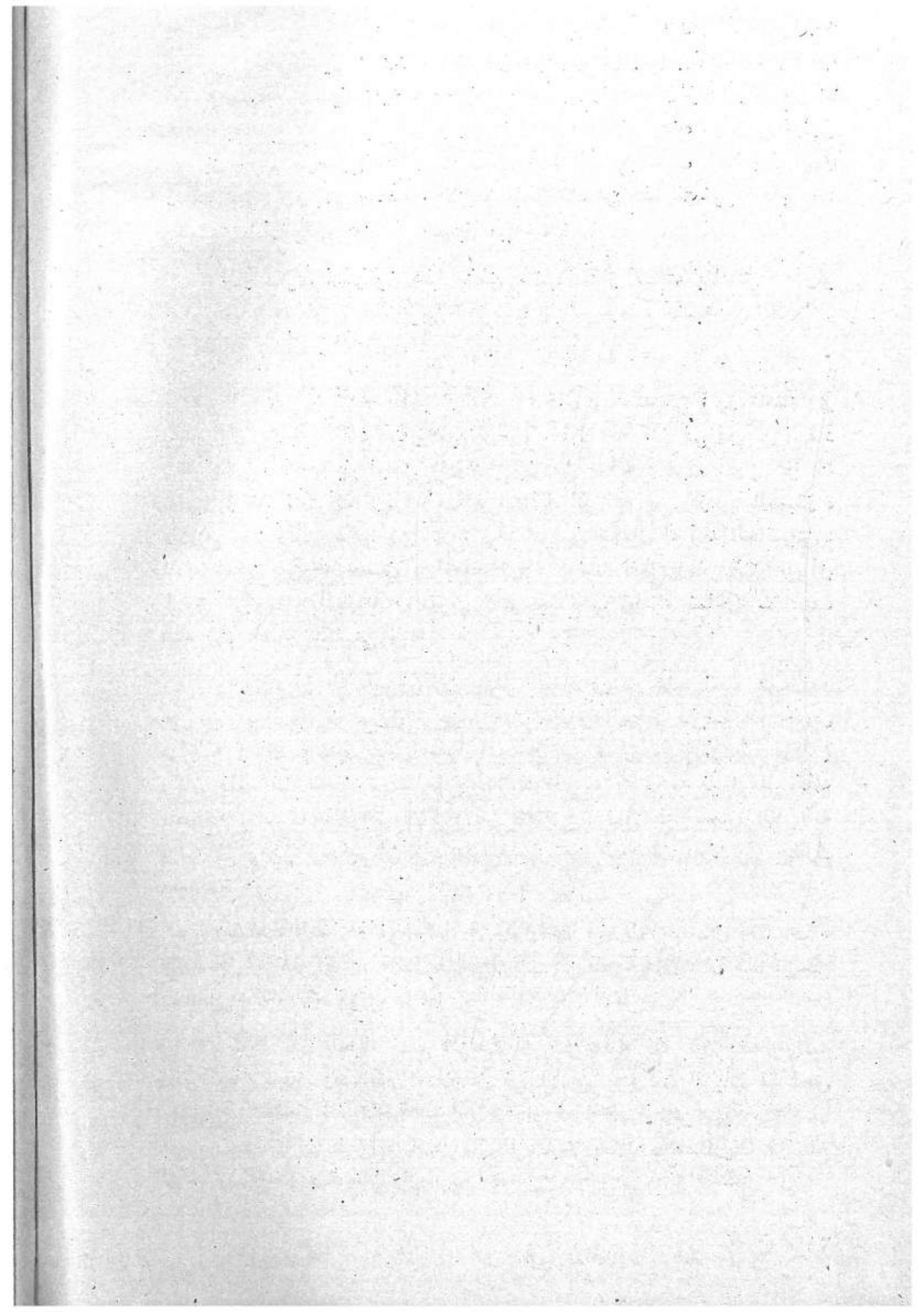
حار فكرى أن يكون هذا منطق كاتب تمتاز كتابته بالمنطق .. ولو تصورناه « بمنطق » غضبه من الترتيب المباشر وعدم غضبه من اللامباشر .. فماذا عساه كان يقول ؟

الأجدى أن نترك الوقائع تتكلم . قال لى صديقى أنور المعداوى الذى كان يشبه العقاد من بعض الوجوه ، قال انه كان فى مجلس العقاد وجاء ذكر طه حسين فجعل العقاد يهون من شأنه ويقول : من هو طه حسين ؟ لقد كنت كذا وكذا (متفاخرا) أيام كان هو فى « زاوية العميان » بالأزهر يهز رأسه هكذا .. (ومثل هز الرأس) فقال له أحد الحاضرين : لماذا تسكت عن طه حسين يا أستاذ ؟ قال : ماذا أفعل وهو يسد على أى طريق لمهاجمته بالمجاملة والتقرب ؟ — اسمع — لمحدثه ضاحكا — اذهب اليه وقل له « ينكشنى » !!

والواقع أن طه حسين كان يخشى العقاد ويثنى عليه اتقاء لشره .. على حين نراه جريئا مع الآخرين ، مثلا توفيق الحكيم هاجمه طه حسين مهاجمة عنيفة ونقده نقدا قاسيا متحاملا فى مسرحية (أوديب ملكا) وكان ذلك فى محاضرة ألقاها بأحد النوادى ، وقال له فيما قال كأنه ينصحه : عليك بالقراءة والاكثار من الاطلاع ! فعل طه حسين ذلك لأنه يعلم أن توفيق الحكيم لن يرد عليه فليس من طبعه أن يدخل فى معارك سافرة .

وساءت العلاقة فى وقت من الأوقات بين طه حسين والزيات ، واشتبكا فى معركة أدبية قال فيها الزيات عن طه حسين : ان هذا الرجل يستغل حيائى وسكوتى عنه !

وطبعا كان الحياء يمنع الزيات أن يمن عليه بما كان يسديه اليه أيام كانا زميلين وصديقين متلازمين فى الأزهر ، وكان الزيات قد لحق بمدرسة الحقوق الفرنسية الليلية ليتعلم فيها اللغة الفرنسية ، وأشار على طه حسين أن يفعل مثله ، فقال له أنه لا يملك « المصاريف » فدفع له « المصاريف » قرضا ولم يرد .



الفصل الثالث

قلت أنى كنت معجبا بمقالات العقاد السياسية ، وكانت جرأته فيها على الوزراء والحكام ، بل على الملك ، من أسباب اعجابى ٠٠ولم يقف اعجابى به عند المقالات ، بل كذلك لشخصيته القوية وكبريائه التى كنت أقرنها فى نفسى بمدلول القول المأثور (الكبر على أهل الكبر صدقة) فلم يكن العقـاد متكبرا الا على الكبراء ، أما هو مع غيرهم فقـد كان ـ لا أقول متواضعا ـ لطيفا ، الا اذا أحس من أحد بما يمسه أو يمس قدره وأدبه ٠٠ وفى هذه الحالة تبرز مخالبه ٠٠ وليس مهما أن يكون هذا الاحساس حقيقيا ، بل كان فى أكثر الأحيان وهما ٠

والعقاد رفع بترفعه وكبريائه شأن الأدباء ، وجعل للأديب فى نفوس الكبراء فى عصره منزلة تنسخ الصورة التى ارتسمت فيها للأديب على أنه انسان يعيش على هامش الحياة ، ويمكن شراء مدائحه نظما ونثرا ٠ وكذلك أعلى شأن الصحافة والصحفيين ٠ وأذكر أن أحد الوزراء رد على سؤال لأحد النواب فقال عما تضمنه السؤال من استدلال بما نشر فى الصحف ـ قال انه « كلام جرايد » فوقف العقاد ـ وكان عضوا بالمجلس ـ واحتج على الوزير لأنه يستهين بالصحافة ولا يعلم أن لها شأنا عظيما فى البلاد المتقدمة مثل انجلترا حيث يذهب رجل كبير مثل (مستر مكدونالد) رئيس الوزراء الى ادارات الصحف ويشترك فى تحريرها ٠ لم يكن الوزراء عندنا كما هم الآن يكتبون فى الصحف ويحاضرون هنا وهناك ٠ وأذكر أن طه حسين لما كان وزيرا للمعـارف واستمر فيما اعتاده من القـاء المحاضرات العامة ـ عد ذلك منه شيئا عظيما ٠٠

والحمد لله « عشنا وشفنا » الوزير ـ يوسف السباعى ـ رئيس تحرير لمجلة الثقافة ٠ وعشنا وقلنا يوسف السباعى مجردا أى لا نقول : حضرة صاحب المعالى يوسف باشا السباعى !

وقبل أن أمضى فى الحديث أقول بأن مقالات العقاد السياسية كانت من أحسن كتاباته،بل كانت ألصقها بحياة الناس وأكثرها نفعا للمجتمع

وكان كثير منها موضوعيا ، حلل فيها شخصيات الوزراء والزعماء المعارضين للوفد ، وبين فيها مكونات شخصياتهم ودوافعهم ومنافعهم ٠٠ الخ ، كما كتب عن شخصية مصطفى النحاس ومكرم عبيد ـ بعد انشقاقه عن الوفد ـ كتابة تشبه ذلك وان اتسمت بالعنف والتحامل ٠

ولم تكن شتائمه وسبابه فى المقالات السياسية الحزبية بأكثر منها فى كتاباته الأدبية وخاصة حملاته على خصومه ومناظريه من الأدباء ٠

ولو جمعت تلك المقالات ونشرت فى كتاب كما نشرت مقالاته الأدبية لكانت شيئا مقروءا ٠

والواقع أن انتاج العقاد معظمه ترف عقلى أكثر مما هو فى خدمة المجتمع ، وأقربه الى الفائدة ما نقله وعرضه ومحصه وناقشه وعلق عليه من أدب الغرب وثقافته ٠ كانت هذه هى اضافته التى أثرت الفكر العربى الحديث ٠ وليس فى العبقريات وأمثالها من جديد ذى قيمة ، فهى أولا تاريخ معروف فى أصوله وأمهاته ، وثانيا تحليلات لا أنكر قيمتها ، ولكنها مثل غيرها من التحليلات لا تعد قمة فى الفكر المبتدع الذى يضىء للناس، أذكر مناقشة فى مجمع اللغة العربية عارض فيها رأى أحمد أمين ودعوته الى أن يوجه الأدب الى خدمة المجتمع ، فقال العقاد ان الأدب كالوردة ، وأنه لا يهمه ملايين الناس الذين لا هم لهم فى الحياة الا أن يأكلوا ويشربوا ٠٠

ولم تكن دعوته الى أصالة التعبير عن النفس وما تشعر به دون محاكاة للقدماء وترديد لمعانيهم وعباراتهم ، والى بنية عضوية ووحدة موضوعية للقصيدة ـ لم تكن تلك الدعوة الا صدى وأثرا من اطلاعه على أدب الغرب ٠ وكان لها ـ ولا أمارى فى ذلك ـ أثر فى الشعر العربى الحديث ، ولكن لم يكن لها أثر ذو قيمة فى شعره نفسه ٠ مضمون شعره اما خواطر فكرية ذهنية لا تعد من قبيل الشعر الانسانى الخالد ، واما قصائد تقليدية لا تبعد كثيرا عن القصائد التى قامت دعوته على هدمها ٠

كتبت مرة فى باب الأدب والفن أقول ان ما ترتفع به بعض الأصوات مشيدة بالتجديد فى الشعر يكاد ـ فى هذه الفترة ـ ينحصر عن لا شىء ، وأن المسافة بين الجديد والقديم قد ضاقت ، وأن القديم التقليدى يقول كالجديد ، والداعى الى التجديد يقول كالقديم ٠ وكان كل الشعراء فى ذلك الوقت ـ ما عدا فلتات سابقة ـ ينظمون طبقا للبحور المأثورة وعلى قافية واحدة ٠

والتقينا ـ العقاد وأنا ـ بعدها فى ادارة الرسالة ، وكانت لقاءاتى

به عفوية ، فلم أكن أقصد اليه أو أحضر ندوته التى كان يجتمع فيهـا بأصدقائه وتلاميذه كل يوم جمعة ، استجابة لطبعى الناشز الذى سأفسره بعد قليل .

وقال لى العقاد فى ذلك اللقاء :

– « تعالى يا مولانا .. ايه الكلام اللى بتقوله ده .. ؟ » .

قلت : أى كلام يا أستاذ ؟

قال : يعنى شعر الجارم مثلا زى شعرى أنا .. ؟

قلت : لا ، طبعـــا ..

وتدخل بعض الحاضرين بكلام يتملقه ، وغطى اللغط على الموضوع..

والنشوز الذى وصفت به طبعى ، وقد أشرت اليه فيما سبق ، هو أنى كنت أنفر من الارتباط بمجموعة من الناس لها اتجاه تلتزمه ، وكنت أخشى شخصية العقاد القوية التى تطوى من حولها تحت جناحها – أخشى أن تطوينى ، أو هكذا خيل الى .

فانى أوثر أن أكون طليقا أقول كلمتى كما أريد أن أقولها ، لا أمنعها لكى لا تغضب زيدا ، ولا أوجهها الى ارضاء عمرو .. ذلك هو خطى الذى أردت ألا أحيد عنه ، ولم تمنع هذه الارادة من الحيدة عن الخط أحيانا .. ولكنى أنتبه بسرعة فأعود الى الجادة .

أذكر أنى قرأت لزكى مبارك ما معناه أنه ملحد عند المؤمنين ومؤمن عند الملحدين . وكانت بلواى كذلك ، ولعلها لا تزال : يمينى فى نظر اليساريين ويسارى عند اليمنيين . والحقيقة أنى لم أحرص على أن أكون الا .. اياى .. أى كما أنا لا كما يريد أحد . حتى الصحافة التى أحببت العمل فيها هجرتها لذلك ، وقد تأتى بعض الذكريات متصلة بذلك .

وألوى خيط الذكرى راجعا الى العقاد :

تكررت كتاباتى فى نقـده وفى مناقشة بعض القضايا والمسائل الأدبية التى يثيرها – وكان يكتب فى « أخبار اليوم » – معارضا له ، وبشدة أحيانا .. كتب مرة يحتج على حجب (جائزة فؤاد الأول) للآداب، لأن اللجنة رأت أن الانتاج الأدبى الذى ظهر فى خلال المدة المحددة وهى خمس سنين لا يستحق الجائزة ، وقال انه المقصود بالحرمان من الجائزة

وأنه أصدر خلال هذه المدة عددا كبيرا من الكتب ـ ذكر عددها ولا أتذكره ـ فكتبت أقول له ان هـذا لا ينبغى لك ٠٠ لا يصح أن تحكم لنفسك بالاستحقاق ٠

واقترح توفيق الحكيم ـ فى أخبار اليوم وكان يكتب فيها أيضا ـ انشاء كرسى لأحمد شوقى فى كلية الآداب ، ورشح له أحمد حسن الزيات وذكر من صفاته وكفايته ما يؤيد هذا الترشيح ، ودعا الى فكرة انتفاع الجامعة بالأعلام البارزين من غير الحاصلين على الشهادات والألقاب الجامعية ٠

وعلقت على ذلك ذاهبا الى أن الكفايات الممتازة غير مقصورة على المؤهلين رسميا ، وأن المشرفين على الجامعات يجب أن يكونوا على سعة أفق بحيث يقدرون ذلك ويعملون على تلقيح جامعاتهم بذوى الكفايات من الخارج ، وذكرت أسماء عبقرية لم تنل شهادات ولا درجات جامعية ٠ وهنا وجدت المناسبة صالحة لايراد ما كتبه فى جريدة (المؤيد) الطالب الصغير الراسب فى الشهادة الابتدائية : عباس محمود العقاد ، ودعا فيه زملاءه الراسبين الى الاجتماع للأهمية ٠٠

وعلقت على ذلك بما كان ينبغى أن يرضى العقاد ، ولكنه لم يرض ، بل سخط وثار وهدد بالامتناع عن الكتابة فى الرسالة ان استمر هذا « الهلفوت » ـ الذى هو أنا ـ فى مهاجمته ٠ وقال انه لا يهمه عشرات من أمثالى ، ولكن كيف يهاجم فى مجلة يشترك فى تحريرها ٠٠ ؟ وكان اذ ذاك يكتب افتتاحية الرسالة بالتناوب مع الزيات ، كل منهما فى أسبوع ٠

ولابد هنا من انحناءة تقدير لذكرى الزيات كرئيس تحرير يفسح المجال للكلمة الحرة غير عابىء بأى شىء ولا مراعيا « أى خاطر » وقد خصص لى ثلاث صفحات فى المجلة كنت أحررها كمجلة داخل مجلة ٠٠ أنا المسئول عنها وهو لا يقرأها الا مع القراء ٠٠ وكثيرا ما شكا له منى بعض أصدقائه من كبار الأدباء وهو « يسمع من هنا ويسيب من هنا٠٠» ٠

وكم ضحى بعلاقات واكتسب عداوات واستهدف لحملات من جراء ذلك وهو صامد حارس للكلمة الحرة والقيمة الأدبية ، مانع من تسرب التفاهات ٠ متحصن من داء « الشللية » الذى عانينا منه بعد ذلك وما نزال نعـانى ٠٠

وذلك سر من أسرار قوة الرسالة ، كالسر الذى كان كامنا فى شعر رأس (شمشون) وان كانت لم تستطع أن تصل اليه فى الرسالة (دليلة) ٠

لماذا غضب العقاد من نشر تلك المعلومة عنه وهى أنه رسب فى الشهادة الابتدائية ولم يكمل تعليمه فى المرحلة الثانوية وما بعدها · وقد قلت فى التعليق أنه من المحتمل أن يكون قد نجح فى « ملحق » أو أعاد السنة ثم نجح وحصـل على الشهادة ، ولكن المحقق أنه لم يلحق بالمرحلة الثانوية ·

لماذا غضب وقد اعتبرت ذلك له لا عليه وقد وجهته الى الدلالة على عبقريته ·· ؟

يبدو لى أن عقدة تكونت فى نفسـه من تخلفه فى التعليم المدرسى وابتداء جولته فى الحياة العملية موظفا صغيرا ، فجعل يحاول أن يرتفع ويسمو على وضعه الاجتماعى ، وامتزج ذلك بشدة وصلابة فى أصـل طبعه ، ولهذا كانت حياته الأولى فى الوظيفة حافلة بالصراع بينه وبين رؤسائه ، وقد هجاهم بشعر نفس فيه عن مكنون نفسه وقال انه أعظم من هؤلاء الذين وضعهم القدر رؤساء له وأنهم لا يساوون معه شيئا ·

وكانت تلك العقدة من أسباب جده فى الاطلاع والدراسة ، اذ عمل ـ فى أعماقه ـ على أن يبلغ بهما ما فاته من الحصول على الشهادات ·

وكانت مثل ذلك عقدة طه حسين ·· وهى فقد بصره · وقد صارت هذه وتلك عقدة لأن كلا منهما كان « يهرب » منها ، اذ يشعر بها عيبا كما أوحت له بذلك البيئة الأولى · وعلى عكس عقدة طه حسين رأيت فى الصديق الدكتور عبد الحميد يونس ، اذ يتحدث عن كف بصره دون ذلك الشعور وذلك « الهرب » ويأخذ الأمر ـ كما هو فى الواقع ـ فى سهولة نفسية ·

ولا أريد أن أحشر نفسى فى جملة أولئك الأعلام ·· اذ أذكر أنه كان لى فى البدء عقدة وقد تخلصت منها بعد ذلك ، وهذا الحديث عنها يدل على ذلك التخلص ·

بدأت حياتى التعليمية فى الأزهر بعد كتاب القرية · وكان الناس يسموننا « مجاورين » وكان شكلنا مميزا ، جلباب قروى ، وعلى الرأس قلنسوة (طاقية فلاحى) أو عمامة · كنت أشعر بالغيظ وأكاد أتميز منه عندما أسمع الصبية من أبناء البلد فى القاهرة يلقوننا بهذا النشيد :

« يا مجاور ·· عمتك دابت ·· من السلطة والفول النابت » ··

وأعتقد أن تلك النظرة قد تغيرت وأن الأمور قد تطورت ولم يعد طلبة الأزهر يلقون شيئا من ذلك ·

ومما أذكر أن زميل الصبا طاهر أبا فاشا لقينى يوم اعلان قبولنا فى دار العلوم صائحا فرحا : « خلاص ٠٠ لم أعد مجاورا ٠٠ » ٠

ونصل ما انقطع من الحديث عن العقاد ، وأريد أن أقول أولا ، وان كان ليس بأول ٠٠ فما فى خضم هذه الذكريات أول ولا آخر ٠٠ أريد أن أقول ان تقديرى لشخصية العقاد واعجابى ببعض مواقفه غير نظرتى الى أدبه ٠٠ ويظهر أنه كان يحس بهذه النظرة من خلال ما كتبت فى نقده ، فلم يكن يستريح الى كتابتى فى الرسالة ٠

أقيمت حفلة لتأبين محمود فهمى النقراشى ، وألقى فيهـا العقاد قصيدة ، أذكر أهم ما قلته فى نقدها : انها لا تختلف عن الشعر الذى قامت دعوته على هدمه من حيث الوحدة العضوية ، فلو قدمت فى أبياتها وأخرت ،أو حذفت لما تغير شىء ، وأنها فى هذا كقصيدة الجارم التى ألقيت فى الحفل نفسه ٠٠ وأن مضمونها تقليدى كسائر ما يقال فى شعر الرثاء ٠٠

رأى العقاد أن أمرى لم يعد محتملا ، وقال لسكرتير الرسالة الذى اتصل به تليفونيا وسأل عن المقال المعتاد الذى تأخر : اما أن أكتب أنا أو يكتب هو !

ولم يهتم الزيات بأن يستمر العقاد فى الكتابة بالرسالة ٠ ودهشت: هل آثرنى على العقاد ٠٠ ؟ غير معقول ٠ ولم يلبث أن ذهب العجب لما عرفت السبب ، عرفته من عدة قرائن : سمعت الزيات من قبل يشكو من أن مقالات العقاد فى الفترة الأخيرة بالرسالة لم تكن تخرج عن رسائل ترد اليه من القراء يسألونه فيها أن يوضح لهم ما غمض عليهم فى بعض كتب العبقريات ، واجاباته لهم التى لا تضيف جديدا ٠

وكان الزيات يعطى العقاد خمسة جنيهات للمقال ٠ فلما استكتبت جريدة أخبار اليـوم العقاد وأجزلت له الأجـر تضاءلت أمامه جنيهات الرسالة ، فطلب زيادة ، فزاده الزيات ثلاثة الى الخمسة ٠ فصار يكتب بغير عناية موجها جهده الى من يدفع أكثر ٠٠

لذلك آثرنى الزيات : آثر أن يدفع جنيهين ونصف جنيه لقـاء الأدب والفن فى أسبوع ٠٠

وما أظن أنى آتى بجديد هنا اذا قلت ان الزيات كان حريصا على المال ، فذلك كان مشهورا عنه ٠

ولم يكتب العقاد بعد ذلك فى الرسالة · ولما اقترب موعد العدد الهجرى السنوى اتصل به السكرتير وطلب منه مقالا لهذا العدد ، فرد عليه رافضا لأنى لا أزال أكتب فى الرسالة ··

ومما كان يعجبنى فى شخصية العقاد املاء ارادته على ذوى النفوذ ، لما فى هذا من اعلاء شـأن الأدباء · وكان ذوو النفوذ يخضعون لارادته متظاهرين بالتقدير ·

أذكر مثالا لذلك أن فكرنا فى وزارة الثقافة ـ وكنت اذ ذاك وكيلا لادارة التأليف فيها ـ فى اصدار كتب صغيرة نصف شهرية ، واتجه التفكير الى أن يفتتحها العقاد بالكتاب الأول فيها · وكان القرار الوزارى الذى صدر بانشائها يتضمن تقدير مكافآت المؤلفين على درجات ثلاث : مائة جنيه ، وخمسة وسبعين ، وخمسين ، على حسب أقدار المؤلفين · رفض العقاد مائة الجنيــه وأصر على مئتين · فصـــدر قرار باستثناء العقاد وطــه حسين من التقدير العــادى وجعل مكافأة من يؤلف منهما للسلسلة مائتى جنيه ·

ثم جدت مشكلة أخرى روتينية ·· طاهر الجبلاوى صديق العقاد الوفى المخلص جاء بأصول الكتاب فى محفظته ، وطلب « الفلوس » قبل أن يسلمه ، طبقا لارادة الأستاذ ·· والقانون واللوائح ـ لست أدرى فما كنت ألقى بالا لهذه الأشياء برغم أنى موظف ـ يقضى بألا يصرف الثمن الا اذا كانت « البضاعة » فى حيازة الحكومة ·

وخضع الروتين لارادة العقاد ، وكتب « الشيك » وأعطى للجبلاوى و « البضاعة » فى حيازته ··

وكانت « البضاعة » أول كتاب فى سلسلة المكتبة الثقافية ، بعنوان (الحضارة العربية أقدم من الحضارة اليونانية) ·

وأذكر بهذه المناسبة مشروعا فكرنا فيه ، وأنا فى ادارة التأليف بوزارة الثقافة حوالى سنة ١٩٦٠ ، وهو مشروع تشجيع الأدباء الشبان بنشر كتبهم ، واذا كانت المكتبة الثقافية قد افتتحت بكتاب لأديب عملاق، فان هذا المشروع افتتح لأديب مسكين ·

وقبل الحـديث عن هـذا الأديب وكتابه أذكر وأنا موظف بوزارة الثقــافة لا يهتم بشكليات الوظيفـة ·· أن قدمت مذكرة فى شأن من الشئون مكتوبة على الآلة الكاتبة الى وكيل الوزارة الدكتور حسين فوزى، ودعانى الى الجلوس فجلست ، ونظر الى الورقة وقال لى فى شبه تأنيب :

ـ « ما هذا يا أستاذ ! أتقدم لى صورة ؟ أين الأصل ؟ » ·

حرت فى نفسى : هل أخجل لعـدم الالتفات الى وجوب تقـديم الأصل ٠٠ أو أدهش لأن أديبا فنانا كحسين فوزى يهتم بهذه الشكليات ٠

لو كان وكيل الوزارة رجلا عاديا لما كان ذلك الذى قاله لى محفورا فى ذاكرتى حتى الآن ٠٠

ومن العبارات التى حفرت فى ذاكرتى ، لصدورها ممن لا ينبغى أن تصدر منه ، كلمة قالها الدكتور طه حسين وهو يملى على خطابا ـ فى لجنـة كنت سكرتيرها ـ الى لطفى السيد ، وكان ذلك عقب قيـام ثورة ٢٣ يولية والغاء الألقاب وتغريم من يخطىء فى كلامه ويلقب أحدا بباشا أو بيه قرشا ٠

أصر طه حسين على أن أردف اسم لطفى السيد بكلمة باشا ٠ قائلا :

ـ أنا مستعد أن أدفع جنيها ولا أجرد أستاذ الجيل من لقبه !

وقال أحد أعضاء اللجنة منافقا : هذا وفاء عظيم يا باشا !

وكان طه حسين باشا أيضا ٠

ولم يقتصر الأمر ـ فى نفسى ـ على الاندهاش ، بل علمت ـ آسفا ـ أننى مطالب ذوقيا أن أخاطب الأديب الكبير الذى أحببته باللقب الملغى الذى لا أحبه ٠٠

ولم أحب كذلك من طه حسين ، عندما اختارنى سكرتيرا صحفيا له وهو وزير ، أن أكلف بلبس الطربوش ـ بعد أن استراح رأسى منه ـ كلما دخلت عليه فى مكتبه ، لم يكلفنى هو مباشرة ، وانما فهمت هذا التكليف من الحاشية ٠ الوزير مطربش والكل مطربشون ، فكيف أدخل أنا ورأسى عار ٠٠ وكان طه حسين ينظر بعين سكرتيره الخاص توفيق شـحاتة ٠

ولما شب فى القاهرة حريق يناير سنة ١٩٥٢ واستقالت الوزارة أحرقت الطربوش ، وكان هذا آخر العهد به ٠

أما ذلك الأديب المسكين ٠٠ فهو محمد سالم ، رأيته أول مرة وهو يعمل « ساعيا » فى مجلة الرسالة الجديدة التى كان يرأس تحريرها يوسف السباعى ، وكنت ممن أشركهم معه فى تحريرها ٠ أسر الى ذلك الشاب الخجول المسكين أنه يكتب قصصا قصيرة ، وأنه لم يتعلم فى مدرسة ولا حتى فى كتاب ، انما تعلم « فك الخط » فى سجن الأحداث الذى كانوا يدفعون اليه الصبية الأشقياء الذين يرتكبون جرائم وكان يسمى « اصلاحية الأحداث » ولم يرتكب صغيرنا جريمة ، بل دفع به

زوج أمه الى هناك تخلصا منه • وعلم نفسه بنفسه ، ووجد بها ميلا الى الأدب فجنح اليه يقرأ ويدرس ، الى أن كتب القصة القصيرة • ونشرت له قصة بالرسالة الجديدة ، واستجاب له يوسف السباعي فأقعده على مكتب يتلقى بريد المجلة ويساعد فى بعض العمل الادارى •

ولما نشر أن وزارة الثقافة أعدت مشروعا لنشر كتب الشباب تشجيعا لهم ، تقدم الشاب المكافح فى الأدب وفى الحياة بمجموعة قصصية ، وجاء بها فى مكانى من العمل ، فقرأتها وكتبت عنها تقريرا بالصلاحية • ثم اعترض بعض المسئولين بأن حوار القصص عامى والوزارة لا ينبغى لها أن تنشر اللغة العامية ! وأوضحت لهؤلاء المسئولين أن كتابة الحوار فى القصص باللغة العامية مذهب فى الأدب يتعايش مع المذهب الآخر الذى يكتب بالفصحى ، ولم يكن اقناعهم سهلا ، وتعثرت المجموعة ، وأراد محمد سالم أن « يسحبها » ولكننى تمسكت بها ، اذ وجدتها قضية لابد من الدفاع عنها • وعرض الأمر على وكيل الوزارة عبد المنعم الصاوى فأيد وجهة نظرى ، وظهر الكتاب الأول فى مشروع تشجيع الشباب ، بعنوان (أستاذ فى الحارة) و « الأستاذ » بطل القصة يحمل سمات محمد سالم نفسه وهو يعيش فى « الحارة » التى عاد اليها مع والدته وزوجها بعد « التخرج » من الأحداث !

محمد سالم شخصية فريدة فى أدبنا الحديث ، لا أدرى أين هو الآن ، أرجو ألا يكون قد ابتلعته دوامة الحياة •

معاناة الأديب الناشىء •• يبدو أنها أزلية لا مفر منها ، وان كانت تختلف فى شدتها بين ظروف شاب وآخر ، وبين جيل وجيل ، ولا شك أنها تيسر بمعاونة الكبير للصغير ولا سيما اذا كان بيد الكبير أمر •

والمعاناة تكون مركبة من محاولتين صعبتين : نشر الانتاج والحصول على الرزق ، أو مفردة مقصورة على الأول • والجيل الجديد الآن أحسن حالا من جيلنا وان كان يواجه المفروض الأزلى ، على أن الأديب فى بلادنا ـ صغيرا أو كبيرا ـ ما زال يعانى ، أقصد الأديب غير المشتغل بالصحافة البعيد عن الأضواء ، وخاصة من لا يملك ما يطمع فيه الطامعون ، ومن يصعب عليه أن يبذل عزة نفسه •

ولنعد من هم الحاضر الى هم الماضى •• عانيت فى البدء المعاناة المركبة ، والذى يهمنا ذكره من ملابستها أن ما كنت أكتبه وينشر لى لم أكن أتقاضى عليه أجرا • وكان هذا هو الشأن مع أمثالى ، بل مع من هم أكبر منى ومن أمثالى ، سواء فى مجلة الرسالة أو فى غيرها • باستثناء العقاد والمازنى • لم يبدأ أحد فى الكتابة بالرسالة بأجر • والآخرون

بعضهم تقاضى أجرا فيما بعد ، والبعض الآخر لم يأخذ شيئا • من النوع الأول توفيق الحكيم •• ظل يكتب مجانا ، ثم طلب أجرا ، فأعطى ثلاثة جنيهات على المقال •• وكذلك مصطفى صادق الرافعى الذى وصل أجره الى خمسة جنيهات بعد (حوار) شاق مع الزيات قال له فيه أن عنده علما يقينيا بأن توزيع المجلة زاد بل تضاعف بسبب مقالاته ، وكان هذا حقا ، وقد بلغ توزيع الرسالة ما لم تبلغه قط مجلة أدبية عربية ، بلغ نحو ستين ألف نسخة • وكان من عوامل هذا الانتشار ـ التى كانت تحسدها عليه المجلات العامة التى تتبرج لجذب القراء ـ أنها فتحت باب الاشتراك المخفض للطلبة ولطائفة أخرى كبيرة العدد تعيش فى أعماق الريف وأنحائه ، هى طائفة المعلمين الالزاميين أى الذين كانوا يدرسون فى (المدارس الالزامية) المنشأة فى كل قرية ، وكانوا على مستوى لا بأس به من التعليم ومن الاعداد التربوى فى مدارس المعلمين الأولية ، وكان لديهم الفراغ فى القرى للقراءة ، وبهم رغبة فى التطلع الى عالم الفكر وأشعة الأدب المنبعثة من القاهرة • وكانت مقالات الرافعى خاصة تأسرهم وتأسر غيرهم لما يرون فيها من قيم اسلامية وأسلوب عربى متين •

كانت مجلة الرسالة فى ذلك الحين يتحلى بحملها حتى من يتعذر عليه فهم محتوياتها من نثر وشعر • كان امساكها باليد « عياقة » الشباب والكهول ••

و « الحوار » الذى كان يدور بين الرافعى والزيات أمره عجيب •• شهدت جلسة بينهما لا أنسى منظرها :

جاء الرافعى من طنطا حيث يقيم الى ادارة الرسالة بالقاهرة ، ولم يكن الزيات موجودا ، فدخل الى مكتبه وفرش سجادة الصلاة وصلى • ثم جاء الزيات وتصافحا •• لم أسمع صوتا ، مصافحة صامتة •• دهشت ، فلم أكن أعلم أن الرافعى أصم • وعجبت فيما بعد لما قرأت ما كتبه سعيد العريان عنه بعد وفاته من أنه كان يطرب للموسيقى مع أنه لا يسمع قصف المدافع لو حدث قريبا منه !

جلس الأديبان الكبيران وأمسك كل منهما قلما وجعل يكتب لصاحبه ما يريد أن يقوله •• فهمت من اللحظات الأولى أنهما يتبادلان التحية ـ فهمت ذلك من أساريرهما ، ثم لحظت أن هذه الأسارير تأخذ شكلا يدل على جدية الحديث وأهميته ، ويدل أحيانا على غضب يجتهد صاحبه أن يكتمه ••

أفضى الى موظف بالمجلة بعد ذلك أن الحوار بين الرافعى والزيات تناول مسألة الأجر الذى يأخذه الرافعى على مقالاته •

وقرأت كذلك ما كتبه العريان عن الرافعى وحبه للآنسة (مى) فعادت بى الذاكرة الى تلك الجلسة ٠٠ ترى كيف كان الحبيبان : الرافعى ومى يتحدثان ؟ كانا ـ ولابد ـ يتناجيان ٠٠ بالنظرات وبالغزل المكتوب منه ٠٠ والدلال المكتوب أيضا منها ٠٠ وتخيلت « مى » مكان الزيات فى ذلك الحوار ، وأن الرافعى تظهر عليه علامات الغضب وهو يبدى بالكتابة غيرته من العقاد وغيره من المتنافسين على حب مى ٠٠ ويقول لها انه يخلدها فى أدبه ، فترد غاضبة بأنها تخلد نفسها بقلمها وأنها هى صاحبة الفضل عليه لأنها تلهمه ٠

كتب العريان عنه وصفا عجيبا لذلك الحب ، وهو أن الرافعى كان يقصد به أن يكون مادة للكتابة ومصدرا للالهام ـ وقد علقت على هـذا فى باب الأدب والفن وقلت فيما قلت أن الأدب الذى يستلهم من حب مصنوع هو أدب مصنوع ٠ وثار جدل فى هذه المسألة اشترك فيه كامل حبيب ومحمد حسنين مخلوف ، وهما من تلاميذ الرافعى ٠

« كامل محمود حبيب » هذا الاسم الذى اقترن بكثير من المقالات فى الرسالة وغيرها ، وظهر على غلاف كتب فى دراسات عن (طاغور) وترجمات لأشعاره ٠٠ اختفى من عالم الأدب بعد توقف الرسالة ، ولقيته بعدها بضع مرات ، ولم أعلم بعد ومنذ سنين طويلة أين هو ؟ حرام أن يخلو أدبنا من هذا الاسم ٠

وأما محمد حسنين مخلوف فهو أستاذ فاضل صب أدبه فى مؤلفات مدرسـية وفى عقول تلاميذه وقد وصفته فى ذلك المجـال بأنه أديب استهلكته مهنة التدريس ، وكم دارت رحى التدريس على أدباء ، وقد طحنتنى عددا من السنين العجاف ٠

ونعود من هذا الحديث ـ ولا أقول الاستطراد ـ الى الذى جرنا اليه ـ وهو المعاناة المركبة التى لقيتها فى بدء حياتى الأدبية وفى خلال دراستى المدرسية ٠ الواقع أنى لم ألق صعوبة كبيرة فى نشر ما أكتبه ، فقد كانت مجالات النشر مفتوحة أمامى فى الصحافة اليومية التى كان يشرف عليها وعلى الأقسام الأدبية فيها أدباء يفسحون لكل ما يرونه صالحا للنشر ، لا يراعون الا تغذية الصحيفة بالنافع ، فلا شللية ولا منافع متبادلة كالذى نراه ونعانيه الآن كبارا وصغارا ٠ وكذلك كان الحال فى المجـلات الثقافية بوجه عـام ٠ لم أعان صـعوبة النشر فى تلك الفترة ـ الثلاثينيات ـ ولكن الصعوبة كل الصعوبة كانت فى الحصول على « لقمة العيش » و « الأدب يا ابنى لايوكل عيش » كما قال لى أحدهم ،

والصحافة ـ جرائد أو مجلات ـ لا تدفع أجورا للأدب الا للقليل القليل من الأدباء الكبار • وما كان يأتينى من « البلد » انقطع بسبب نزاعات فككت الأسرة وقللت الرزق وغلظت القلوب •

قال لى صديقى الشاعر أحمد زين الذى كان يحمل همى •• اكتب طلبا للجمعية الخيرية لكى تصرف لك اعانة شهرية مدة دراستك ، وأنا آخذ الطلب وأذهب به الى الشيخ مصطفى عبد الرازق رئيس الجمعية أو سكرتيرها لا أذكر تماما ، لست ممن يتقبلون الاعانات الخيرية •• هكذا قلت للصديق ، وقاطعته نحو شهر فاجأنى بعده قائلا : تعال ، أنا أبحث عنك • اذهب الى الزيات ، انه محتاج الى مصحح للرسالة ، وقد تكلمنا فى هذا واتفقنا على أن تقوم أنت بهذا العمل •

ترددت أولا •• فأنا ـ فى نظر نفسى ـ كاتب يريد أن يجول بقلمه ويصول ، فكيف يقصر هذا القلم على تصحيح الأخطاء المطبعية وما ماثلها ؟ ولكن •• ولكنك محتاج ـ قلت لنفسى ـ والمضطر يركب الصعب • ثم انها فترة انتقال •

كنت قد التحقت بدار العلوم وعزمت على اتمام الدراسة بها ، قال لى الزيات وقد هش لى ورحب بى : ان عملك ليس مقصـورا على الأخطاء المطبعية ، بل يتناول كتابة الكتاب وتصحيح ما فيها من أخطاء ، وأنت ستكون ان شاء الله مدرسا للغة العربية وتصحح كراسات الانشاء ، وعملك هنا لا يختلف كثيرا عن تصحيح الكراسات •

وكان الزيات يهتم جدا بنظافة المجلة من الأخطاء النحوية واللغوية ، وكان قلمه أو قلم المصحح يجرى على ما يقع منها فى أى مقال مهما كان صاحبه • ولما وثق بى ترك لى الأمر ، ثم صار يعهد الى بقراءة المواد واختيار الصالح منها للنشر • وبهذا تطور عملى معه الى ما يشبه عمل نائب رئيس التحرير ، وفى فترات كان ينقطع فيها عن العمل لمرضه أو سفره كنت أقوم بالعمل كله •

وللدقة فى تصحيح الرسالة وسلامتها من الأخطاء كانت تأخذ طريقها سهلا الى المدارس والمعاهد ، وكان اشتراك وزارة المعارف فى عدد كبير منها من المقومات المادية لها •

كنت أعمل بها فى الفترة المسائية ، وفى الصباح المبكر أذهب الى دراستى فى دار العلوم حتى الساعة الواحدة بعد الظهر • ولم يكن لدى وقت كاف للاستذكار ومراجعة المحاضرات ، لهذا كنت أصغى جيدا الى الأساتذة حتى أستوعب المادة ولا أحتاج الى كثير من الاستذكار • والواقع أنى كنت قبـل أن أدخـل دار العلوم على مستوى لا بأس به فى مواد

الدراسة بها ، وخاصة اللغة العربية وأدبها ، ولم يكن جديدا على الا أشياء مثل التربية وعلم النفس واللغة العبرية واللغة الانجليزية التى لم أستطع النطق بها حتى الآن لتعلمها فى الكبر · أما اللغة العبرية فلم يبق منها فى أذهاننا شىء بعد الامتحان · وكان يدرسها لنا الدكتور على العنانى وان كان يقضى معظم وقت الدراسة فى حديث عام كله ثقافة وفكر يشدنا اليه فرحين به وبتخلصنا من ثقل العبرية · وكان يريحنا أيضا من عبء تحصيل هذه اللغة بالسخاء فى درجات الامتحان حتى لم يكن يرسب فيها أحد · وكان هذا الأستاذ الجليل يدرس الفلسفة الى جانب العبرية، وكان فيلسوفا له نظرات وأفكار خاصة ، ولكن فلسفته كان يسودها الاستخفاف بكل شىء ، كان ساخطا على طه حسين لا يذكره بخير ، اذ كان زميلا له فى البعثة الى فرنسا ودرسا معا فى (السربون) وكان يصفه بالتهريج وعدم الوفاء لأصدقائه ·

وكان الدكتور على العنانى جريئا لا يعبأ بشىء ، أذكر له — بالاكبار — موقفا انفرد فيه بتصرف جرىء ·· كان النحاس رئيسا للوزارة ، وعرف فى ذلك الوقت أن زوجته تستغل المشروعات الخيرية فى جمع المال · ودعى الى « مشروع البر » وتبنته الحكومة ، وتبرع له رئيسها بقدر من المال · وفرض على جميع موظفى الحكومة أن يتبرعوا بمرتب يوم ·· وجىء الى الدكتور على العنانى وهو يلقى علينا ما اعتاده من الأحاديث الشائقة الساخرة ببعض الأوضاع ، وجىء اليه بورقة التبرع فقرأها بصوت مسموع :

« احتذاء بحضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء أتبرع بيوم من مرتبى لمشروع البر » ·

وتناول القلم ووضع (لا) قبل (أتبرع) وأردف وهو يكتب بصوت مسموع :

« وانما أتبرع من تلقاء نفسى وقتما أريد وبما أريد ·· وليس لأحد أن يسألنى عن ذلك ! » ··

كدنا نهتف ونصفق لولا أن عقدت الدهشة ألسنتنا ولولا احساسنا بأن ذلك قد يسبب له حرجا ·

وكانت قد بدأت تصرفات من مثل ذلك المشروع تخلخل وفدية الواعين من الشعب · ومنها فرقة « القمصان الزرق » التى كونها الوفد من الشباب وألبسهم قمصانا زرقا ·· لكى يقابل أو يقاوم بهم فريق

« القمصان الخضر » الذى ألفه الحزب الوطنى ٠٠ وقد راجت دعوة هذا الحزب فى ذلك الوقت ازاء « الحذر » الذى حد من تيار الوفد بعض الشىء ٠

وكم ضحكنا وسخرنا فى « ندوة قهوة الحلمية » لكلمة قالها ماسح أحذية يسمى الروبى كان يلازم القهوة ، وقد غاب مدة ثم عاد ، وسأله أحـــدنا :

ـ أين كنت يا روبى ؟

ـ كنت فى ٠٠ عبارة القمصان الزرق ٠

ـ ولماذا تركتها ؟

ـ لقيتها لملمت !

يعنى أنها جمعت كل من هب ودب من كل من يترفع ماسح الأحذية عن أن يكون منهم !

الفصل الرابع

قضيت أربع سنين فى العمل بمجلة الرسالة على النحو الذى سبق بيانه ، من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٤٠ وهى السنة التى تخرجت فيها فى دار العلوم ، لم أكتب فى تلك المدة الا قليلا جدا اذ كانت الطاقة والوقت جميعا مبذولين فى المجلة وفى الدراسة ، ولم أكن فى أعماقى سعيدا ·· حقا نلت استقرارا ماديا لا بأس به ، وكان نصب عينى هدف الوظيفة بعد التخرج وكانت الوظيفة اذ ذاك لها شأن أى شأن ·· حتى « البنت » التى تعلقت بها تعلقا لم يبلغ درجة الغليان فى الحب ·· علقت بى هى أيضا · قالت لى دون أن آتى للزواج بسيرة : أنا مستعدة أنتظرك سنتين ، وكان قد بقى لى فى الدراسة سنتان · أشعرتنى بهدفها المباشر ، فجفلت منها ، والذى أريد أن أقوله هو أن الوظيفة كان لها شأن أى شأن · ومع ذلك لم أكن سعيدا ، كان هناك شىء ينغصنى ويشعرنى أحيانا بالتعاسة والضياع ، وكنت أشعر أنى أقف فى « الطابور » لاستخراج (بطاقة تموين) هى الشهادة التى أعين بها فى وظيفة ·· كنت أشعر بالتعاسة والضياع لأنى لا أكتب ، ولا أقرأ كما أريد أن أكتب وأقرأ ، ولا أذهب الى الندوات الأدبية وأشترك فيما يدور فيها من مناقشات وطرائف ·

وا شوقاه الى البؤس ·· الى الصعلكة ·· الى اسمى يتوالى ظهوره بحروف المطبعة تحت مقال أو قصة ·· والأرزاق على الله ·

قال لى مرة زميلى الطالب (أحمد مخيمر) الذى هو الآن شاعر كبير وان كان لم ينل حقه من التقدير ـ قال لى وهو يسخر منى لأنى أجادله فى طه حسين :

ـ « يا ابنى ·· طه حسين لما كان فى سنك كان يملأ الدنيا ·· » ·

حزنت ، لأن هذه الكلمة نكأت جرحا غائرا فى نفسى ·· أريد أن أملأ بقلمى ولو ركنا واحدا من أركان هذه الدنيا ··

قلت انى نلت (استقرارا ماديا) والحقيقة أن هذا شىء نسبى ، فقد كان ما آخذه من الرسالة لقاء عملى بها قليلا ، ولكنه « قليل دائم خير من كثير منقطع » • وكان ذلك القليل لا يصلح الا لمواجهة ضرورة العيش ، ولكنى تعودت على التقشف الذى بدأ معى مع بدء الحياة •• وقد أكسبنى هذا شيئا من القناعة فى مطالب الحياة المادية لازمنى حتى اليوم، كما أكسبنى قدرة على « الاستغناء » وأذكر أنى قرأت مقالا لسلامة موسى بهذا العنوان (فلسفة الاستغناء) كان له فى نفسى وفى سلوكى أثر كبير ، وما يزال •• أوضح سلامة موسى فى ذلك المقال أن الانسان يستطيع أن يسمو بالتحرر من الرغبات التى يعوق السعى لتحقيقها ما يريد أن يحققه من فكرة عامة أو حياة كريمة خالية من المذلة ، وضرب مثلا لذلك « غاندى » الذى استغنى بلبن عنزته فى الغذاء وبغزل مغزله فى الكساء ، فزلزل بذلك أركان الاستعمار الانجليزى •

وكانت هناك مشكلة الحصول على الكتب لاشباع النهم الى القراءة ، وقد حللتها من أول الأمر تلقائيا من غير تفكير ، فان النهم نفسه نشأ مع الحل •• نشأ فى (دار الكتب) تلك (الجامعة) العتيدة العريقة القائمة فى ميدان أحمد ماهر (باب الخلق) بالقاهرة ، هى الجامعة التى تخرجت فيها • كنت أشبع فيها نهم القراءة وأغرق فى بحار كتبها همومى •• وكان دق الجرس ايذانا بانتهاء الوقت والانصراف يقطع على حبل السعادة بالقراءة ، فكان وقعه على نفسى مختلفا عن دق جرس الانصراف فى المدرسة الذى وصفه شوقى بأنه مطرب ، فى هذا البيت الذى يصور فيه حال التلاميذ :

لهم جرس مطرب عند الرواح
وليس اذا جد بالمطرب

الشبان الأدباء المفلسون الآن •• يلجأون الى « سور الأزبكية » كى يشتروا ما يروق لهم مما عليه من كتب بقروش قليلة ، أما أنا – فى زمانى – فلم يكن لدى قروش أشترى بها كتبا •••

ومن القليل الذى كتبته فى هذه الفترة ، بل هو أهم ما كتبته فيها وان لم أكن موفقا فيه •• نقد لديوان « هكذا أغنى » وهو الديوان الثانى لمحمود حسن اسماعيل بعد « أغانى الكوخ » •

رأيت محمود حسن اسماعيل أول مرة ونحن نبدأ الدراسة فى السنة الأولى بدار العلوم ، وكان هو قد تخرج فيها فى هذه السنة • كنا

فى قاعة الدرس . وكان الأستاذ المحاضر هو « محمد هاشم عطية » وكان هذا الرجل عالما فى الأدب وأديبا ذواقة ، وكان أستاذا جامعيا مثاليا ، وكانت هذه الصفة تتوافر لغيره كذلك من أساتذة « الدار » وان لم تكن كلية تابعة للجامعة فى ذلك الوقت ، وأقصد بتلك الصفة الروح الأبوية التى يضفيها الأستاذ على تلاميذه ... كنا نشعر أن « الدار » حقا دار .. تعيش فيها أسرة متعاطفة متحابة ..

كان مما يطلب منا فى دار العلوم أن نحفظ كثيرا من الشعر والنثر، وكنت متخلفا فى هذا المضمار ، أقرأ كثيرا ولكن لا يكاد يثبت النص فى ذاكرتى بحرفيته . وتحدثت بذلك الى أستاذى هاشم عطية فيما بينى وبينه ، وكانت فرصة الحديث المنفرد بين الأستاذ والطالب متاحة على نطاق واسع ، وفى ظلال الروح الأسرية التى أشرت اليها .

قال لى الأستاذ :

ـ ألست تستطيع أن تحفظ ولو بيتا واحدا هو مطلع القصيدة ؟

ـ ممكن .

ـ يكفى ..

ـ كيف ؟

ـ عندما أطلب منك أمام الطلبة أن تسمعنى معلقة امرىء القيس مثلا تنشد المطلع : قفا نبك ... الخ ، وأنا أسألك أن تشرح البيت وأن توضح أشياء فيه أو ملابسة له . وأنت ـ كما أعرفك ـ ستجيب وتحسن الاجابة ، وأكتفى منك بهذا .

جاء محمود حسن اسماعيل الى أستاذه وأستاذنا هاشم عطية فى أثناء المحاضرة ، فهمس له الأستاذ كما يهمس الأب الحانى لولده ، ويظهر أنه كان يساعده فى التعيين بوظيفة ، وقال له : اذهب الى حجرة الأساتذة وانتظرنى هناك ، وخذ لك فنجان قهوة .. ولكن « محمود » قال وهو يدلف الى مقعد خال بيننا : بل سأقعد وأستمع ..

وعلى أثر ذلك عملت فى « الرسالة » ، وكان محمود بدأ ينشر شعره فيها ، وتكررت مقابلاتنا هناك ، وانعقدت بيننا صداقة ، وصدر ديوان « هكذا أغنى » وبطبيعة الحال أهدى الى نسخة .

اندفعت الى نقد الديوان نقدا قاسيا .. كانت لا تزال تتملكنى الروح الكلاسيكية التى تناولت بها قصائد « شعراء الموسم » وكان محمود قد بدأ يقول الشعر متحررا من التقليد ، سالكا طريقا جديدا خاصا ،

فيه خروج عن التعبيرات المألوفة ، مستحدثا صورا شعرية تعتمد على استعارات غريبة تبدو أحيانا غير مفهومة ٠

وكانت فى طبعى « سذاجة » تجعلنى أتمسك بسلوك مثالى فى النقد ٠٠ اذ أفترض أساسا أن « المنقود » سيوسع صدره للحق ٠٠ وانني يجب ألا أراعى فيما أتناوله الا الحق ، ولا شىء الا الحق ٠٠

واذا كانت الكلاسيكية قد تخلخلت عندى وتخلصت من سيطرتها المطلقة فيما بعد ، فان « السذاجة » ظلت تلازمنى حتى أكسبتنى خصومة ناس أقلها استثقال دمى ٠٠ وأفقدتنى كثيرا مما تعزيت عنه بفلسفة الاستغناء ٠٠

بذينك الدافعين : المزاج الكلاسيكى و « السذاجة » أهويت على ديوان صديقى محمود حسن اسماعيل ٠ وانزعج هو ، وذهب عنه النوم ليالى أسبوع كامل ٠ كما قال لى بعد ٠٠ وظن بى الظنون : تخيل أنى أداة تنفيذ مؤامرة دبرتها له جماعة تخاصمه وتنفس عليه ٠٠ واصطلحنا ، واستمرت صداقتنا ، لا أقول صافية ، بل كدرتها أحيانا تلك السذاجة الملعونة ٠٠ وكانت تنصب على مكانه فى الاذاعـة وتعرض لها بالنقـد الشديد المستمر فى باب الأدب والفن الذى كنت أحرره بالرسالة فى فترة تالية ٠

أذكر أنى كتبت مرة بعنوان « أساطين الاذاعة » أطالب فيه هؤلاء « الأساطين » بالتنحى عن قيادتهم للعمل الاذاعى ـ وكان منهم شاعرنا ـ ان أرادوا اصلاح الاذاعة ٠ كان أولهم المدير العام « محمد قاسم » الذى أدلى بحديث صحفى بعد عودته من رحلة فى الخارج طاف فيها على دور الاذاعة فى بعض البلاد المتقدمة ، وقال فى الحديث انه يزمع الاصلاح فى الاذاعة على ضوء ما شاهده هناك ٠ قلت ان محمد قاسم من رجال التعليم الفضلاء ولكنه أقحم على الاذاعة وهو ليس من ذوى الاختصاص فى أدب أو فن أو أى شىء مما يتعلق بالاذاعة ، وكان له قريب ولعله أخ من الكبار فى القصر الملكى ، وقلت عن محمود أنه شاعر يهيم بخياله فى كل واد ٠٠ وليست الاذاعة من وديان الخيال ٠٠ والواقع أنى بعد نقد ديوان « هكذا أغنى » لم أهاجم صاحبه فى الشعر ، بل على العكس بدأت أقرأ شعره بصبر ، وشعره يحتاج فعلا الى صبر ، وأتذوقه وأعيش معه فى أشواقه الانسانية العليـا وكفاحه فى التعبير الشعرى للتحرر من كل ما يعوق الانسان عن مراميه الكبيرة ، متغاضيا عن بعض « الشطحات » والاستعارات البعيدة الغامضة ٠٠ وظللت مواكبا له حتى اليوم ٠ وقد أحسست معه فيما قاله قبل حرب أكتوبر الخالدة ـ أحسست كما أحس بفقد وجهه

سنة ١٩٦٧ ·· اذ طالب فى أبيات لا أذكر نصها باستعادة هذا الوجه ، وما أخاله الآن الا قرير العين بعودته ·

وأذكر شيئا حرت فى تعليله وهو موقف لابراهيم عبد القادر المازنى من شعر محمود حسن اسماعيل ، وذلك أن شاعرنا دخل بأحد دواوينه مسابقة مجمع اللغة العربية فى الشعر ، ففاز هو وشاعر آخر لا أذكره بالجائزة ·

وفى حفل توزيع الجوائز تحدث المازنى ، وكان عضوا بالمجمع ، عن الفائزين فى الشعر ، فقال بعد مقدمة تتضمن أن خير الشعر أعلاه ، وأن الشعر الوسط لا قيمة له ·· قال ان اللجنة نظرت فيما قدم اليها من الشعر فرأت أنه كله من الوسط فما دونه ، وأنها رأت منح أحسن المتقدمين الجائزة على سبيل التشجيع ·· مفضلة ذلك على حجب الجائزة ··

فهل كان ذلك هو رأى المازنى فى شعر محمود ! قيل ان المازنى غاضب ساخط على الشاعر لتصرفات منه فيما يتصل بأحاديث المازنى فى الاذاعة جعله يقاطع الاذاعة ويقطع أحاديثه فيها ·· والله أعلم ·

والواقع المؤسف أن محمود حسن اسماعيل لقى عنتا كبيرا متصلا ، من النقاد والأدباء ومن غيرهم · والذى يستوقف النظر ان بعض الذين كان يرجى أن يقدروه لم يقدروه ·· ولابد أن يذكر التاريخ فى مقابل ذلك فضل « محمد محمود باشا » رئيس الوزراء فى مطلع شباب محمود ـ فضله فى تقدير الشاعر الشاب ورعايته ، عينه عقب تخرجه فى وظيفة بالمجمع اللغوى ، وكانت الوظائف اذ ذاك عزيزة المنال ، ويظهر أن شاعرنا الشاب داخله شىء من الغرور حمله على التهاون وعدم مراعاة الحضور والانصراف كغيره من الموظفين ، وكان مراقب المجمع الشيخ عبد العزيز البشرى ، ولم يعجبه حال الشاب الشاعر ، فاستدعاه الى مكتبه وقال له :

ـ اذا أضرب الخبازون عن العمل فماذا تكون النتيجة ؟

ـ لا يجد الناس الخبز ويجوعون ·

ـ واذا أضرب الكناسون ؟

ـ تتراكم الأوساخ والقاذورات فى الشوارع ·

ـ واذا أضرب الشعراء ··· ؟

ـ اتفضل يا أستاذ « شوف شغلك » ·

وشكا محمود الى محمد محمود باشا ، فنقله من المجمع الى الاذاعة

ـ والواقع أن محمود حسن اسماعيل فيه ـ برغمابتسامته الصافية ـ جفوة واستيحاش ، لعل الجفوة من أثر نشأته وما لابسها من شدة فى الصعيد ، أما الاستيحاش فيبدو لى أنه جنوح الى عالم بعيد كالذى يصوره فى شعره ممزوجا بتلك الشطحات ..

ويبدو لى أيضا أن المازنى قد أصابه رشاش من ذلك الطبع الجافى المستوحش .

وكان المازنى عظيما ، رجلا وأديبا . أذكر فى أول عهدى بالكتابة وفى مطلع الشباب أنه كتب نقدا فى جريدة البلاغ لكتاب أصدره كامل كيلانى باسم « أساطير ألف يوم » وكنت قد قرأت هذا الكتاب وسرتنى قصصه التى كتبها كامل كيلانى للناشئين فى مستوى فوق مستوى الأطفال . وهذا قليل جدا فى عالم القراءة عندنا حتى الآن ، مع فائدته وضرورته للانتقال من القراءة الطفولية الى قراءة الكبار .

لما قرأت نقد المازنى بدت لى أوجه فى الرد عليه ، فكتبت هذا الرد وأرسلته الى جريدة البلاغ ، فتلقاه المازنى ، وكان مشرفا على الصفحة الأدبية ، فنشره وعقب عليه تعقيبا آلمنى .. لم يتعرض لمضمون الرد ، بل كتب ما يشير الى اتهام كامل كيلانى بأن له يدا فى الرد ان لم يكن هو كاتبه ، وزاد على هذا أن ذلك مما يزهده فى نقد الكتب ، بل أكثر من ذلك .. أعلن الكف عن هذا النقد ..

ثارت نفسى وامتلأت غيظا ، فكتبت ردا عنيفا ، وأذكر أنى قلت فيه أنه لا يصح أن يكتب ما يكتب ثم يعتصم منى فى « قلعة التقديس » ، لا أزال أذكر هذا اللفظ . وذهبت بالرد الى المازنى نفسه فى مكتبه بالجريدة . قدمته اليه قائلا : أنا كاتب الرد الأول وليست لى صلة شخصية بكامل كيلانى .. تناول ردى وألقى عليه نظرة سريعة وقال فى شبه ابتسام : « طيب حاضر » وانصرفت راضيا عن نفسى لأنى فعلت ما يجب أن أفعل ، اذ جابهته بما أريد ولينشر الرد أو لا ينشر ، سيان .

وفى اليوم التالى رأيت ردى منشورا فى البلاغ كما هو. لم تحذف منه العبارات الشديدة الموجهة الى الرجل العظيم . التقيت بكامل كيلانى بعد ذلك بسنوات وقال لى : لا أنسى أنك هاجمت الأسد فى عرينه . ولكنى لم أغتر بهذا . فقد استقر بنفسى أن الأسد أكبر نفسه من أن يصغر فى مدافعتى ، فمكن لى من الهجوم عليه ..

وكانت لى مواقف بعد ذلك مع المازنى فى خلال كتاباته فى السنوات الأخيرة من حياته ، تلك الكتابات التى أسرف فيها على نفسه وابتذل بها

قلمه استجابة لاغراء بعض الصحف والمجلات التى كانت تتنافس فى الاثارة واجتذاب القراء بوسائل منها نشر الصور شبه العارية للممثلات والراقصات وغيرهن . وأذكر أنى كتبت فيما كتبت عن ذلك مقالا بعنوان « أفكار عارية » نقدت فيه مقالا للمازنى بأخبار اليوم تضمن حوارا بينه وبين بائعة برتقال ، غازلها فيه غزلا مكشوفا .. اذ قالت له أن عندها برتقالا « بصرة » فقال لها انه يريد ما تحت الصرة ..

ومما يذكر أن اسفاف الصحافة ونزوعها الى الاثارة بشتى الوسائل واغراء كبار الأدباء بالكتابة الخفيفة المسلية اقترن كل ذلك بالفساد العام فى السياسة والحكم والادارة . وتصدت لذلك بعض الأقلام الحرة فى « الرسالة » وغيرها وان كان فى مجالات ضيقة . وشملت الحملة بعض الشقيقات العربية ، حتى منعت الرسالة مرة من دخول العراق بسبب كتابة لأنور المعـداوى ، ومنعت مـرة أخرى من دخول المملكة العربية السعودية لكتابة من كاتب هذه السطور ، ولم يكن ذلك سهلا على المجلة التى كانت توزع فى البلاد العربية أكثر مما توزع فى مصر ، وكانت تعد مجلة عربية عامة لا مصرية خاصـة ، وبرغم ذلك لم يأبه صاحبها « الزيات » بهذه الخسارة على ما كان يتصف به من الحرص المادى .. فقد كان الى جانب هذا الحرص حريصا على حرية الكلمة ، ولك أن تقول أن هذا من ذاك . بمعنى أن اطلاق الحرية فى المجلة يكسبها حياة وقوة ، والخسارة الوقتية يعوضها ربح دائم ..

وأذكر ممن كانوا يشتركون فى تلك الحملة القلمية سيد قطب . كان يقول للقراء عن أهل الصحافة المسفة المثيرة : انهم لا يعطونكم شيئا ، فهم يقدمون لكم الصور ويحتفظون لأنفسهم بالأصل .

وسافر سيد قطب الى أمريكا سنة ١٩٥٠ مبعوثا فى رحلة ثقافية من وزارة المعارف ، وجرت بيننا رسائل خاصة تحولت الى رسائل عامة كنت أنشرها فى الرسالة لأنها كانت تخوض فى مسائل عامة هنا وهناك ، قلت له فى احدى الرسائل انى « قرفان » من الأحوال الجارية ، فرد على يلومنى على هذا « القرف » لأنه من أضعف الايمان .. ويجب أن يكون « سخطا » .

كان سيد قطب صديقى ، وكنت أعهد فيه النزعة القوية الى الاصلاح، ولكنى لم أكن ألمس فيه الروح الدينية التى اتسم بها أخيرا ، قال لى مرة ان فائدة الدين أن يمسك بقطعان الناس عن الشرود ، وبذئابهم عن الفتك. وقد دهشت لانتمائه الى الاخوان المسلمين وانهماكه فى « الدعوة » وأسفت لحرمان النقد الأدبى من قلمه الحر البصير . دعانى مرة الى الاشتراك

فى تحرير مجلة الاخوان قائلا انها ستخصص قسما منها للأدب وأن هذا القسم يحتاج الى ٠٠ وحضرت اجتماعا واحدا للتخطيط ٠ ثم كان منى ما كان يوم دعوتى الى الجماعة فى أول نشأتها ، على نحو ما قلت فيما سبق من هذه الذكريات ، كنت وما زلت لا أنتمى الا لما يهدينى اليه عقلى ٠

وبصرف النظر عما كان من سيد قطب فى المجال السياسى فلا شك أن المكتبة العربية ظفرت منه بمؤلفات ذات قيمة كبيرة فى الدراسات الاسـلامية ٠

ثم نعود الى الحديث عن المازنى ٠ كان الرجل فى تلك الفترة يكافح من أجل العيش كفاحا مرا ٠ بل كان هذا الكفاح طوال حياته ٠ أبى قيد الوظيفة الحكومية من أول عهده بها وعمل حرا ، ولكن الحـرية كانت تستنزف كسـبه وفى بعض الأوقات اضـطر الى بيـع كتبه ، المقتنـاة والمؤلفة ، وفكر فى أن يهجر الأدب ، ولكن عزيمته فى ذلك انصبت على الشعر ، فأنكر شعره ، وأعلن براءته منه ، ولكن الحرفة ، حرفة القلم التى لم يكن له غيرها ظلت تلازمه حتى اتجهت به الاتجاه الأخير ٠ لم يكن له « معاش » من وظيفة سابقة ، ولا دخل من عقار ، أو حتى كتب مما يروج عند الجماهير مثل كتب غيره ، ولم يسع لتقرير كتبه فى المدارس ٠ فاضطر الى كثرة الكتابة فى الصحف والمجلات ليواجه تبعاته ٠

ما كنت أقدر ذلك ، أو ما كنت أعرفه ، وأنا أتابعه بالنقد ٠٠ وقد يكون دافعى الغيرة على القلم الذى رضعنا منه من قبل أدبا « كامل الدسم » كنت أود أن يتمهل هذا القلم ويعطينا كما كان يعطى ، كان يمكن ــ لولا ذلك السيل المنهمر من المقالات الصحفية الخفيفة ــ أن يكون عطاؤه فى فن القصة عظيما ، فقد كانت ثقافته بالمعنى الواسع لكلمة الثقافة ، وكانت موهبته الأصيلة ، والأسلوب الذى كان رائدا فيه من حيث التقريب بين الفصحى والعامية مع المحافظة على سلامة الأولى ونقائها ورفع الثانية الى صحة الأولى ــ كانت هذه الثلاثة مؤهلات فعالة فى الكتابة القصصية التى زاولها فى بعض انتاجه ، ولكنه لم يستمر فيها ، ولم يستغل تلك المؤهلات فى عطاء قصصى كان يرجى منه ٠

ولما مات المازنى تكشف للناس أمر عجيب ٠٠ كان مخزيا للناس ، أمة ودولة ٠ تكشف أنه لم يترك لأسرته وعياله شيئا يذكر ، فلا معاش ولا عقار ولا مدخرات ٠٠٠ وقاد طه حسين حملة قلمية تدعو الدولة الى رعاية أسرة الأديب الراحـل ، وقال انه سيقض مضاجع الوزراء حتى يستجيبوا للدعوة الى هذه الرعاية ، ودعا حملة الأقلام أن يفعلوا مثله ، ولكن بعض الأقلام ومنها هذا القلم ــ شعرت بالخزى من اعلان ذلك

ونشره أمام الناس ، لانه يمس كرامة الأسرة ذاهبة الى أن الأجدى والأليق أن يكون ذلك بالاتصال الشخصى والاجراءات الأخرى غير الكتابة فى الصحف ، وفعلا تم ذلك ، فقد أخذ طه حسين فى السعى عمليا حتى قرر مجلس الوزراء تعليم أبناء المازنى بالمجان فى جميع مراحل التعليم ، وعقب ذلك دخل طه حسين الوزارة وزيرا للمعارف فأتبع القول بالعمل ، وواصل المسعى حتى قرر مجلس الوزراء لأسرة المازنى معاشا شهريا كافيا لا أذكر مقداره . وهو أول قرار فى هذا الصدد ، اذ جاء تقديرا للأدباء خالصا من أى اعتبار لغير أدبهم وأثرهم فى خدمة البلاد وهو كذلك - على ما أعلم - آخر قرار من نوعه . وكان يمكن أن يعد مبدأ قانونيا صالحا للتطبيق فى تقدير الأدباء ورعايتهم هم وأسرهم من بعدهم ، باعتبار ان الانتاج الأدبى الفعال فى تكوين المواطن خدمة جليلة أداها الأديب للدولة ، ولكن ... كم أود ألا يكون شىء بعد « لكن » .

كم يلقى الأدباء فى هذا البلد ، لا تقل لى ان ذلك كان فى الماضى وانتهى .. فما يزال الجحود قائما ، وما يزال الأديب « غير الصحفى » يعيش كأنه منبوذ .

رأيت فى العام الماضى يحيى حقى واقفا ينتظر « الأتوبيس » فى المحطة التى أمام نادى القصة . لماذا نحشر هذا الرائد الشيخ فى الأتوبيس .. ألسنا مسئولين عن ذلك ؟

وتوفيق الحكيم أكبر وأعظم أديب يعيش بيننا وله أستاذيته فى الأدب وأثره فى جيل ليس من الأدباء فقط ، بل فى التوجيه الفكرى والحضارى العام . ألا يساوى هذا الرجل العظيم - من حيث الحقوق المادية وتوفير الراحة والعيش الكريم - صحفيا لا يعمل وفى خدمته سيارتان بسائقيهما وبنزينهما فى ظلال عيش رغد ..

هذان مثالان فقط ، وهناك غيرهما كثير ، وحالة غيرهما « أنأح » .

استمر الجدب الأدبى فى حياتى ، الذى بدأ منه العمل فى تصحيح الرسالة :. استمر فترة أخرى تبدأ بالحصول على « شهادة التموين » أى شهادة التخرج فى دار العلوم سنة ١٩٤٠ كانت لحظة اعلان النتيجة ورؤية اسمى بين أسماء الناجحين من أسعد اللحظات فى حياتى لانى أحسست بالتحرر من « رق الامتحانات » . هكذا كان شعورى . فليست المسألة مسألة منطق يقول بضرورة الامتحانات أو غير ذلك .. انى لا أحب أن أكون موضع اختبار ، وكذلك كنت أرى بعض المواد الدراسية المفروضة لا فائدة منها .. ولهذا لم أنشغل بدراسة الماجستير أو دكتوراه ،

بل كان شوقى الى أن أصدح حرا على أفنان الأدب والتعبير الحر ٠٠ أقول ما أشاء وبالطريقة التى أريد غير خاضع لمنهج يرسمه لى أحد ٠

ولكن كان مقدرا على أن أقضى خمس سنوات أخرى فى « سجن التدريس » وأن تستمر فترة « الجدب الأدبى » هـذه المدة ، لم أبغض التدريس لذاته ، بل كرهت وشقيت بالجدول المزدحم والفصول المزدحمة وأكوام الكراسات ، كان ذلك « مجزرة » يراق فيها دم تطلعى الى العمل الأدبى وحنينى الى القلم ٠

مهلا ، يتراءى لى أن أراجع عبارة « الجدب الأدبى » التى انطلقت من سن القلم فى الفقرة السابقة ٠٠ انها تصح بالنسبة الى عدم الانتاج ولكنها من ناحية أخرى أو أكثر من ناحية لا تصح ، ففى فترة العمل فى تصحيح « الرسالة » كنت أقرأ المجلة كلها مرتين قبل أن يقرأها أى قارىء وان لم يكن لهذه « القبلية » قيمة فى الواقع ، وكذلك كنت أفعل فى مجلة « الرواية » أخت الرسالة قبل أن تحتجب ٠ قرأت فيهما كتبا كانت تنشر مسلسلة « يوميات نائب فى الأرياف » لتوفيق الحكيم وكتب لمحمود الخفيف عن « لنكولن » و (عرابى) وغيرهما ، واكتفيت بتلك القراءة عن اقتناء الكتب ٠

وفى دار العلوم تأصلت دراستى الأدبية العربية وأضيفت اليها دراسات فى الأدب اليونانى القديم وفى الأدب الانجليزى ، وازدادت معرفتى بالعلوم الحديثة وخاصة علوم التربية وعلم النفس والفلسفة ٠

وفى فترة التدريس كنت أختلس بعض الوقت للقراءات المنوعة ٠ واهتممت اهتماما خاصا بروائع الآداب الأجنبية ، ووسع كل ذلك أفقى وأخرجنى من الدائرة الكلاسيكية الى عالم أرحب وآفاق متنوعة ٠

وفى خلال العمل بالتدريس قضيت سنين فى السودان ، ووجدت هناك صدى لمقالات « شعراء الموسم فى الميزان » التى كتبتها ونشرت فى الرسالة « فى فترة الانتاج الأولى » ، رأيت هناك « الظل الأدبى » لحركة الأدبية فى مصر ، مصحوبا بظل آخر للأدب الانجليزى ، هذا هنا وذاك هناك ، فى ازدواجية تفصل بين نوعين من الأدباء والمثقفين ٠ والنوع الأول ليس مقصـورا على الأدب المصرى بل يشمل الثقـافة العربيـة والاسلامية الشاملة ٠ وبرغم ذينك الظلين كان هناك أديب سودانى يحاول أن يقول : هأنذا ٠٠

ورأيت ضباطا من الجيش المصرى فى السـودان بمكتبة النـادى المصرى بالخرطوم سنة ١٩٤٢ ٠ وكنا نذهب الى هذه المكتبة مرتين فى

الأسبوع لنقرأ الصحف المصرية وكانت تأتي « دفعتين » في الأسبوع في « بوسطتين » عن طريق البر والبحر . ولا أظن أنه كان هناك بريد جوى في ذلك الوقت ، وكنا نرتاد المكتبة في أوقات أخرى لطلب كتب مما تحفل به .

رأيت أولئك الضباط الشبان في تلك المكتبة كثيرا ، وأغلب الظن أن بعضهم على الأقل من الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ... كانوا يتناقشون ويحملون على السياسة الحزبية في مصر . دخلت معهم مرة في مناقشة أجمعنا فيها على فساد النظام الحزبي اذ ذاك ، ولكن كانت المشكلة في الحكم الدستورى وهل يمكن من غير أحزاب ، وكيف تؤلف الوزارة اذا لم يؤلفها حزب الأغلبية ؟ ولم تنته المناقشة الى حل لهذه المشكلة ... ...

رحلت الى السودان بعد تلك الفترة ، في أثناء الحكم الانجليزى وبعد الاستقلال وتغيرت الأحوال وامتد التغير الى الأدب وكان لى دور هناك في الحياة الأدبية واشتملت كتاباتى على بعض الشئون السودانية مباشرة أو في استيحاء قصصى .

استوحيت قصة « مات ايدن » المنشورة في مجموعة « الست علية » من موقف اخواننا في السودان من العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ وهى تدور حول ما وقع فعلا من جار لنا هناك سمى كلبه الصغير باسم « ايدن » وزير خارجية انجلترا الذى كان له الدور الأول في ذلك العدوان، وكان الرجل يتلذذ بضرب الكلب كأنه يضرب ايدن .

وكنا هناك أنا وزوجتى وأولادنا الخمسة الصغار ، رحلنا الى السودان سنة ١٩٥٤ طلبا لسعة العيش الذى ضاق باستقالتى من جريدة « الأخبار » التى كنت أعمل محررا بها في المساء الى جانب العمل الحكومى . وكان الدافع الى تلك الاستقالة هو الأدب .. الذى شقيت به طول حياتى شقاء لا أجد للعيش طعما بدونه..وما ندمت قط على حرمان أو متاعب لقيتها من جرائه .. وكثيرا ما آثرت الفقر والأدب !

كنت قد لحقت بجريدة الأهرام ، ثم الأخبار عند انشائها طلبا لسعة العيش والتوسيع على العيال . وما لبثت أن وجدت العمل الصحفى يستنفد طاقتى الى جانب العمل في الوظيفة الحكومية ، حتى لا يبقى من هذه الطاقة شيء يذكر لكتابة باب « الأدب والفن » في الرسالة ، ولحظت انى أكتب هذا بطاقة مجهدة ، فتركته ، وجعلت أكتب في « أخبار اليوم » باب « جولة الفكر » ثم وجدتنى أكتب ما أريد أن أكتب .. وجدتنى

أركض في السباق الصحفى الذى يهدف الى جذب الجماهير بكلام لا غناء فيه ٠٠ حتى ضبطت نفسى متلبسة بكتابة مقال عنوانه على ثلاثة أعمدة هكذا : « الشاعر الذى سجن العقاد وكسر رجل المازنى وأسقط أربع وزارات » ٠

والشاعر المقصود هو « ابن الرومى » وذهبت في المقال الى انه مشئوم وان شؤمه لحق بالعقاد لانه درسه فى كتابه « ابن الرومى — حياته من شعره » فحكم عليه بالسجن وكذلك وقع للمازنى بعد أن كتب دراسات عن ابن الرومى ، اذ وقع له حادث كسرت فيه رجله ، ومددت الخيال المثير الى أربعة وزراء للمعارف قرر كل منهم تأليف لجنة لاخراج ديوان ابن الرومى ، فكانت الوزارة تستقيل عقب القرار ٠٠

وشد على يدى رئيس التحرير محييا مثنيا على ذلك المقال ، ولكنى لم أكن راضيا عن نفسى ٠

وفى السنتين اللتين قضيتهما فى « الأخبار » لمست الفرق الكبير جدا بين الصحافة التى عملت بها عندما بدأت أمسك القلم ، والصحافة التى انتهيت اليها فى أوائل الخمسينيات ، وذلك فى بؤس الماضى وسوء المعاملة فيه ، ورغد الحاضر وحسن المعاملة فيه ٠ وكذلك فى تقدم الفن الصحفى الذى تم على يد على أمين ومصطفى أمين أستاذى الصحافة الحديثة فى مصر وسائر بلاد العرب ٠٠ بلا شك ولا حق لمنازع ٠

ولكن المفارقة التى أقضت مضجعى ولاحقتنى جرائرها هى الموقف الأدبى الجاد ٠٠ كانت الصحف اليومية « زمان » تخصص صفحة للأدب كل يوم ، كما تفعل الصحف الآن بالنسبة للرياضة والكرة ٠٠ ثم صارت الصحافة على تقدمها فى الفن الصحفى لا يعنيها من الأدب الا أخبار تافهة وكتابات مثيرة ، وصارت تنظر اليه على انه « طفيلى » يجب طرده اذا جاء « اعلان » أو وقع مكروه أو حادث سعيد لمغنية أو ممثلة أو راقصة ٠

الفصل الخامس

فى سنة ١٩٤٦ كان أحمد أمين مديرا عاما للثقافة بوزارة المعارف ، وهى الوظيفة التى تولاها طه حسين عند انشائها ، ولم يمكث فيها أحمد أمين طويلا ، وقال يومئذ انه يخيل اليه ـ كلما دخل الوزارة ـ أنه يدخل قسم بوليس ! عاد الى أستاذيته فى الجامعة .

المهم أنى ذهبت اليه فى الوزارة ، وطلبت أن أنقل من التدريس الى ادارة الثقافة ، وكان فى هذه الادارة مجموعة من الأدباء منهم سيد قطب وسعيد العريان ومحمود غنيم . لبى الأستاذ طلبى على أن أضم الى لجنة مؤلفة لتحقيق ديوان ابن الرومى واخراجه اتخذت مقرا لها فى حجرة بسطح المجمع اللغوى الذى كان فى شارع قصر العينى . وفى هذه الحجرة بالسطح بدأت أكتب .. بدأت أستحث القلم الذى طال ركوده ، لم أجد هناك أى عمل آخر . عرفت أعضاء اللجنة بالاسم .. ولم ألتق بهم لمدة طويلة ..

مسكين ابن الرومى .. لم يصدر ديوانه كاملا حتى الآن ، فى الحجرة مختارات من شعر ابن الرومى لكامل كيلانى ، والجزء الأول من الديوان حققه ونشره « محمد شريف » ثم توقف عن اصدار بقية الأجزاء ، وهناك النسخة المخطوطة للديوان الكامل يعلوها الغبار .. نفضت الغبار عن الديوان وقرأت فيه قصائد طويلة ، فى المدائح وغيرها ، وانتهيت منها الى أن قلت : يستاهل .. أقصد أن ديوان ابن الرومى هذا يستأهل هذا الاهمال .. فان خير ما فيه هو المختارات التى نشرها كامل كيلانى ، وعليها اعتمد دارسو ابن الرومى كالعقاد فى كتابه عنه ، والمازنى فى بعض فصول كتابه « حصاد الهشيم » وما أظن أحدا من هؤلاء الدارسين المعاصرين قرأ من شعر ابن الرومى غير تلك المختارات التى لا تبلغ الا نحو العشر من ديوانه الكامل المخطوط .

وعرفت فى هذه الأثناء محمد عبد الحليم عبد الله الموظف بالمجمع اللغوى والأديب الناشىء الذى يعد نفسه ليكون القصاص الذى عرفه

الناس ، وطالما قرأ على قصصا قصيرة فرغ من كتابتها ونحن نتمشى على سطح المجمع ٠

المهم أيضا أنى بدأت أكتب فى « الرسالة » وعاودت الاتصال بأستاذى الزيات الذى شعرت نحوه من أول لقاء حينما قدمت له مقالات « شعراء الموسم فى الميزان » منذ سنين وما تلى ذلك من العمل فى تصحيح المجلة وتحريرها ـ شعرت نحوه بروح عائلية توطدت على مر السنين ، شابها بعض الشوائب فى بعض الأحيان ، ولكن هذه الشوائب لم تجاوز قسوة الأب الحانية ٠٠ وعقوق الابن البار ٠٠

وكان الوجه الآخر لعلاقتى بالزيات مشرقا ، اذ كان يبذل لى الود والكلمة الطيبة وما يشبه الأبوية فى بعض المناسبات ٠

ولكنى أحسست بالثورة عليه فى موقف وجدته فيه قد تجاوز الحد فى الشح ٠٠

جاء اليه صاحب مجلة « الحديقة والمنزل » واتفق معه على طبع هذه المجلة بمطبعة الرسالة ٠ وعهد الى بتصحيحها ، فلما جاء أول الشهر ومضت منه أيام ولم آخذ أجرا على هذا التصحيح طالبت صاحب المجلة بالأجر ، فدهش قائلا : ألم يعطك الزيات ٠٠ ؟ وكان معنى ذلك أن الاتفاق بينهما يشمل التصحيح ٠٠ ولكن الزيات تغاضى عن أجرى ٠٠

رفضت الاستمرار فى تصحيح « الحديقة والمنزل » ولم يتعقد الموقف طويلا ، فقد قابل الزيات ثورتى بصمت ، وحل المسألة بأن تولى هو تصحيح مجلة الحديقة والمنزل ٠٠

وكان اذ ذاك يعد لبناء عمارة فى حى عابدين نقل اليها بعد اتمامها مسكنه والمطبعة وادارة المجلة ٠ ولما بدأنا العمل فى العمارة الجديدة وقفت على طريقة غريبة كان يتبعها الزيات فى كتابة مقاله الذى يفتتح به الرسالة ٠

كان يعتكف فى مسكنه يوم الجمعة ، لا يبرحه ولا يقابل أحدا من الخارج ، ويوم السبت يشرع فى كتابة المقال ، على أقساط يبعثها قسطا قسطا الى المطبعة ، ثم يقوم هو بتصحيح التجربة (البروفة) المطبعية ، وكان العمال يشكون من خطه ومن خط عبد الوهاب عزام الذى كان رديئا جدا ٠

ويتم اعداد المجلة مساء السبت ، وتصدر الى السوق يوم الأحد حاملة تاريخ الاثنين التالى كبقية المجلات التى تظهر فى اليوم السابق

لتاريخها ، ولابد أنها كانت تصل الى الشقيقات العربية أو على الأقل الى سوريا يوم الاثنين ، فقد كان اخواننا السوريون يحدثوننا بأنهم يعدون أيام الأسبوع هكذا : السبت ، الأحد ، الرسالة ، الثلاثاء ·· الخ ·

نحن نعرف ما أثر عن أحد النقاد العرب القدامى من قوله : ان الناس تنظر الى القصيدة ذاتها ولا تسأل فى كم قالها الشاعر · وكذلك مقالة الزيات يعجب بها القراء ولا يسألون فى كم كتبها ·

كان صديقى الشاعر أحمد الزين معجبا بكتابة الزيات الى درجة الهوس ، حتى كان يهتف وهى تقرأ عليه (كان ضريرا) : الله ·· الله ، وكان يهتم بأن يعرف رأيى فيسألنى : ألا تعجبك ؟ فأقول : انها مثل الدوامة تلف حول نفسها وتحدث منظرا ولكنها لا تنطلق كتيار النهر ·

كان ذلك رأيى أولا فى كتابة الزيات ، ولكن عندما رأيته يكتب مقالات الثالوث : الجهل والفقر والمرض ، ورأيته يحمل على الأغنيـاء المتحكمين فى الفقراء التفت اليه بشدة ، وهالتنى روعة المضمون التى تتحلى بجمال الشكل ·· كتبت مرة أقول : ان نثر الزيات يغنى ويطرب كأروع الشعر ·

ألقيت عن كاهلى مزاعم الحاقدين على الزيات القائلين بأن أدبه أدب كساء ، فوجدت الكساء الجميل يكسو جسما جميلا ، ولماذا نأبى الجمال فى الكلام ونحن نعشقه فى كل شىء ·· ؟ لماذا نسمى العنب حصرما كما سماه الثعلب لأن ذيله قصير لا يطوله ·· ؟

كانت قد مضت عدة سنين منذ تخرجت وعينت مدرسا وتركت العمل فى مجلة الرسالة ، ولم أر الزيات فى خلال هـذه السنين التى قضيت معظمها فى السودان ·

أحسست أنى عدت الى « بيتنا » بعد غربة ، واستقبلنى الأستاذ مرحبا سائلا عن أولادى وكيف هم ، ورددت بما يناسب ، وقصصت عليه أطرافا من هنا وهناك ، كنت مثل ولد عاد مشتاقا بعد غيبة ، وكان هو كوالد يفرح لمجىء ولده ·

كتبت أولا مقالات متفرقة ، ثم اخترت عنوانا ثابتا هو « تعقيبات » كتب تحته بعد ذلك محمد فهمى عبد اللطيف بتوقيع « الجاحظ » ثم أنور المعداوى ، وفى واحد من تلك التعقيبات هاجمت جماعة « أدباء العروبة » التى يرأسها ابراهيم دسوقى أباظة باشا وزير المواصلات ، ورد الوزير الأديب بكلمة أردت أن أعقب عليها ، فقال لى الزيات : يكفى ما كتب فى الموضوع منك ومنه · وشعرت ــ ان صدقا أو وهما ــ أنه

يجامل الرجل الكبير ولا يأبه بى كانسان صغير الشأن ٠٠ فامتنعت عن الكتابة مدة لقيت فى خلالها « ثروت » ابن الباشا الأديب الكبير ، وثروت ولد طيب كما لا يزال ، تحدثنا فى الموقف ، فأبدى أسفه لانقطاعى عن الكتابة ، وقال فى طيبة بالغة ، ان لم يكن عندك مانع فانى أكلم والدى ليصلح بينك وبين الزيات ٠٠ فرفضت طبعا وأنا مأخوذ بهذه الطيبة ٠٠

ثم جاءنى فى المجمع اللغوى حيث أعمل محمد عبد الرحمن ، شاب ريفى تعلم حتى الشهادة الثانوية ، وكان من « رزق » الزيات ٠٠ خدمه بأمانة واخلاص وهو يقوم بكل الأعمال الادارية والحسابية الخاصة بالمجلة لقاء مرتب « زياتى » زهيد ٠٠

جاءنى ذلك الشاب رسولا من الزيات لكى أحرر باب « الأدب والفن فى أسبوع » وكان يكتب هذا الباب محمود محمد شاكر فى فترة سابقة على طريقته المعروفة فى تناول التراث الأدبى العربى ، وهى طريقة لها قيمة فى ذاتها لا تنكر ، ولكن الباب يتطلب نهجا آخر يتابع الانتاج الحديث المتجدد والقضايا الأدبية المثارة والأحداث الجارية فى مجال الأدب والفن ٠

كانت الكتابات السابقة تنشر بالمجان كغيرها مما ينشر فى المجلة ما عدا القليل من كبار الكتاب المحترفين ٠٠ الكتاب فقط ، أما الشعر فلم يكن له أى مقابل مادى ، قال لنا مرة محمد سعيد العريان ، وكان يحدثنى أنا وأنور المعداوى : أنتم تأخذون نقودا من الزيات ٠٠ يا بختكم ! أنا نفسى أذوق نقود الزيات ٠٠

قلت لأبى الزيات بروح الابن الذى يعرف طبع أبيه : كم تعطينى ؟ نظر الى نظرة عاتبة زاجرة ثم قال : اطمئن ٠٠ وفى أول الشهر قبضت ثمانية جنيهات أضيفت شهريا الى المرتب الحكومى لكى يتكون منهما دخل يفي بحاجات العيال على شىء من السعة ٠٠

وقد زيدت تلك الثمانية الى عشرة بعد ذلك ٠ قال لى زميلى وصديقى أنور المعداوى الذى انضم الينا فى المجلة وكان يكتب باب « تعقيبات » وجعل له ثمانية جنيهات فى الشهر مثلى ، قال :

ـ ألا ترى أن المبلغ الذى يعطيه لنا الأستاذ الزيات قليل !
ـ عمرك أطول من عمرى ٠٠

وتضامنا فى المطالبة بالزيادة ، وأجبنا الى طلبنا وأصبح مرتب كل منا عشرة جنيهات كنا نحسد عليها ٠٠

ولانضمام أنور المعداوى الى الرسالة قصة : كنا زميلين فى ادارة اسمها « ادارة السجل الثقافى » احدى ادارات الادارة العامة للثقافة بوزارة المعارف ، وكان مدير الادارة ومنشئها محمد سعيد العريان الذى تقدم باقتراح اصدار سجل ثقافى سنوى يعرف بالانتاج الثقافى بمصر فى شتى أنواعه ، وقد اختارنا لمعاونته بعد أن وافقت الوزارة على الاقتراح ، وكان عبد الحميد يونس (الدكتور فيما بعد) وكيلا لهذه الادارة ، وكنت وأنور المعداوى وكامل محمود حبيب أعضاء فنيين .

وكانت الشقة التى اختيرت مقرا للادارة بميدان التحرير - كانت ندوة أو « مصطبة » أدبية أكثر منها مكان عمل حكومى .. كان يتردد علينا فيها أدباء من مصر ومن شقيقاتها العربيات ، أكثرهم من الشباب ، أذكر منهم نزار قبانى وكان ملحقا بسفارة سوريا فى مصر ، وشبان من العراق كانوا طلبة فى الجامعة وصاروا من أعلام الأدب ، منهم الشاعر ابراهيم الوائلى والقصاص شاكر خصباك وغالب طعمة فرمان ، وزارنا مرة أو مرتين الضابط الشاب يوسف السباعى ، وكان أنور المعداوى قد كتب عنه مقدرا مشيدا بموهبته القصصية .

بدأ أنور المعداوى بالكتابة فى مجلة « العالم العربى » وكانت مجلة سياسية تنشر بعض الأدب ، وكان يتطلع الى الكتابة فى الرسالة ، أراد أولا أن يسترعى انتباه الزيات فهاجمه بمقال وازن فيه بين كتابته عن ولده المتوفى وكتابة محمود تيمور عن ولده المتوفى أيضا ، وكان عنوان المقال « بين الفن والصنعة » وجعل كتابة تيمور فى كفة الفن وكتابة الزيات فى كفة الصنعة .. وكان تحامله على الزيات ظاهرا ، فان مقال الزيات فى رثاء ولده الأول « رجاء » الذى فقد طفلا وكان عنوانه « رجاء خاب » يعد أروع ما كتب فى موضوعه نثرا ، يقابله فى الشعر قصيدة ابن الرومى فى رثاء ولده محمد .

وقامت معركة أدبية بيننا دبرناها .. اتفقنا مقدما على أن يقول كل منا فى صاحبه ما يريد ، ويكيل له ما يكيل ، دون أن يغضب أحدنا من الآخر ، وكان عبد الحميد يونس يقول لنا ضاحكا بأعلى صوته :

- « يا واد انت وهو .. مش حتبطلوا مهارشة .. » :

واتماما للخطة قمت بالصلح بين الزيات والمعداوى ، استطعت بطريقة ما أن آخذ من الأول موعدا لاستقبال الثانى ، وتحقق المثل الدارج « لا محبة الا بعد عداوة » وأخذ المعداوى يكتب التعقيبات .

أشرت فيما سبق الى أن باب « تعقيبات » كان يكتبه قبل المعداوى

محمد فهمى عبد اللطيف بتوقيع « الجاحظ » وكنت أكتب باب « الأدب والفن فى أسبوع » أولا بتوقيع « العباس » كما أراد الزيات ، وكان مصرا على هذا التوقيع المستعار فى شىء من التحكم بقوة أنه « يدفع » ولما أحسست أنا بقوة ما أكتب ـ ان حقا أو باطلا ـ أنذرته عن طريق السكرتير محمد عبد الرحمن ، وكان هو مقيما فى المنصورة تاركا لى العمل مكانه ـ أنذرته بأنى سأترك الرسالة ان ظل مصرا على توقيعى المستعار ، فكتب الى رسالة يعتب على فيها ويقول لى :

« امض ولا تمض » .

لا شىء ينصر الانسان وينيله حقه مثل قوته ـ هذه هى القاعدة ، والشاذ هو ما يحكى عن نصرة الضعيف .

أما فهمى عبد اللطيف فقد ترك الرسالة والزيات والجاحظ ، وراح يعمل فى الصحافة جنديا مجهولا ، حتى اقتنع بألا يكون جنديا مجهولا . فظهر اسمه على يومياته فى جريدة الأخبار ، وأخيرا توفى يرحمه الله .

كان يكتب التعقيبات بطريقة موضوعية ، كما كنت أفعل أنا ـ على ما أزعم ـ أما المعداوى فقد كان ـ رحمه الله ـ يبرز نفسه ويعرض ذاته فيما يكتب ، كان يقول « أنا » أكثر مما تقول كتابته .. كان يشبه العقاد فى عنف عراكه مع خصومه فى الأدب ورقة شخصيته مع الجلساء والخلصاء ، وان اختلف عنه فى حجم « الأنا » الأكبر عند المعداوى . ومن ذلك ادعاؤه مذهبا جديدا فى النقد أسماه « الأداء النفسى » وقال بوجوده فى هذا وخلو ذاك منه ..

ناقشته مشافهة فى هذا « المذهب » قلت له : ان الأداء النفسى ليس جديدا فهو أساس لكل أدب لابد منه ، فان لم يقم عليه كلام لا يعد من الأدب ، وأنت تقول فيما تقول ان التراث الشعرى العربى يخلو جملة من الأداء النفسى ، ومعنى هذا أنه لم يكن للعرب شعر .. وأعربت عن استعدادى للاتيان بقصائد عربية كثيرة أبين فيها الأداء النفسى وأنه مقسوم مشترك على كل شاعر جدير بكلمة شاعر .

قال لى : خلنا أصدقاء أحسن ..

كان من طبعه أن اختلاف الرأى يفسد قضية الود ..

لم يستطع أن يوائم بين نفسه الأدبية النرجسية وبين المجتمع الأدبى بعد الرسالة . ومن هنا نبعت أزمته المرضية التى أودت به ،

ففقدنا بوفاته صديقا عزيزا وناقدا كان يتوقع منه عطاء خير مما أعطى للحياة الأدبية .

ومما يذكر له أنه كان أول ناقد يلتفت الى نجيب محفوظ ويشيد بمقدرته القصصية ، وأذكر كذلك أن الأديب الشاب ثروت أباظة كان الثانى فى الكتابة عن أدب نجيب محفوظ اذ كتب نقدا فى الرسالة لرواية « السراب » . بدأ ثروت ناقدا ثم تحول الى قصاص بعد أن قطع شوطا فى النقد .

والتفت كذلك أنور المعداوى الى قصص قصيرة كان يكتبها زكريا الحجاوى فى جريدة « المصرى » وقال ان فيها الأداء النفسى ، وفعلا كانت تلك القصص من الأدب القيم ، تجاوز فيها الكاتب الواقعية الساذجة التى كانت متفشية الى أغوار فى النفس الانسانية ، ومن الخسارة أنه انقطع عنها وذهب الى « الفولكلور » يبحث عنه فى أقاصى البلاد ، ثم رحل عن هذا وذاك الى الدار الآخرة . معظم الأصدقاء رحلوا الى تلك الدار وبقى « الشقى » يكتب هذه السطور ..

والعمل الأدبى البارز لأنور المعداوى هو دراسته للشاعر على محمود طه فى مقالات جمعت فى كتاب ، وقد بذل فى هذه الدراسة جهدا مثمرا وفى حق الشاعر الذى عبر عن عصره ، سواء من الناحية الجمالية اذ تذوق جمال الحياة وصوره تصويرا جميلا ، ومن ناحية الأهداف القومية والاجتماعية . ظل يهيم فى لذاته وأشواقه ، فلما جد الجد ووقعت كارثة فلسطين كان اللسان المبين عنها وكان من الأصوات التى صمدت ونادت العرب أن هبوا ، وأذكر من هذه الأصوات الشعرية الدكتور محيى الدين صابر الذى لمع كشـاعر ثم اختفى كشاعر .. وكانت الرسـالة مجال لمعـانه .

وفي أمسيات ممتعة قضيناها مع على محمود طه ، كان يدعونا ــ الزيات والمعداوى وأنا ــ الى شقته الأنيقة التى يعيش فيها عزبا ، وكنا نسقى فيها شرابا طهورا وغير طهور .. وأنا شخصيا لم أتماد فى الثانى اذ اكتفيت بقليل ثم أقلعت وصرت أضحك ضحكا صافيا على الضاحكين ضحكا غير صاف .

وفى أحيان أخرى كان الزيات يدعونا ــ على طه والمعداوى وكامل حبيب وأنا ــ الى الغداء فى كازينوهات شارع الهرم ، فكنا نقضى أوقاتا طيبة فى أحاديث ما كان أحلاها .. فى الأدب وغير الأدب ، فاذا ما جن الليل تركنا أماكننا لرواد الليل هناك .

وقد لاحظت فى ذلك الوقت وما تلاه أن الزيات قد تغير من حال التقتير الى حال أخرى فيها متعة وسعة فى الانفاق ، ولعله رأى أن يمتع نفسه بعد كفاح طويل جمع منه ثروة لا بأس بها بلغ بها الحد الأقصى للملكية الزراعية الذى وقفت عنده ثورة ٢٣ يوليو فلم يمسسه سوء ٠٠ واعتنى بصحته فكان فى شيخوخته أصح مما كان فى كهولته ، ولست أدرى كيف كان فى شبابه ، وكان من ذلك التغيير التدخين ، ولم يكن قبلا يدخن ٠

كان الزيات دائما ظريفا رقيقا ، وكان ظرفه من نوع هادىء حيى ، ودعاباته مهذبة ، حدثنا مرة عن توفيق الحكيم ، قال ــ وهو يبتسم ــ ان الحكيم ليس بخيلا ٠٠ فقد اعتاد أن يدعوه الى « عزومة حولية » أى تحدث مرة فى الحول ٠٠ وكان الحكيم يقيم فى فندق ، اذ لم يتزوج بعد ، فكان يدعو الزيات الى « الحولية » فى أحد المطاعم ، يطلب للزيات « واحد غدا » أو « واحد عشا » ويجرى بينهما الحوار الآتى الذى يبدأه الزيات :

ــ وأنت ؟ ألا تأكل ؟

ــ والله ٠٠ أنا شبعان ٠

ــ طيب « نأنأ » الأكل كثير ٠

ــ لا بأس ٠

اتصلت بتوفيق الحكيم فى الفترة التى كان فيها مديرا لدار الكتب، كنت أزوره فى مكتبه هناك حيث ينتقل من وراء المكتب الى الكرسى الكبير المقابل للكرسى الآخر الذى جلست عليه ، وأقضى معه وقتا من أطيب الأوقات أتناول فيه ما لذ وطاب من حديثه الممتع المغذى ٠٠ وآخذ من حانوته ما أطعم به قراء الرسالة ٠٠ وكنت أستريح جدا لأنه لا يثقل على بطلب شىء لى فأريح معدتى وأعصابى من تكرار القهوة أو الشاى ٠

وحدثنى فى احدى المرات عما يرمى به من البخل ، قال : يقولون عنى انى بخيل ، وكثر هذا الكلام حتى عرفت بالبخل ، ولا بأس فى ذلك، فأنا على الأقل أستريح من هؤلاء الرقعاء الذين يطوفون بالمكاتب ويجمعون التبرعات ٠

قلت متظرفا :

ــ ولكن فيهم فتيات لطيفات ٠٠

– انهن رقيعات أيضا .. من يدرى أين تذهب هذه التبرعات ؟

ولما أعرفه عن أستاذنا الحكيم من البخل عجبت عندما زرته فى المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وكان عضوا متفرغا ، فقد نادى العامل وطلب لى مشروبا ..

ودفعنى الفضول الى أن أستقصى هذا الأمر .. فسألت حتى عرفت أن المجلس يكرمه ويكرم زواره بالطلبات المجانية ..

بقى شىء لا شك فى أنه كرم منه : كنت فى سنوات مضت أذهب الى الاسكندرية فى الصيف ، ولست الا صادقا اذا قلت انه كان من دوافعى الى هذا السفر الرغبة فى الجلسة الممتعة مع توفيق الحكيم فى قهوة « بترو » على الشاطىء . فى أول مرة كل عام يصفق ويطلب لى .. وأنا أعرب عن شكرى وأقول انى سأطلب على حسابى ، ولكنه يبادرنى :

– أول مرة فقط .. وبعد ذلك اطلب على حسابك .

الحق أن توفيق الحكيم ليس بخيلا بالمعنى المرذول لهذه الكلمة ، انما هو مبرأ من تفاهات الكرم .. من هذه التفاهات والتظاهر الفارغ والانفاق على السخافات . ومن بذور هذا الطبع فيه ما حدثنا به فى رواية « عودة الروح » من أن والدته كانت تعطيه « المصروف » لينفقه فى المدرسة الابتدائية ، ولكنه يعود به ويقول لها : لم أجد شيئا أشتريه ..

لم أر أحدا ممتعا فى مجلسه وحديثه مثل توفيق الحكيم ، حديثه من السهل الممتنع وعفو كلامه فى مستوى ما تحبره الأقلام القادرة ، يتكلم فى النقد والقضايا الأدبية كأستاذ بل كرائد وهو لا يزاول النقد كتابة ، هو خير من يفسر عمله الأدبى ، أقصد بواعثه وملابساته ، فانى أرى أن العمل يجب أن يكون بحيث يفسر نفسه ، سألته مرة عما كتبه لويس عوض فى محاولة تفسير مسرحيته « يا طالع الشجرة » فنفى أنه قصد أو خطر له أى شىء مما قاله لويس عوض .. وهو كلام كثير زعم فيه الكثير ..

ما قلته من أن الحكيم لا يزاول النقد كتابة ليس مطلقا ، ففى الفترة التى كنت أكتب فيها باب الأدب والفن فى الرسالة كان هو يكتب فى أخبار اليوم ، ويتناول أحيانا بعض القضايا الأدبية بصفة نظرية ، وأذكر قضية كتب فيها كثيرا ، وهى القضية المتجددة دائما بين الشيوخ والشباب ومن حيث ما يسمونه « صراع الأجيال » وكثيرا ما عارضته فيما يكتب ، وكان يتبع فى هذا النقاش طريقة يتجنب فيها ما يخشاه بطبعه من الدخول

فى معارك تعكر عليه صفو « البرج العاجى » وذلك بأن يقول ما يقول فى سياق نظرى كأنه لا يرد على أحد أو يناقش أحدا وهو فى الحقيقة يرد ويناقش ..

ولم أكن لينا ولا رفيقا فى كتاباتى عن توفيق الحكيم مع حبى له ودينى لأستاذيته ، سواء ما كنت أجادله فيه من القضايا العامة وما أتناوله بالنقد من أعماله ، وهو من القلة القليلة جدا التى لم يفسد ذلك قضية الود بينى وبينها . ومن هذه القلة يوسف السباعى وكان أول أمرى معه نقد لمسرحيته الهازلة « أم رتيبة » فى « جولة الفكر » بأخبار اليوم فى أوائل الخمسينيات ، وكانت هذه المسرحية قد مثلتها الفرقة القومية على مسرح الأزبكية ، لم أكن متجنيا فى ذلك النقد الذى كان قاسيا ، انما كتبته بصدق طبقا لما أرى وما أدين به دائما من أن العمل الأدبى أو الفنى لابد أن يقول شيئا غير مجرد الاضحاك ، بل ان الوسائل الفكاهية أو « الوسط الفكاهى » لابد أن يكون جسما لروح فكرة عامة .

حقا ان يوسف السباعى غضب من ذلك غضبا قليلا .. يساوى بضعة أسطر كتبها فى مقدمة كتاب ظهر له عقب ذلك لم يذكر فيها اسمى بل أشار الى الموضوع قائلا ما معناه ان ناقدا قال كذا وكذا وهو لا يعبأ بمثل هذا ولا يهتم به ، والأجدى أن يكتب قصة جديدة . ولا شك أن جهده فى كتابة قصة جديدة كان خيرا من أن يشغل نفسه برد أو جدل ، وكان هذا ديدنه أولا ، ثم عدل عنه الى المعارك القلمية منذ أصدر « الرسالة الجديدة » اذ اشتبك مع بعض الأدباء أذكر منهم فتحى غانم فى معارك حامية .

ولم تمنع تلك « القضية البسيطة » يوسف السباعى من الترحيب بى فى الكتابة بمجلة الرسالة الجديدة ، بل أصفانى الود فيما تلى ذلك ، ولكن هذا الود لم يمنع « شيطان » النقد الذى انصاع له مسلما بسداد اتجاهه وان كان يفسد بينى وبين الناس ـ لم يمنع من نقد مسرحيته « وراء الستار » فى المجلة التى يرأس تحريرها .. كشفت فى هـذا النقد ما ارتأيته فيها من مآخذ وعيوب الى جانب ابراز ما فيها من محاسن .

وقد تناولت فيما بعد عددا من أعمال يوسف السباعى بالنقد على ذلك النحو وهو يوسع صدره ولا يضيق به .

ويوسف السباعى فيه عيب ذو حدين أو وجهين .. هذا العيب أنه لا يلتفت وراءه ، والوجه الأول ـ وهو وجه حسن ـ أنه يمضى سريعا لا يضيع الوقت ، سواء فى المسائل الادارية التى يحسمها بسرعة وبدون

تلكؤ أو فى الانتاج الأدبى ، وقد شبهته فى بعض ما كتبت بالقطار السريع (الاكسبريس) ذاهبا الى أن سرعته تكثر انتاجه ولا تمس قيمته ، والحق أن القطار لا يمشى أحسن ان أبطأ فى سيره وأكثر من الوقوف فى المحطات ، ولا شك أن هناك أدباء يؤثرون التمهل لاجادة ما يكتبون ، وهم فعلا بتمهلهم يجيدون ، والمسألة فى نظرى ليست مفاضلة ، انما هى أن لكل طريقته وطبيعته .

والوجه الآخر ـ وهو غير حسن ـ هو أيضا مضى سريع يحجب عنه من غبار الموكب ما لو تمهل وتبين لم يفته ولكان أعون على انجاح الأعمال .

وهو مع هذا وذاك مأمون الجانب ، يستطيع أن يتطاول عليه من تسول له نفسه أن يكون بطلا متطاولا وهو آمن ، بل أحيانا ظافر .

عملت مع يوسف السباعى فى الرسالة الجديدة وفى مجلة الحياة وهى مجلة كان يصدرها المجلس الأعلى للشباب ، وقد أسند الى فيها الاشراف على القسم الأدبى والكتابة فيه ، فهى مجلة عامة ، وكان السباعى رئيس تحريرها .

وقع صدام خفيف بيننا فى أول المعاملة بالرسالة الجديدة ، كنت أتقاضى أولا ثمانية جنيهات لقاء مقالى ، وبعد بضعة أعداد دفع الى عبد العزيز صادق سكرتير تحرير المجلة خمسة جنيهات ، فرفضت قبولها ، وأنا فى هذه الناحية جلف .. أرى أن الكاتب كأى عامل يعمل للغير شيئا يستحق عليه أجرا ، وليس لهذا الغير أن يأكل حقه أو ينتقصه ، ولا ينبغى أن يخدع بما يقال من مثل تقدير أدبى أو تقدير رمزى ، فليس هذا التقدير بنافعه حين تلح عليه مطالب العيش فى هذا العصر الذى كتب علينا أن نعيشه .

وجاء يوسف السباعى عقب رفضى « المكافأة » المنقوصة ، يسمونها مكافأة وهى فى الحقيقة أجر لأنه استحقاق لا تفضل .. وعلا صوته ، فعلا صوتى ، ولكننا صرنا الى الرقة وحسن التفاهم لما شرح لى الموقف المالى للمجلة ، رضيت بصفة خاصة لما قال ان النقص يشمل جميع الكتاب .

وفى فترة العمل فى مجلة الحياة استكشفت شبابا موهوبين نشرت لهم قصصا قصيرة ، منهم حسن محسب الذى صار من كتاب القصة والرواية المعدودين . كان وقت ذاك شابا ، كلمة «مكافح» أقل مما يعانيه، كان مجندا فى الجيش ، لم يستطع أن يستمر فى التعليم بعد المرحلة

الثانوية ، ولكنه تخرج فى جامعة الحياة ، وعاش الكفاح فى الحياة وفى الأدب والصحافة ، وكم كان سعيدا عندما نشر له بعض القصص القصيرة فى مجلة الحياة ، وعشت معه بمشاعرى وذكرياتى لما كنت مثله ..

كم أكلت نفوسنا من الحرف المطبـوع .. وشبعت ، ثم جاعت وأكلت ، ولا تزال تجوع وتأكل ، لا فرق بين البدء والنهاية .

الفصل السادس

لا أذكر أول مقال نشر لى ، ولكننى أذكر أول ما طبع اسمى • بحروف المطبعة ، كان فى بطاقة (كارت) هكذا :

« عباس حسان خضر محمد سالم ـ طالب بالجامعة الأزهرية الكبرى » وأنشئت الجامعة الأزهرية ، أو سمى الجامع الأزهر جامعة ، بعد ذلك بعشرات السنين ، ولكنه التفخيم ، تفخيم الذات وما يتصل بها وهو الميل الى «الحداثة» منذ الصغر ، الواقع ان «الأزهرية» كانت فى نفسى عقدة • كنت أتمنى لو سلكت فى تعليمى طريق المدارس المدنية ، ولكن والدى أراد لى الأزهر ، وكان شقيقى الأكبر قد سبقنى اليه على مذهب الامام مالك الذى تتمذهب به قريتنا كلها • وكان يقال ان شيخ الاسلام، وهو شيخ الأزهر يكون مالكيا عادة أو قانونا لست أدرى » • وان المفتى : مفتى الديار المصرية يجب أن يكون حنفيا • وكذلك قضاة المحاكم الشرعية وكانت أحلام والدى بعيدة •• ليكن شقيقى شيخا للأزهر على مذهب الامام مالك وأنا المفتى على مذهب أبى حنيفة • وأعطانى هذا شعورا جانبيا بأنى سأنفصل بعد اتمام الدراسة عن البيئة الأزهرية وأكون قاضيا شرعيا لوزارة « الحقانية » وزارة العدل الآن •

فى السنوات الأولى من حياتى الأزهرية قامت ثورة فى الأزهر تطالب بالاصلاح ، وأظن ان فكرة هذا الاصلاح كانت « تحديث » الأزهر ، أى جعل دراسته ونظمه على نسق العصر الحديث وكان سعد زغلول رئيسا للوزارة فقاوم هذه الثورة التى كانت تغذيها الأحزاب المعارضة وخاصة حزب الأحرار الدستوريين • ونقل الينا انه قيل لسعد زغلول ان الأزهريين مضربون فقال : وماذا أصنع لهم ؟ انهم يريدون جبلا من طعمية وبحرا من سلطة ••• كرهت سعد زغلول بعد ان كنت أحبه •

وبرز على منبر الجامع الأزهر خطباء وشعراء من كبار الطلبة (طلبة القسم العالى) يهاجمون سعدا ويشتمونه نثرا وشعرا أذكر منهم « محمد الأسمر » الذى صار من كبار الشعراء فيما بعد • وأخذت بما يلقى من

خطب وشعر ، وكان هذا من أوائل ما شدني الى الكلام الذى يسلك فى عداد الأدب ، وأعجبت بكثير منه ، ولا أزال أحفظ بعض ذلك الشعر ، مثل هذين البيتين :

وبك يا سعد كيف أصبحت نحسا

ان هذا يا سعد شيء عجاب

لم تزل ناعقا بمصر حتى

أصبحت والعمار فيها خراب

وكانوا يصورون سعد زغلول صورة السياسى الذى أهدر مصلحة الوطن ، وفى صورة الأزهرى الذى عق الأزهر وقد نشأ أو تعلم فيه ..

واستأثر بى هذا الجو من الناحية الأدبية أكثر مما اندمجت فيه من ناحية الهدف الذى يرمى اليه ، وجعلت أفكر فى بعض تلك الخطب والشعر تفكير ناقد .. أذكر ـ مثلا ـ خطيبا كان يعتلى منبر الأزهر ويقف صامتا عدة دقائق ، ثم يقول :

عجب عجب عجب عجب قطط سود ولها ذنب

ويظل يردد هذا العجب حتى يسود السكون ويصغى الجميع اليه ، ثم يتحدث فلا يخرج كلامه عن أن سعدا قط أسود وله أذناب هم أنصاره باقى أعضاء الوفد . كنت أعجب بالخطيب وهو يتكلم ، ثم أفكر فيما قاله فأجده كلاما فارغا .

ومن هنا تولد فى نفسى البعد عن الخطب قائلا ومستمعا ، لم أقف خطيبا الا عندما لم أجد مفرا .. ولسانى لا يطاوعنى حتى فى المجالس كما يطاوعنى القلم ، ولا يلزم من الطاعة الاجادة وكثيرا ما يطيع هذا أو ذاك فى الهزر .. ولم أحرص على سماع الخطب وان حضرت بعضها مضطرا وأحيانا أجد متعة فى تأمل الخطيب ذاته من بعض النواحى وذهنى منصرف عما يقول ..

وليس ذلك على الاطلاق ، فثمة حالات شاذة منها خطب فكرى أباظة السياسية فى الحزب الوطنى التى كنا نذهب اليها كما يذهب الناس الآن فى النوادى لمشاهدة لعبة الكرة . ضحكت كثيرا ورويت ما ضحكت منه اذ قال فى احدى الخطب ان المندوب السامى البريطانى جاء الى مصر فاستقبله الوزراء والحكام ولم يحتج على ذلك الا شخص واحد .. شخص واحد ضرب المثل فى الوطنية والتضحية . ومثل فكرى أباظة بصوته

علامات التعجب والاستفهام الكثيرة التى يضعها عادة فى كتابته وأكمل قائلا :

أتدرون أيها السادة من هو ذلك البطل ؟ انه « جحش » صغير ٠٠ أجل ، جحش صغير ٠٠ اعتــرض طريق المنـــدوب السامى فدهستـــه سيارته ٠

وشغلنا ـ نحن الأزهريين ـ بلفظ « من » من حيث استعماله فى الاستفهام عن الجحش وهو غير عاقل ـ وكان الجواب القاطع انه استعمال بليغ لان الجحش « البطل » نزل منزلة العاقل ٠

وكرهت العبارات الرنانة والألفاظ والجمل المترادفة حتى فى الكتابة، لانى أراها خداعا أو دجلا يلجأ اليه الخطيب أو الكاتب الذى ليس عنده شىء ذو قيمة يريد أن يقوله ٠

سمعنا عن توفيق دياب صاحب جريدة «الجهاد» الوفدية ورئيس تحريرها انه لا يكتب مقالاته بقلمه اذ كان بطبيعته خطيبا لا تتجلى موهبته الا فى الخطابة ، انما كان يستدعى من يكتب آليا ويجلسه الى المكتب ويقفل باب الحجرة الفسيحة ، ثم يأخذ هيئة الخطيب ويروح ويجىء واضعا يده اليسرى فى جيبه الأيسر ومستبقيا يده اليمنى ليشير بها عند اللزوم ٠٠ ويقول عند كل فقرة : اكتب يا صديقى ويكتب الكاتب حتى ينتهى المقال ٠

لذلك كنت أنظر الى مقالاته شذرا وأعرض عن قراءتها ٠ وعلى عكس ذلك كنت أقرأ بشغف خطب مكرم عبيد التى تنشر فى الصحف وأعجب كيف يتأتى له هذا السجع الطبيعى الموقع ٠٠ ارتجالا وذهب العجب لما علمت انه يعد الخطبة كتابة ثم يحفظها ولكن عجبا آخر يقول : كيف يحفظ خطبة تشغل الصفحات الكبيرة فى الجرائد ؟ فيقال : هذه موهبة فى الحفظ ولكن الموهبة الحقيقية هى فى القدرة التعبيرية اللغوية فى كلامه الأخاذ شكلا وموضوعا وهى تثير العجب والاعجاب خطابة كانت أو كتابة وسبحان المعطى ٠

وقد كان لخطب مكرم عبيد سحر فى الجماهير وأعتقد أن من مؤثراته السجع الموسيقى الذى كان يجىء مرتاحا لا اكراه فيه وقديما كان لسجع الكهان سحر ومن المؤثرات التضمين من القرآن والاستشهاد بآياته وهو مسيحى فكان لذلك وقعه الطيب عند المسلمين ويقال انه كان يحفظ القرآن عن ظهر قلب ويكاد يكون من المسلم به عند كل مثقف عربى أن حفظ

القرآن أو تلاوته على الأقل ذات أثر فى القلم واللسان ، سمعت طه حسين يقول لأعضاء المجلس الأعلى للتعليم وهو وزير يرأس هذا المجلس وكنت أحضر اجتماعاته بصفتى سكرتيرا صحفيا للوزير سمعته يقول لهم معززا رأيه فى الاكثار من النصوص القرآنية فى المقررات المدرسية : أنا مدين للقرآن بأكبر قدر اذ اكتسبت منـه النطق الفصيح والأسلوب القويم ويحثهم على أن يكثروا منه فى النصوص المقرر حفظها فى المدارس .

وقد يكون للتكرار الذى عرف به طه حسين صلة بسورة «الرحمن» من حيث ما فيها من تكرار قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» وان كان هذا تكرار وذاك تكرار وكان تكرار الكلمات والجمل كثيرا فاشيا فى لغة طه حسين فى المراحل الأولى وقل فى المرحلة الأخيرة وكانت محاكاته من وسائل الفكاهة على أقلام الكتاب الصحفيين ، وكذلك فى المجالس ولعل طه حسين كان يصطنع ذلك للفت الأنظار ... والواقع ان شهرة كثير من أساتذتنا الكتاب كانت تتغذى بأشياء من هذا القبيل ، ومنها « الحمار » و « صينية البطاطس » فى كتابة توفيق الحكيم . وقد اقترنت « صينية البطاطس » بعداوة المرأة التى ألصقت بتوفيق الحكيم ظنا من بعض الناس ان قوله بأن المرأة أولى لها رعاية البيت والاهتمام باجادة صنع الطعام ، انما هو عداء للمرأة والواقع انه ليس عدوا للمرأة بل هى وجهة نظر . وقد ترك الحكيم الناس يلقبونه بهذا اللقب مستريحا اليه لانه يزيده شـهرة .

وحب روادنا الأدباء للشهرة والصيت البعيد كان يحملهم على توثيق الصلات بالصحافة والصحفيين وما يزال هذا حتى الآن لم ينقطع . ان معظم القراء عندنا قراء صحف ومجلات لا يعرف الكتاب الا القليل والناس يعرفون الأدباء من الصحف والمجلات فيرددون أسماءهم وان لم يكونوا على علم بأدبهم .

كان أحمد شوقى يقضى النصف الأول من الليل مترددا على رؤساء التحرير ساهرا فى مكاتبهم وكان عطاؤه للصحفيين المعوزين متصلا وكان أكثر العاملين فى الصحافة معوزين .

وكان مكتب أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام ندوة دائمة للأدباء الكبار وكان يتردد عليها يوميا محمد الهراوى ومحمد الأسمر .

أما العقاد والمازنى وطه حسين وتوفيق الحكيم وسلامة موسى فكانوا هم صحفيين ، بعضهم دائم العمل فى الصحافة والبعض الآخر فى فترات .

وفى فترة ما اشتغل الشقيقان محمد ومحمود تيمور بتحرير جريدة « السفور » الأسبوعية ٠

الصحافة عندنا هى التى تمنح الشهرة للأدباء ، اما عن طريق انشغالهم بها ونشرهم فيها واما بتوثيق الصلات وكم من صداقة عقدت بين أديب وبين ناقد يكتب فى الصحف باطنها العداوة كما قال المتنبى :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدوا له ما من صداقته بد

وقد كنت صحفيا وكنت أكتب نقدا فى الصحف وعرفت ذلك وامتلأ بيتى بالكتب المهداة وكان الخط البيانى لهذا الاهداء يختلف ارتفاعا وانخفاضا حسب الفترات التى أكتب والتى لا أكتب فيها ٠

وكان اهداء الكتب « أضعف الايمان » بالنسبة للمحاولات الأخرى وأقول محاولات لانى لم أكن « مستأنسا » ٠٠ كنت شرسا عنيدا ٠٠ قال لى محرر بجريدة الأخبار انه رأى فى « أرشيف الدار » خطابا من فريد أبو حديد الى مصطفى أمين يتهمه فيه بأنه « يسلط » عليه عباس خضر ٠٠ فتذكرت انى كنت هاجمته أو هاجمت بعض آراء كتبها ولم تمنع تلك الكتابة من عقد صلة صداقة بين الأديب الكبير أبو حديد وبينى ، ووجدت الرجل على خلق لا يغض منه ان ظن بى بعض الظن فى وقت من الأوقات ٠

ومن كبار الأدباء الذين كانت لى معهم مواقف شرسة ٠٠ ابراهيم ناجى ، تعارفنا شخصيا فى استراحة بين الفصول فى دار الأوبرا اذ قدمنى اليه أمين يوسف غراب فواجهنى قائلا كأنه يعرف بنفسه :

ـ « مشتومكم فى الرسالة يا أفندم » ٠

ظلمت ابراهيم ناجى فى « جاهليتى الأولى » ٠٠ فى مقالات شعراء الموسم فى الميزان « التى كتبتها بمزاج تقليدى يعادى الاتجاه الجديد الذى كان يتمثل فى شعر ناجى ولكن بعد ذلك وفى الفترة التى كنت أكتب فيها باب الأدب والفن فى أسبوع بالرسالة أزعم انى أكتب على نور ٠٠ وعلى هذا النور فقدت ابراهيم ناجى مع تقديرى واعجابى بشعره ناقشته بعنف فى بعض القضايا الأدبية التى كان يطرحها فى خطبه برابطة الأدباء التى كان يرأسها والتى كانت تعج بالرواد ٠

ويبدو انه لم يكن يضيق بهذه المناقشة قدر ما يضيق بنقد شعره الذى كنت أزاوله أحيانا ، فكأنه كان يرى كشاعر ان شعره يجب أن يصان كما يصان العرض ٠٠ لم يكن عنده شىء أقدس من شعره وكان

يزاول الطب « على الهامش » كان يروى ضاحكا من نفسه حكاية امرأة معه كان يعالجها ولما رأى ما هى عليه من فقر أعطاها بعض المال لكى تستعين به على تغذيتها ثم انقطعت عنه مدة رآها بعدها فسألها عن حالها فقالت : الحمد لله لقد شفيت فلما سألها عما صنعت أجابته بأنها ذهبت بما أعطاها الى طبيب آخر « شاطر » ٠

زرته مرة فى مكتبه بالمستشفى الذى كان رئيسا له ٠ بادرنى قائلا : اسمع هنا لا شعر ولا أدب ، هنا طب فقط ، وتركنى برهة ثم عاد يبتسم وهو يرانى أقلب فيما على المكتب من كتب وأنا أقول له : هنا شعر وأدب ولا طب ٠

وقبل أن يموت بأيام رآنى بصالة التحرير فى دار أخبار اليوم منهمكا فى مراجعة أخبار المندوبين يبدو على الارهاق والوهن ، فقال لى : تعال الى فى العيادة يوم الثلاثاء القادم لأكتب لك على بعض المقويات ٠٠٠ وفى الثلاثاء كان الموعد المضروب للقاء ربه ٠٠٠ ذكرنى بطبيب شركة مصر للتأمين الذى رفض التأمين على حياتى بعد أن فحصنى وقاس الضغط فوجده مرتفعا وكان ذلك سنة ١٩٤٠ ٠ حفاظا على مال الشركة أن يذهب الى ورثتى بعد موتى فى القريب العاجل ٠٠ ثم مات هو عقب ذلك ٠ وبقى الشقى الضعيف ، وما زال باقيا يكتب هذه الذكريات ٠

وكان ابراهيم ناجى الشاعر العظيم والعالم الكبير ٠٠ طفلا فى بعض تصرفاته كغيره من الأدباء الذين يكثر حظهم من الطفولة ، بل كان له حظ أكبر ٠٠ كان يقف بمنأى من مجلة الرسالة ٠ لا ينشر فيها ٠ وأحيانا يهاجمها فى محاضراته بالندوة ٠٠ ومرة ضرب مثلا فى التفاهة شعراء الرسالة ٠٠ وقال انها تهمله مع مكانته فى الشعر ويهاجمه كتابها ولم يكتب عن ديوانه الأخير ٠ وجاء ذكر ذلك فى مجلسنا مع الزيات فقال ان ابراهيم ناجى أرسل اليه ديوانه مكتوبا عليه مع الاهداء : ممنوع من أيدى نقاد الرسالة ٠٠

كان ممن يقصدهم بذلك أنور المعداوى ، فقد كان دائم الاشادة بعلى محمود طه يجعله مثالا فريدا لما أسماه « الأداء النفسى » وكان كذلك يشيد بشعراء عرب غير مصريين منهم عمر أبو ريشة وأنور العطار ، ولم يعرج على ابراهيم ناجى ولعله ذكره بما لم يسره ٠

أما أنا فلم أهمله بل على العكس كنت أتابعه مرة بما هو أهله من التقدير ، ومرة بما يغضبه حسب ما يقتضى الحال ٠ وكانت علاقتى به تتحسن وتسوء مع ذاك وهذا وكاد يمسك بخناقى عقب أن تناولت

قصيدته التى ألقاها فى حفل أقيم لتكريم أم كلثوم وقلت انها ليست فى مستوى شعره ، ولابد أن ساءه ترجيحى غيره من شعراء الحفل عليه •

والحق ان ناجى كان - فيما عدا اعتداده المفرط بشعره - واسع الأفق ورحب الصدر وكانت ندوته مجالا لحركة أدبية فوارة •• أفسح فيها للأدباء من الأعمار والاتجاهات المختلفة ، وكان يؤمها كثير من الشباب مستمعين ومتحدثين أذكر منهم شابين أوشكا أن يكونا مدرسة أدبية ثائرة لولا انشغالهما باهتمامات أخرى • وهما أحمد يسرى وصلاح حافظ الطالبان - اذ ذاك - بكلية الطب ، نبغا فى كتابة القصة القصيرة ، وبرز أحمد يسرى فى مسابقة أجرتها وزارة المعارف حوالى سنة ١٩٤٩ اذ فاز فيها بالجائزة الأولى للقصة القصيرة • وكان يشرف على هذه المسابقة أديبان كبيران هما محمد فريد أبو حديد المدير العام للثقافة فى الوزارة وعبد الله حبيب مدير ادارة رعاية الشباب • وكان لهذين الرجلين فضل كبير فى هذا المجال • اذا استكشفا فى تلك الأثناء شبابا من ذوى المواهب الممتازة ، منهم - غير يسرى - عبد العليم القبانى الذى فاز بجائزة الشعر • ذهب عبد الله حبيب الى منزل يسرى فى احدى ضواحى القاهرة لزيارته وتحيته وتهنئته بالفوز قبل أن تعلن نتيجة المسابقة • وسافر فريد أبو حديد الى الاسكندرية ، وجعل يجول فى دروبها وحواريها حتى عثر على دكان الشاعر « الترزى العربى » عبد العليم القبانى ، وقد استمر القبانى فى الانتاج الأدبى شعرا ودراسات ولكنه فى السنين الأخيرة لا يشم له ريح ••

أما أحمد يسرى فقد تخرج فى كلية الطب وصار طبيبا ، وهجر كتابة القصة القصيرة ، وأخلى ليوسف ادريس مكانا هو أجدر به •

كان للشابين الصديقين أحمد يسرى وصلاح حافظ دعوة ثورية فى الأدب ، عبر عنها صلاح حافظ فى محاضرة برابطة ناجى • وقد بقيت فى ذاكرتى ملامح من هذه الدعوة الثائرة على أدباء الجيل ، من حيث دورانهم حول قيم موروثة ثابتة واهتمامهم بتصوير الطبيعة دون أن ينفذوا الى أعماق الانسان الجديد بأن يكون كل جهد أدبى فى خدمته وتحليله وكان الخطير فى هذه الدعوة الاتجاه الى التحرير المطلق الذى يرمى الى طرح الموروثات الأخلاقية والاجتماعية ، وفى ذلك انعكاس لمذاهب أوروبية مثل الوجودية والواقعية الطبيعية ولكن فى صياغة جديدة تتجه الى الثورة على اللوحات الثابتة فى الأدب المصرى •

عرضت تلك الآراء فى كتابتى بالرسالة فى شىء من الاندهاش مع

ميل قليل الى التفنيد ··· ورد على صلاح حافظ · ونشر رده مبتورا ، اذ عمل قلم الزيات فى حذف ما رآه متطرفا أكثر من المقبول ··· وفى مكتب عبد الله حبيب اجتمعنا وأعرب حافظ ويسرى عن تأثرهما لما حذف من الرد ، وما زلت أذكر قول صلاح : انها معركة الأسلحة فيها غير متكافئة ·

وقد تتبعت كتابة صلاح حافظ أو بعضها فى القصص والمقالات ·· ولعلى لا أبعد عن الصواب اذا قلت انه غير اتجاهه أو طوره الى ناحية الواقعية الاجتماعية الاشتراكية · ويبدو لى الآن - وقد صار رئيس تحرير لمجلة روز اليوسف - ان الصحافة تشغله عن الأدب ، وان كان يكتب فى الشئون المختلفة بطريقة التصوير الأدبى الساخر ، تحكمه فى هذا وفى كل كتاباته ومراحله ثورة عارمة على أوضاع قائمة · كان مشروع جراح لم يتم تنفيذه فى الطب ولكنه لم يضع « المبضع » اذ حمله قلما ··

« عبد الله حبيب » ذلك الذى جاء ذكره فى خلال هذا الحديث - أديب يكاد يعقه ان لم يكن عاقه فعلا تاريخ الأدب عندنا ، كان من الأوائل الذين كتبوا القصة القصيرة فى مصر ، والى جانب ذلك كان ممن اعتصرهم القسم الأدبى بدار الكتب فى تحقيق التراث الأدبى لقاء قروش وملاليم ، كانوا يعملون باليومية مثل « عمال التراحيل » وفى العطلات الأسبوعية والاجازات الرسمية ، كانوا أحياء لا يرزقون ··

عاصرتهم أيام كنت ناشئا صغيرا أتردد على دار الكتب وأطلب العلم فيها وأكتب بعض الكلمات فى هذه الصحيفة أو تلك المجلة ، وصادقت بعضهم مثل أحمد الزين وعبد الله حبيب ورأيت هناك - فى القسم الأدبى - رجلا كان من رجال القلم المعدودين فى زمانه ولا يذكره الآن أحد ، هو « صادق عنبر » قال لى مرة فى صوت متمهل رزين وقد نشرت مقالا فى مناقشته فى بعض الشئون الأدبية - قال لى : كتابتك نظيفة ·· استرعى انتباهى ذلك الوصف البسيط الذى عرفت فيما بعد انه عميق· وعلق عليه بعضهم بانه شهادة عظيمة لى من رجل مثل صادق عنبر ···

وكثيرا ما كنت أصحب الصديق « الضرير » أحمد الزين الى (البوفيه) الذى كان من أعظم الندوات الأدبية فى القاهرة كان فى حجرة على يسار الداخل الى دار الكتب التى لا تزال قائمة فى ميدان أحمد ماهر « باب الخلق سابقا » ما رأيت « جامعة » أعظم منها ··

فى تلك الحجرة كان يتجمع أدباء الدار وزوارهم ساعة كل يوم من العاشرة الى الحادية عشرة صباحا ليدخنوا ويشربوا القهوة والشاى ،

وكان التدخين هو المقصود بتخصيص ذلك الوقت فى تلك الحجرة ، لانه كان ممنوعا فى الدار كلها ، سواء فى قاعة المطالعة أو فى حجرات الموظفين ، رأيت هناك حافظ ابراهيم وأحمد رامى ومحمد الهراوى وأحمد نسيم وغيرهم ، يديرون أحاديث ذات طرافة وظرف كأنهم يعكسون نوادر وفكاهات الأدب العربى التى يعيشون معها فى كتب يعملون فى تحقيقها وتصحيحها مثل « الأغانى » و « العقد الفريد » و « عيون الأخبار » يعكسونها فى شكل جديد يسخرون فيها من الأمور الجارية فى عصرهم .

كنت أستمع اليهم مبهورا ، لا أكاد أنطق فأنا « شىء » ضئيل مع هؤلاء العمالقة لا يشعر أحد بوجوده .. فلتكن « حصة » مما أتلقاه فى هذه الجامعة .

كانت « الدرجة السادسة » فى كادر الموظفين اذ ذاك أمنية عزيزة المنال أمام أولئك الرجال الذين يعملون فى أعلى مستوى للفكر باليومية.. قال عبد الله حبيب يوما فى « ندوة البوفيه » :

- « لو اختارونى رئيسا للوزراء فانى أمنح نفسى الدرجة السادسة وأستقيل .. » .

وبعد ذلك جاء « الانصاف » وهو قانون يقضى بانصاف جميع الموظفين الذين يحملون « شهادات » ويشغلون وظائف صغيرة بمرتبات صغيرة ، بعضهم كان يحمل الشهادة العالمية التى تشهد بنهاية التخرج فى الأزهر ويعمل مؤذنا أو فراشا فى مسجد أو مدرسة . سنت هذا القانون حكومة الوفد وكسبت به شعبية فوق شعبية .

من نتائج ذلك القانون أن صار عبد الله حبيب الذى يحمل العالمية الأزهرية فى الدرجة السادسة دون أن يكلف تأليف الوزارة .. وكان أحمد الزين يحمل أيضا العالمية الأزهرية ، فأخذ الدرجة السادسة وظل بها سنين طويلة ولم يرق الى الخامسة الا بعد أن مات .. اذ ظهر اسمه فى قائمة الحاصلين عليها دون أن تعلم ادارة المستخدمين بوزارة المعارف انه مات ..

أما عبد الله حبيب فقد مات «قتيل الوزارة» اذ نقلته مدرسا بمدرسة اعدادية فى آخر مدته بعد ان كان مدير ادارة ولم يزاول التدريس من قبل فكان يذهب الى المدرسة صباحا ويعود منها ظهرا ، ويقضى الوقت جالسا على كرسى فى الفناء ، حتى أدركه الفناء .

أولئك قوم ماتوا بعزة أنفسهم وان لاقوا فى حياتهم جحودا لما قدموا

للحياة الأدبية والثقافية فى بلد كان ولا يزال يضن بالعيش الكريم على أهله الجادين ويفيض به فيضا على الهازلين ... ومع ذلك نحبه ، ولا فضل لنا فى هذا الحب .. لانه هو نحن ونحن هو ..

منذ سنين شعرت بالغربة فى وطنى ، كلما سلكت طريقا لا أجده يفضى الى شيء أو أجد فيه من يصدنى عن السير نحو غاية أرجوها لى وللنفع العام .. وكتب الصديق عبد العزيز الدسوقى فى جريدة الأخبار يسأل : « وأين عباس خضر ؟ » كنت فى السودان كان الطريق اليه هو الذى وجدته مفتوحا أمامى . وقضيت هناك ثلاث سنوات نعمت روحى فيها بذكريات حبيبة ، ولقيت ثمارا مما غرست هناك من قبل ، ثمارا طيبة ناضجة ممن يسمون أنفسهم تلاميذى ، ولقيت فيهم وفى سائر الأصدقاء هناك أهلا بأهل وجيرانا بجيران كما قال الشاعر القديم . وأحمد الله على انى استطعت أن أقوم بعمل ما لقوم أحببتهم فى مجال الثقافة والأدب ، ولم أر أصفى انسانية من الانسان السودانى وتتركز هذه الانسانية فى الأفراد العاديين ، وتخف فى كثير من الذين يتعلمون فى الخارج ، اكتسبوا من البلاد الخارجية نقيض ما خسروه .

ويمثل ذلك فى مصر أهل الريف . فليت شعرى : هل يدفع الانسان لرقيه وتقدمه فى الحضارة هذا الثمن الباهظ ؟

وعدت الى مصر فى صيف سنة ١٩٧٣ على نية أن أعود الى السودان ما دام فى مصر من يفسد فيها ولكن « عبور أكتوبر » شدنى الى الأرض الطيبة وأنا أقول لعبد العزيز الدسوقى : هأنذا .

وفى خلال تلك المدة وقعت لى تجربة كان لها أثر بالغ فى حياتى وفهمى للناس وفى ثقافتى واطلاعى . كسرت رجلى فى حادث سيارة بالخرطوم وأخذنى صديق سودانى الى منزله ورجلى فى الجبس . ثم عدت الى حجرتى بالفندق ، وقضيت فيها نحو شهرين أقضى الليل والنهار على كرسى ومنتهى أملى أن أستطيع النوم على السرير .

طالت تلك الحال بسبب خطأ فى العلاج ، كان وضع الجبس على غير موضع الكسر .. ثم حملتنى الطائرة الى القاهرة حيث أجريت لى عملية لحام فى العظام ، ثم كانت مشكلة .. أنا لا أنام فى فراش بل أنام قاعدا على كرسى وسيأتى الشتاء وأنا لا أتحمل البرد فعدت الى الخرطوم حيث دفء الشتاء الذى لا يعد شتاء بالنسبة الى غير السودانيين من أهل البلاد الباردة أو المتوسطة مثل مصر واستطعت بعد ذلك النوم فى الفراش وقضيت الشتاء فى القاهرة ، وأصبحت الأمنية أو عادت أمرا عاديا ، كأية أمنية يبلغها الانسان .. وتحققت بعدها أمنية أخرى : أن أمشي

على عصا ٠٠ والأمنية التى لم تتحقق أن أستطيع السير من غير عصا وان كانت تتحقق فى المنام لانشغال العقل الباطن بها ، وكذلك فى المنزل حيث أجول فى الشقة « متحنجلا » تاركا العصا لأحد أحفادى يعيث بها فسادا وضربا فى الآخرين ٠٠

والعجيب انى لم أضعف نفسيا أو معنويا ، بل على العكس زاد تشبثى بالحياة وشفيت الحالة النفسية التى عانيتها فى الفترة السابقة عندما وجدت كل الطرق مسدودة أمامى فى مصر ففررت الى السودان ٠ والأعجب انى صرت بعد ذلك أقل شعورا بالحياة وبالأمل فيها ويبدو لى ان الانسان يعيش بالتطلع الى ما يتمنى أكثر مما يتوافر له ذلك وقد نال ما تمنى ٠

صورت لمحة من حياتى قعيدا بالفندق فى الخرطوم ، فى قصة نشرت بعنوان « بائع الموز » والحادثة الواقعية التى أوحت بالقصة تتلخص فى انى أردت يوما أن أخرج الى الشارع ، والشارع فى حياتى اليومية ضرورى مثل الطعام والشراب وكان « التسكع » فيه من تلك الأمانى التى تحققت والحمد لله ٠ المهم انى خرجت أجر رجلى قاصدا الى مطعم قريب متوكئا على عصا تنوء بى ٠ فرآنى شاب عابر على عاتقه حمل من الموز فحيانى مبتسما وقصد الى دكان بجوارنا وأنزل به حمل الموز ودنا منى وهو يقول (سلامتك ٠٠ يا عمى) وتوكأت عليه من ناحية وعلى العصا من الناحية الأخرى ، حتى بلغنا المطعم ودعوته الى الغذاء ، فأبى شاكرا ، وقلت له : شكرا لك ، اذهب الى عملك فانى أستطيع العودة وحدى وبعد أن فرغت من الطعام وتهيأت للسير رأيته ماثلا أمامى يدنى كتفه من يدى ٠٠٠

وفى حجرتى بالفندق قضيت أياما وليالى جالسا على كرسى مفكرا أحيانا متلبدا أخرى راجعت ما مر بى فى أطوار حياتى ونقحت كثيرا مما رأيته فى حاجة الى التنقيح واكتسبت عادات جديدة أو غيرت بعض العادات ، كنت أضيق بضجة الناس فأصبحت أسعى اليها اشتقت الى الزحام وأنا فى العزلة المضروبة على ثم صرت ـ بعد القدرة ـ أضرب فيها غير ضائق بها ٠

وقرأت كل ما طالت يدى من كتب والتهمت كل ما يقرأ ٠ وكان بجوارى فى الفندق طلبة مصريون فى الجامعة ـ فرع القاهرة ـ استعنت بكتبهم الدراسية والعاطفية على سد نهمى الى القراءة وأقصد بالكتب العاطفية الروايات ، وبعضها مغامرات ، بوليسية مما أولعت به مثلهم

فى فترة من الشباب ولم أدع حتى الأعـداد القديمة من مجلات الاثارة اللبنانية التى تجذب بعض الشبان ·

ولما عدت الى بيتى فى القاهرة ولزمت الحجرة شهورا ، عاودت تلك الحال تفكيرا وتبلدا وقراءة · ووجدت فى مكتبتى التى هى دائما فى حجرة نومى وبعضها على أرفف بحـــذاء السرير أو تعـلوه · كان معظم الكتب لا يزال بكرا لم أفض غلافه اشتريت بعضها وأهدى الى الأكثر ووضعتها فى أماكنها على أن أقرأها فيما بعد حتى كان كسر رجلى هو « الما بعد » وعرفت من لم أكن أعرف من أدبائنا ومفكرينا كبارا وصغارا ، من خلال انتاجهم · ورثيت لهذا الانتاج الذى لابد أن يتعرض لما تعرض له عندى قبل كسر رجلى من « الركنة » القاتلة ، وليس كل من يقتنيه ، وخاصة بالاهداء ، سيقيض له أن تكسر رجله من أجله ·

ومؤلفاتى أنا ·· لابد أن تكون كذلك رأيت مـرة على « ســور الأزبكية » ضمن كتب كل منها بثلاثة قروش ـ كما ينادى عليها البائع ـ رأيت كتابا لى وعليه اهداء الى رجل فى منصب كبير ·· استبعدت أن يكون الرجل قد باعه بقرش أو قرشين على الأكثر ، ثم هدانى التفكير الى أن يكون أحد العاملين بمكتبه من السعاة والفراشين قد « لملم » ما هناك من كتب وأوراق وباعها بالأقة أو الكيلو ··

انها كارثة على أى حال ·

وكان صديقى الدكتور عبده بدوى بجوارى فى محنة كسر رجلى بالسودان اذ كان مدرسا بجامعة أم درمان · وقد لقى كثيرا من حماقاتى·· وحديث ذلك نبدأ به الفصل التالى ··

الفصل السابع

اذا كان لبعض الشدائد فوائد فان ذلك الحادث الذى كسرت فيه رجلى وما تلاه من اضطرارى الى عزلة كرهتنى فى العزلة .. كان ذا أثر لا من حيث القراءة والاطلاع فحسب ، فالثقافة ـ كما نعلم أيضا ـ غير مقصورة على ما يقرأ فثمة تجارب الحياة وأهمها الشدائد . وهذه الشدة كانت « مصفاة » و « مسبارا » لمن عرفت من الناس على انى لم أرم « التفل » الذى تخلف فى المصفاة .. فقد تعلمت ـ فيما تعلمت ـ أن آخذ الناس على علاتهم ، وان كان لابد من التمييز بين من نجح بمجموع كبير ، ومن نجح بمجموع أقل ومن رسب .... الخ .

وكان من الناجحين صديقى الدكتور عبده بدوى وقد حصل على مجموع لم يصل به الى المائة فى المائة بسبب خلة فيه ـ والكمال لله وحده ـ هى خلف الوعد . وقد أغضبتنى هذه الخلة أولا ، ثم رضت نفسى عليها وتسامحت فيها لما رأيتها طبعا عاما لست وحدى المقصود به .

وقد حمقت عليه مرة حمقا لم أحمده من نفسى ان كان يحمد الحمق .. طلبت منه أن يشترى لى أشياء وأنا قاعد لا أبرح الفندق فى الخرطوم ثم جاءنى بها ، وأبى أن « يحاسبنى » ، فثرت عليه وأغلظت له ... واتهمته بانه لا يريد أن يأتى لى بشىء بعد ذلك ، اذ يحرجنى بعدم أخذ الثمن .

وقد تأملت أعماقى أو غصت فيها بعد ذلك .. تبين لى ان لتلك الغضبة باعثين أحدهما انى كنت أنظر اليه كأخ صغير يجب أن يسمع كلامى ويأخذ ثمن ما اشترى ساكنا .

والسبب الآخر ان ذلك وقع عقب حادث آخر :

كان من الأصدقاء الأوفياء كاتب سودانى هو عبد الله رجب ، جاءنى فى الزيارة الثانية فى الفندق بعد الحادث ومعه « شيك » بخمسين جنيها من الأستاذ السلمانى ، وهو كاتب سودانى اشتغل بالصحافة مدة طويلة

فى الماضى ، ثم أثرى وما أظن ثراءه من الصحافة ، فلم تكن هذه مصدر ثراء فى السودان . والمهم فى هذا الصدد هو انه مواطن سودانى كريم ، يبذل ماله وجهده وخبرته فى المشروعات النافعة وخاصة فى مجال التعليم اذ يتبرع لانشاء المدارس هناك .

قال عبد الله رجب وهو يقدم لى الشيك :

ـ أنا قلت للسلمانى ان عباس خضر الكاتب المصرى وقع له حادث تصادم واضطر الى المكث فى الخرطوم بعد انتهاء زيارته ..

قلت وأنا أنظر الى ما فى يده :

ـ وما هــذا ؟

ـ هذا مبلغ تستعين به فى دفع أجر الفندق وما الى ذلك ..

لا أذكر ماذا قلت بالضبط وقد فاضت بى مشاعر مختلفة .. والمهم انى اعتذرت شاكرا .

فلما كان ما كان مع أخى عبده بدوى فاضت بنفسى تلك المشاعر : ماذا يظن هؤلاء الناس ؟ أيحسبوننى شحاذا مستحقا لاحسانهم .. ؟

وهكذا وقع صاحبى فى مهب العاصفة ، وكان يمكن أن أرده ردا لائقا بغير ذلك العنف . وقد حدث هذا فعلا فيما بعد .. كان يشترى لى ما يشترى وفى الوقت نفسه يحصل لى من الاذاعة والتليفزيون ما يستحق لى فيهما لقاء ما أقدم ، ونطرح ذاك من هذا ، وكان هذا هو الحل .

وكان ما أقدم فى الاذاعة والتليفزيون من أسباب راحتى ـ النفسية والمادية هناك ـ وكم كنت سعيدا أمام « الكاميرا » بالتليفزيون فى ندوة أدبية برغم « العكازين » اللذين أخذهما أحد العاملين بعيدا وأعادهما الى لكى أنهض عليهما بعد انتهاء الندوة ـ كنت سعيدا ومدير الندوة الدكتور الطاهر محمد على البشير يقدمنى الى المشاهدين بوصفى الأديب المصرى السودانى .

وكذلك كتابتى الأسبوعية بمجلة الاذاعــة والتليفزيون التى دعانى اليها « تلميذى » الضابط الثائر الأديب فاروق أحمد عمر ـ وكتب بذلك الشاعر الكبير محمد المهدى المجذوب مساعد وكيل وزارة الثقافة للشئون المالية ـ كتب مذكرة بين فيها أهليتى واستحقاقى للمبلغ الذى يصرف لى من ميزانية المجلة التابعة للوزارة ـ بانى صديق طه حسين .

ومحمد المهدى مجذوب شاعر عبر بشعره حدود السودان وعرف فى سائر الوطن العربى .

وهو من قلة تهضم التراث العربى وتمزج عصارته بواقع الحاضر المعاصر وتكون لهم بذلك أصالة حقيقيـة ، لا كالأصالة التى يدعيها الجامدون عند التراث ، فهذه الأصالة ، المدعاة وذلك الانفصال عن الجذور كلاهما ريش مستعار لا يعين على التحليق . وكلاهما لا يعد قطعا من الأصـالة فى شىء من تلك القلة فى السـودان الدكتور عونى الشريف الأستاذ الجامعى الذى يتولى الآن وزارة الشئون الدينية .

وفى السودان كثير من الشعراء المجيدين مثل منير صالح وجعفر حامد البشير وسبق الجميع بشهرته فى السودان وخارج السودان التيجانى يوسف البشير ، أما القصة فلم يبرز فى ميدانها ـ بالداخل أو الخارج ـ بروزا كبيرا غير الطيب الصالح . وهناك كتاب مجيدون فى مجال النقد والدراسة مثل حسنين نجيلة وجيلى أحمد عمر وعونى الشريف والطاهر محمد على البشير وجمال محمد أحمد ولحسن نجيلة كتاب عن ذكرياته فى بادية من بوادى السودان أرسل اليها معلما فى مطلع شبابه ، كان هذا الكتاب ينقلنى الى تلك البادية من محبسى فى الفندق ويؤنسنى بمعاشرة خيالية لأولئك البدو فى حلهم وترحالهم بصحراء كردفان . ولحسن نجيلة مؤلفات أخرى ولكن كتاب « ذكرياتى فى البلدية » جدير بأن يقرأ فى مجال أوسع مما أتيح له أن يقرأ فيه .. عندما التقينا ـ حسن نجيلة وأنا ـ شعرنا ان كلا منا يعرف الآخر من زمن بعيد لما قرأ له ، والأديب للأديب نسيب .

فى أم درمان ندوة أدبية تنعقد بمنزل الأديب المعروف عبد الله حامد الأمين ، كنت أذهب اليها أنا والدكتور عبد المجيد عابدين ، وجه مصرى مشرق فى السودان ، له مؤلفات قيمة فى الدراسات الأدبية عامة وفى الأدب السودانى خاصة ، وهو الآن مدير جامعة أم درمان .

والأدب السودانى على وجه عام يحفر طريقه فى الصخر ، فمن يؤلف لا يجد ناشرا الا فى بيروت والقاهرة ، ورعاية الشبان الأدباء تكاد تكون معدومة . وأثمان الكتب الواردة أعلى من قدرة الأدباء الشرائية . وأجهزة الاعلام من صحافة واذاعة وتليفزيون تعطى للأدب والأدباء ـ ان أعطت ـ بالقطارة .

ولا أريد أن أسترسل فى الحديث عن الأدب والثقافة فى السودان، فليس هذا مجال الافاضة فيه فلندعه ونعرج على بقعة فى طرف من أطراف

العاصمة المثلثة (الخرطوم وأم درمان والخرطوم بحرى) حيث تقوم كلية الدراسات العربية والاسلامية كان اسمها من قبل ، كما صار الآن ، جامعة أم درمان الاسلامية ، وكانت تحوى عددا من الكليات مثل الجامعة الأزهرية فى نظامها الحديث ، ولست أدرى ما هى الآن وفى الفترة التى فيها كنت هناك (سنة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣) كانت قاصرة على قسمين أحدهما للشريعة الاسلامية والآخر للدراسات العربية ٠

حدثت فى القسم الآخر « أزمة بلاغية » نشأت عن امتناع الأساتذة عن تدريس علوم البلاغة حتى قال أحدهم بصراحة « أنا لا أفهم البلاغة فكيف ألقى فيها محاضرات ؟ » و « عدم الفهم » هنا يعبر عن استثقال هـذه العلوم وصعوبتها ، سواء بالنسبة للطلاب أو بالنسبة للأساتذة أنفسهم ٠٠ واقترح الدكتور عبده بدوى أحد الأساتذة ـ أن يسند الى « العبد الفقير » القاء محاضرات فى البلاغة الى جانب أستاذ آخر من جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، على سبيل التعامل بالساعة ٠ ووافقت الكلية ٠

وللعبد الفقير صاحب هذه الذكريات ـ موقف من علوم البلاغة ليس فى صالحها ٠٠ عبر عنه فى الرسالة قديما وهو يتخلص فى ان دراستها لا فائدة عملية منها وان الجهد الذى يبذل فيها أولى به فروع أخرى فى الدراسة العربية مثل النصوص الأدبية وقواعد اللغة ، فالأولى تكسب الملكة وتنميها والثانية تعصم من الخطأ فى اللغة ٠

وأذكر أن ذلك الموقف قد أثارته معركة حامية بين أستاذين فى كلية اللغة العربية الأزهرية ، هما المرحوم عبد المتعال الصعيدى ومحمد عبد المنعم خفاجة ، حول شرح كل منهما لكتاب الايضاح للقزوينى أحد علماء البلاغة القدماء ، كل من الأستاذين يطعن فى شرح الآخر ويتهمه بالتجارة أو الربح من بيع شرحه للطلبة ٠ ولم تر « الرسالة » فائدة من نشر مقالات الأستاذين فى هذا الموضوع ، فراح كل منهما يؤلف كتابا اثر كتاب فى الرد على الآخر والقول فيه بما قال مالك فى الخمر ٠

وكتب الى بعض الطلبة يشكون من تلك الحال ومن « القزوينى » ذاته وانهم لا يستسيغـون ولا يفهمون ما قاله القزوينى ولا ما يقوله الصعيدى وخفاجة ، فنشرت رسائلهم وانتصرت لهم على الأساتذة العتاة ٠

وتذكرت عهدا أقدم ، حين كنت طالبا فى الأزهر ، وكان مقررا علينا كتاب فى البلاغة اسمه « شرح السعد » وما زلت أذكر الشيخ عواد الذى كان يدرسه لنا فلا نفهم شيئا من شرح السعد ولا من شرح الشيخ

عواد ، وكان هذا الشيخ رجلا طيبا يعيش فى عالم الشروح والحواشى ولا يكاد يدرك شيئا مما حوله فى العالم الحديث . قلنا له مرة وقد بلغ بنا الضيق أقصاه اننا سنكتب « عريضة » للبرلمان نشكو فيها من السعد ، وكان هذا مزاحا ، ولكن الشيخ أخذه مأخذ الجد وأبدى تخوفه من أن يصيب (السعد) أذى من البرلمان .. وقال : لا يا أولادى لا تفعلوا ، فالسعد كله بركة ، انه العلم .. لا تفعلوا : الله يفتح عليكم .

وكنت أتأمل وأقارن : أقارن بين الشيخ عواد الذى غاص فى بحور علوم البلاغة وأجاد العوم فيها وهو مع ذلك لا يحسن كتابة سطور تتحقق فيها أصول البلاغة نفسها .. وقصاراه أن ينطق القاف من أقصى الحلق وبين أساطين أدبنا الحديث المنفلوطى والعقاد والمازنى والبارودى وشوقى ومطران وحافظ .. الذين يكتبون ويقولون طبقا للبلاغة واليقين انهم لم يشغلوا أنفسهم بعلومها وقواعدها بعضهم درسها عابرا وبعضهم لم يلم بها أى المام . واليقين أيضا انهم حينما كتبوا وقالوا لم يكن فى أذهانهم ان هذا يقدم وهذا يؤخر .. وهذا يحذف وهذا يذكر ، وهذا مجاز عقلى وهذه استعارة مكنية .. الخ .

جالت بنفسى تلك الذكريات والخواطر حينما عهد الى بالقاء محاضرات فى البلاغة على طلبة كلية الدراسات العربية بأم درمان ، وترددت أن أقبل أو لا أقبل ، ثم قبلت معولا على أن أتخذ من الدراسة البلاغية سبيلا الى شىء من الدراسة الأدبية على أن أخفف من ثقل الأولى و « أشعشعها » بالأدب .. وذلك برغم ما نص عليه المنهج من ضرورة تقريب المؤلفات القديمة من أذهان الطلاب وهذا مطلب عسير وغايته عقيمة .

ثم وقعت واقعة .. فى أول الشهر عند « القبض » علمت ان المعاملة المالية تجرى على تقسيم الأساتذة المحاضرين بالساعة الى ثلاث فئات : حاصل على الدكتوراه ، وحاصل على الماجستير وغير حاصل على أيهما ، ووجدتنى من القسم الثالث .

ولم يكن سبيل الى مناقشة موظفى الحسابات فهذه هى اللائحة . ثم عرض الأمر على لجنة تسمى « اللجنة الأكاديمية » فأوصت بمعاملتى طبقا لمنزلتى الأدبية – كما رأت – وأضافت ما استند اليه الموظفون الاداريون فى رفض التوصية اللجنة كى « تغطى نفسها » ان كان النظام أو القانون الحالى يسمح بذلك .

لم أندم على اثارة هذه المسألة المالية لأمرين : أحدهما اعتبار أدبى وهو مفهوم والآخر انى لا أرى أى بأس أو حرج فى أن أطالب بحق مالى ،

والبعض « يترفع » عن ذلك ولا أراه ترفعا وبعض الناس يترفع عن الحلال الظاهر ويعوضه أضعافا مضاعفة بالحرام الخفى ·

وخرجت من ذلك بسؤال لا جواب له : هل أكون نافعا للطلاب اذا ألقيت عليهم محاضرات بنظام الساعة ·· وأكون غير نافع اذا ألقيت هذه المحاضرات بنظام التعاقد ؟

كان ذلك فى أوائل سنة ١٩٧٣ ، وعدت من السودان دون أن أتم العام الدراسى ، وأنا أشعر بنكسة مثل التى شعرت بها فى مصر وفررت منها الى السودان ، وكنت كمن فر من المطر ووقف تحت الميزاب ·

ثم جاء « عبور أكتوبر » فأعاد الصحة الى النفس وقضى على النكسات بأنواعها ، جزى الله أولادنا « العابرين » كل خير فى الدنيا والآخرة ·

ويذكرنى وقوف النظر عند « الدكتوراه » بما حكى عن رجل فاضل من أعلام حياتنا الفكرية فى العصر الحديث ، هو الشيخ حسن الطويل · كان من علماء الأزهر النابهين المتفتحين ، ندب للتدريس بدار العلوم عند انشائها ، وكان لا يهتم بزيه يلبس جلبابا صوفيا خشنا من صنع الصعيد يسمى « زعبوط » وكان يركب بغلة من داره بحى الأزهر الى دار العلوم بالمنيرة ·

وعرف ان الخديو ينوى أن يزور دار العلوم ، فقيل للشيخ أن يستعد ليوم الزيارة ويلبس جبة وقفطانا لائقين · وفى صباح ذلك اليوم حضر بالزعبوط وأمامه على البغلة منديل كبير لف به الجبة والقفطان · فلما سئل عن ذلك قال : « اذا كان أفندينا يريد « حسن » فهذا هو حسن وان كان يريد ملابسى فهذه هى الملابس ·

فما أشبه الدكتوراه التى يتشبث بها القوم بجبة الشيخ حسن الطويل وقفطانه ·

ورأيت الشاعر السودانى الكبير ــ منزلة وسنا ــ الشيخ محمد البنا راكبا حمارا وبيده شمسية يتقى بها الأشعة الحامية ، وقف به الحمار أمام « كلية البنات الجامعية » بأم درمان وقف الحمار من تلقاء نفسه لانه يأتى بصاحبه دائما الى هذا المعهد الذى يعد الطالبات ليكن ربات بيوت مع ثقافة عالية فى الآداب والعلوم ، والشيخ الكبير يلقى عليهم دروسا فى الأدب كما كان يفعل الشيخ حسن الطويل فى دار العلوم ·

ومرة لقيت الشاعر منير صالح ، وهو من الجيل التالى لجيل البنا ،

يخب فى جلباب أبيض وعلى رأسه عمامة كبيرة ، لقيته فى شارع بالخرطوم يتسكع كما أتسكع ٠٠ قلت له :

– كيفنك (كيف أنت) ؟ أين البدلة يا سيادة المقدم ؟ وأين السيارة ؟

وكان قد ألبس حلة عسكرية ومنح رتبة « مقدم » وهو لم يمسك سلاحا غير القلم ولم يكن له صيال فى ميدان غير ميدان الشعر ٠٠ لانه عين موظفا بالقصر الجمهورى عقب ثورة مايو واقتضى ذلك أن يكون بالزى العسكرى وبرتبة عسكرية ٠

قال : أما بدلة المقدم فقد ضقت بها ذرعا ، وأما السيارة فقد عطبت كالعادة ٠

والعادة ان الشاعر صاحب العيال الذين يربر عددهم على «دستة» والذين ندعو أن يحرسهم الله – يشترى السيارة القديمة بما فى وسعه ، ثم تتعطل ٠٠ ولا أشك فى أن « البنا » أسعد منه بحماره الذى يسير به الهوينى فى أطراف أم درمان الساكنة تطوف به عرايس الشعر ، وما أظن هذه العرائس تألف ضجيج السيارة وحشرجتها التى تعكر المزاج ٠٠ لقد نشأ الشعر على ظهر جمل بالحداء له ٠ ولو نشأ الانسان مع السيارة والقطار والطيارة لما كان شعر ٠

ويعجبنى فى اخواننا السودانيين تمسكهم واعتزازهم بالزى القومى رمز الأصالة ، هذا الجلباب الأبيض الناصع المكوى الذى يرتاح فيه الجسم كما يرتاح اليه النظر ، وهم يهتمون بكى الملابس حتى الملابس الداخلية والجوارب ، كوى لى مرة كواء الفندق ملابسى كان فيها جورب نايلون فأذابت المكواه الجورب وكانت الجوارب النايلون حديثة لم تنتشر بعد واخواننا السودانيون لا يهتمون بلبس الجوارب لحرارة الجو ، ولكن المصريين يهتمون بها ولو كان الجو حارا وأعتقد ان الاهتمام الزائد بكى الملابس فى السودان عادة مأخوذة عن الانجليز ٠ وهناك عادات أخرى من هذا القبيل مثل الحرص على شرب الشاى باللبن صباحا وبعد العصر ، وفى اللغة نلمح هذا التأثر ، فالتحية الصباحية المفضلة هى « صباح الخير » ترجمة للتحية الانجليزية « جود مورننج » فلا يحيى أحد بالسلام عليكم ٠ وعند الافتراق يقول المنصرف للماكث : مع السلامة ، ترجمة لجود باى على عكس استعمال المصريين لكلمة « مع السلامة » اذ يقولها الماكث للمنصرف ٠ وكنت ألمح اعجاب السودانيين بالانجليز وأعجب من

جمعهم بين هذا الاعجاب وبين العداوة أيام الاحتلال وأظن انى اهتديت الى تعليل ذلك بان النظرة الاجتماعية شىء والقضية الوطنية شىء آخر ٠

كان يعجبنى الجلباب السودانى الأبيض الذى كثيرا ما يرى على الزعماء والوزراء والكبار كغيرهم من سائر المواطنين ، ولكن العمامة الكبيرة أقف عندها مشفقا من حملها على الرأس واذا كان الجلباب ملائما للجو الحار فكيف يحتمل الرأس هذا الحمل الكبير ؟ تساءلت عن السر فى كبر العمامة السودانية ، فقيل لى : انها عادة منحدرة من البدو الرحل، اذ كان أحدهم يسير فى الفيافى والقفار ويخشى أن يموت حيث لا يوجد قماش لكفنه ، فيكفن بعمامته ٠ ومع هذا الثقل الذى يلوح لى لا أرى القوم يتأففون منه بل على العكس تراهم مستريحين فيها يلفونها على رؤوسهم بطريقة خاصة فى كثير منها أناقة ، ولا شك أن الاعتياد له دخل فى ذلك ٠

كنت أحضر ندوات ثقافية فى نوادى الخرطوم وأم درمان ولحظت ظاهرة أدهشتنى أولا ثم اعتدت رؤيتها ، هذا رجل يتقدم نحو منصة الخطابة يلبس الجلباب الأبيض وعلى رأسه العمامة كان يخيل الى فى أول الأمر أنه أحد العاملين فى الخدمة ، لعله يصلح شيئا أو يضع كوبا من الماء مثلا ٠٠ ولكنه لا يلبث أن يتكلم بلسان فصيح وفكر مستنير ٠٠ وقد يكون أحد الأعلام البارزين ، وقد ينطق بعض العبارات الانجليزية ٠

كان التعليم فى السودان قبل ثورة مايو باللغة الانجليزية فى كل المواد الدراسية ما عدا الدراسة الاسلامية والعربية بطبيعة الحال ، وكان من أثر ذلك قوة الطلاب والخريجين فى اللغة الانجليزية دون أن يكون على حساب اللغة العربية ٠ كنت حوالى سنة ١٩٥٦ مدرسا بمدرسة المؤتمر الثانوية بأم درمان : وكان يزاملنا فيها مدرسون انجليز وكانت علاقتنا بهم طيبة ، وكنا ـ نحن المدرسين المصريين ـ فيها كثرة ولما جاء العدوان الثلاثى المشهور بدأت الحرب الباردة بيننا وبينهم ، كان زميلنا الدكتور صلاح الشامى (رئيس قسم الجغرافيا الآن فى فرع جامعة القاهرة بالخرطوم) يناوشهم قال له أحدهم مرة وقد خرج عن بروده الانجليزى المأثور : لا تغتروا فالحرب الحديثة لا تدور بالسيف ٠٠

ومع ذلك كنا نتبادل « العزومات » وهى عادة اتبعناها لتوثيق الأواصر « للتسالى » وفى عزومة عشاء قدم حمام مشو محمر ، فأبى ذلك الزميل الانجليزى أن يأكل منه لانه يثقل على معدته فقال له صلاح الشامى :

طبعا انتم لا تاكلون الحمام ، لانه صغير لا يجدى ، انما تأكلون دجلا برمتها ولا تثقل على معداتكم .

كنت أحرص فى هذه المدرسة على أن أصل الطلاب بالعالم الثقافى العربى خارج المواد الدراسية المقررة ، وكنت أشرف على المكتبة وكانت ممتلئة بكتب الأدب العربى الحديث ، فكنت آخذ الطلاب اليها وأدعهم يقرأون فى حرية بطريقة « مفتوحة » أى دون استعارات مكتوبة ، وأنا أقدر فى نفسى انه حتى لو سرق أحدهم كتابا فلا بأس وليت الناس جميعا يسرقون ثقافة .. وساعد على هذا « التهاون » الثقة بالمشرف وعدم تقييده بما يسمى « عهدة » .

وجاءنا يوما والد طالب ، غاضبا أشد الغضب كيف تعطون لولدى رواية لاحسان عبد القدوس وكيف تكون هذه الرواية فى مكتبة المدرسة ؟

وفى مكتب الناظر تناقشنا وهونا الأمر على الوالد ، حتى أقنعناه بأن لا ضرر على ولده من قراءة روايات احسان عبد القدوس ، وبعد أن انصرف الرجل انتحى بى الناظر جانبا وكان رجلا فاضلا واسع الأفق من رجال التربية المعدودين فى السودان ، وهو صالح بحيرى ، وظننته سيوجه الى لوما فيما بينى وبينه - على اعطاء هذه الروايات للطلبة - ولكنى فوجئت بقوله :

- بالله اعطنى رواية احسان عبد القدوس أعرنى اياها لمدة أسبوع .

- للاستهلاك المحلى ؟

- طبعـــا .

وضحكنا ضحك رجلين .

وأذكر بمناسبة ذلك مثل ذلك فى مصر .. فى مجمع اللغة العربية ، كان مجلس المجمع ينظر فى تقرير اللجنة المؤلفة لفحص الانتاج الأدبى المقدم فى المسابقة الأدبيه ، وتضمن التقرير طعنا فى رواية مقدمة من صالح جودت لانهـــا مغرقة فى الوصف الجنسى وحمل الدكتور منصـــور فهمى على الرواية وعلى الشباب الفاسدين المفسدين ، ورفضت الرواية لذلك وبعـــد الجلســـة مال الدكتـــور منصـــور فهمى على أحد أعضاء اللجنة وطلب منه الرواية للاستهلاك المحلى ..

كان السودان لى فى كل فترة من الفترات التى قصدته فيها مهربا من ضائقة فى مصر : اما مادية واما نفسية واما أدبية . قد تبدو الناحية

الادبية غريبة ولكن الذى وقع فى احدى تلك الفترات وكان سنة ١٩٥٤ ، انى هربت من الصحافة حفاظا على الأدب ، فقد وجدتها تأكل طاقتى وتبرى قلمى وتكاد تجرفنى فى تيار « الاثارة » الذى اشتد فى ذلك الوقت ووجدت الذى أكتبه أو الذى يراد منى أن أكتبه ليس هو ما أريد أن أكتبه وكان لى مرتب فى الصحافة يتعاون مع مرتب الوظيفة فى مسئولية العيال . قدمت استقالتى من الجريدة مجازفة أولا ، وكشرت لى الحاجة عن أنيابها ولقينى صديق كان مديرا لادارة السودان فى وزارة التربية فقال لى : ألا تريد أن تذهب الى السودان ؟ فنبهنى هذا السؤال الى ما أنا فيه ، وفى الوقت نفسه بعث فى نفسى حنينا الى أيام قضيناها هناك من قبل . وذهبت الى السودان بعيالى .. وقضيت ثلاث سنين عدت فيها الى تحقيق رغبة أدبية قديمة فى كتابة القصة القصيرة التى بدأت بها أول ما بدأت من نشاط أدبى ولم أتماد فى كتابتها اذ انشغلت عنها بالمقالات وخاصة باب الأدب والفن فى الرسالة . كتبت قصص المجموعة الأولى « الست علية » وألفت كتاب « قصص أعجبتنى » الذى نشرت فصوله فى مجلة الرسالة الجديدة وكنت أرسلها من السودان الى صديقى الأستاذ يوسف السباعى رئيس التحرير .

أما الناحية المادية فأظنها ظاهرة ، اذ كنت آخذ مرتبا أكبر من مرتبى فى مصر بكثير الى جانب الرخص الذى كان فى السودان ، فى المرة الأولى سنة ١٩٤٢ رأيت السودانيين يشكون من الغلاء ، تعجبت كيف يكون هذا غلاء .. أقة اللحم من الضأن بثمانية قروش ومن البقرى بخمسة قروش والدجاجة بخمسة قروش .. الخ كنت مرة جالسا على قهوة « الحلوانى » بالخرطوم وكان صاحبها خواجة من أصل يونانى ومتوطنا فى السودان فرأيت رجلا يسوق خرافا ويعرضها للبيع فأردت أن أتسلى بمساومته على خروف صغير فقلت له :

– أتبيع هذا بثلاثين قرشا ؟

كانت العملة المتداولة هى العملة المصرية مع بعض القطع الانجليزية مثل « الشلن » ولم يدعنى الرجل أتسلى بالمساومة التى اعتدناها فى مصر ، فقال على الفور :

– سمح (أى موافق) .

أخذت الخروف وفاجأت به زوجتى التى احتارت ماذا نصنع به كله ونحن اثنان .. ولم نكن نعرف « الثلاجات » بعد فدعونا من شاركنا فى أكله مشكورا .

كان ذلك « الغلاء » يشكو منه اخواننا السودانيون ، كما يشكون من « البرد » فى الشتاء ، ولا برد كالذى فى مصر مثلا ، والأمور نسبية ، فقد كانت الأسعار منخفضة كثيرا عما وصلت اليه فى أثناء الحرب العالمية الثـانية ٠

أما الناحية النفسية فقد كانت سنة ١٩٦٩ وكانت أدبية أيضا اذ تكونت « مراكز قوى » فى مجال الأدب والنشر بمصر كالتى كانت فى السياسة بالاضافة الى الشعور المر العام فى تلك الأيام التى لم نذق أمر منها فى حياتنا المصرية ٠ وقد أشرت الى ذلك فى فصل سابق من هذه الذكريات ٠

لاح لى المهرب من جنوب الوادى فقصدت اليه ملبيا رغبة فى أعماقى ، اذ كان السودان ملجأ لى فى أزماتى المختلفة ، وكان يعالج مللا يشبه ملل الحياة الزوجية ، وبعض الكتاب النفسيين ينصحون لعلاج هذا الملل بالسفر والبعد عن الزوجة فترة يعود بعدها الزوج مشتاقا الى زوجته ٠

كانت زوجتى هى مصر ٠٠ أطوف ما أطوف هاربا من نكد عيشتها ، ثم آوى اليها وأرتمى فى أحضانها ٠

فى خلال المدة الأخيرة بالسودان وبالتحديد فى صيف سنة ١٩٧١ عدت الى القاهرة فوجدت فى انتظارى كتابا لى معادا الى من دار النشر الحكومية التى أخذت أسماء متعددة الى أن أصبحت «الهيئة العامة للكتاب» مع الاعتذار عن نشره دون ابداء الأسباب ٠٠ ومقالا معادا الى أيضا من مجلة ثقافية تصدر فى شقيقة عربية ، كنت قد تناولت رئيس تحريرها المصرى بالنقد فى يوم من الأيام ، وسألت رئيس تحرير مجلة ثقـافية بالقاهرة عن قصة قصيرة لى عنده منذ سنة فقال ان بها جنسا ولم يكن بها جنس ٠٠ وآخر ـ رئيس تحرير أخرى ـ ادعى ان المقال الموجود عنده فقد وطلب نسخة أخرى فأرسلتها اليه ، ولابد انها فقدت أيضـا ٠٠ ومجمـوعة قصصية جمعتها لتنشر فى كتاب ودفعت بهـا الى « دار نشر » ففحصنى المشرف على الدار وهو (ألمعى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا) نظر لى نظرة ترجمتها : « جبت لنا ايه من السودان ؟ » ولم تنشر حتى الآن ٠

قلت : آه يا بلد ٠٠

كما يقول المواطنون المصريون عادة عندما يرون الأمور فى بلادهم تمشى على رؤوسها ٠

وقد تعلمت من تجاربى أن الأعمال الأدبية التى تقدم للنشر فتنشر أو ترفض يكون أهم الأسباب فى ذلك أشياء أخرى غير جودة العمل ورداءته ، بل ان تقدير الأديب ذاته يخضع لتلك الأشياء ٠

وما هى « الأشياء » ؟

لا تسألونى عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ٠٠

ولكن أهم تلك الأشياء أن تكون ذا شأن فى مركز قوى ينفع ، وفى مثل بيئتنا هذه يحرص « العاقل » على أن يكون ذا سلطة ، والسلطة أنواع ، ويا ضيعتك ان لم تكن صاحب سلطة ٠

الفصل الثامن

أظن أننا اتفقنا فيما مضى على أن هذه الذكريات لا أول لها ولا آخر ، وليس لها منهج مرسوم ، ولا هى – فى نظرى واحساسى – تخضع لتخطيط . وأصارحك بأنى لا أكاد أفكر فيها قبل كتابتها ، وأحتار قبل أن أبدأ .. ماذا سأكتب ، ثم ما ان أخط شيئا حتى تنثال على انثيالا ..

وهأنذا فى حيرة البدء : بدء هذا الفصل ، ولكن لا داعى للحيرة ، فقد تذكرت مقالا للدكتور زكى نجيب محمود نشره فى مجلة الثقافة التى كانت تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر . قال فيه بناء على فكرة نقلها عن بعض الكتاب الغربيين ، ان الكاتب يبدأ كتابة المقال دون أى تحضير أو سابق تفكير ، يكون مثلا قاعدا فى شرفة يطل منها على سطح المنزل المجاور ، فيرى الثياب المنشورة على حبل الغسيل ، ومنها يبدأ .. سيرى فى الثياب ما يثير انتباهه الى خاطرة أو فكرة ، يتشقق منها ما يجر بعضه بعضا ... ولعل ذاكرتى موفقة اذ أذكر تعليقه وتعزيزه لهذه الخطة الكتابية أو اللاخطة ، قال انها طبيعية لا تكلف فيها وصادقة خالية من التمويه .

وليكن ... هذا زكى نجيب محمود ، أستاذ من أساتذة الجيل قبل جيلنا وما بعده ، لعله الآن مذكور معروفة قيمته الفكرية والأدبية أكثر من قبل ، نشأ فى وسط الأعلام والرواد ، يواكبهم ويجرى معهم فى حلبة السباق ، ولكن غبارهم يغطى عليه ، فقد سبقوه فى الزمن ، أكثرهم علا صيته بمفرقعات من مثل الانتماء الحزبى ، أو الصياح على خصم فى معركة، أو مخالفة فكرية تخالف العقائد وتناطح الجماهير ... الخ .

أما صاحبنا فهو عاكف فى محراب الفلسفة حينا ، وزاحف فى بطء وتأن فى مجال الأدب حينا آخر . بحر زاخر ساكن ، يقذف بموجة ويتراجع ببقية الموج ، ولو قذف بموجه كله لكان له شأن جماهيرى آخر .

ويظهر أن أساتذتنا الكبار ، الكبار جدا ، أخذوا « الوش » وظفروا بالشهرة الواسعة ، اذ جاءوا والمجال خال فصالوا وجالوا ، وكانوا قليلا عديدهم ، فاتجهت اليهم الأنظار ، وتركزت عليهم الأضواء · لم يتركوا بعدهم الا مجالا كان شبه خال ، تقدم فيه نفر من جيلنا ، فكان لهم حظ مماثل ، هو مجال القصة الذى عمروه وأغنوه وان لم يكونوا مبتدعيه · وهذا يخالف رأيا كتبه أخيرا فى (الأهرام) ذهب فيه الى أن ثقافتنا تتأخر عن ازدهار ماضيها القريب ، وتساءل عن أعلام فى الحاضر مثل من كانوا فى الماضى : أين هم ؟

كنت أراه وأقرأ له من بعيد ، ولكنى لم أفهم أغواره ، أو أزعم أنى فهمتها ، الا فى جلسة زاخرة متلاطمة أفضى فيها بأفكار متطرفة أذهلتنى · كان ذلك فى مكتب الزيات وفى حضرته عقب قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ · ونشأ عن ذلك الحـدث تبلبل فى الأفكار وتخلخل فى فكرة القومية العربية ، لما صاحبه وأدى اليه من تفرق العرب وتخاذلهم وتقاعسهم عن الدفاع عن فلسطين ، وكتبت مقالات تشكك فى هذه القومية وتدعو مصر الى أن تكون مصر فقط ·· وأصحاب هذه المقالات عادوا الى الحظيرة بعد ذلك ، كما عاد اليها طه حسين بعد متابعته للطفى السيد فى مسألة (مصر للمصريين) أوائل هذا القرن ·

وكان من آثار ذلك التخلخل قيام صفحة أدبية فى جريدة الجمهورية أوائل الثورة بدعوة الى « المصرية » بتركيز على الثقافة الفرعونية والمصرية البحت ·· وكان يحررها اسماعيل مظهر وعبد الحميد يونس ·

أظن أن زكى نجيب محمود كتب شيئا من هذا القبيل ، ولكن المؤكد أنه فى تلك الجلسة أفضى بكل ما عنده ، وكان شيئا مثيرا ·· حتى اننى عرضت فى الرسالة ما دار فى تلك الندوة وناقشته ، أشفقت من ذكر اسمه حتى لا أثير عليه ثائرة القراء ·· صب زكى نجيب جام أفكاره على كل شىء عربى ومصرى · وخص الثقافة العربية بالانكار والاستنكار ! وجعل كل التراث بل الحاضر صفرا على شمال العالم المتقدم ·· وشملت حملته كل شىء كما قلت ، من أدب وموسيقا وغيرهما من ألوان الثقافة ، وأذكر أنى قلت له اننا نتأثر بموسيقانا ونطرب منها ، فرد قائلا : وكذلك الطفل يطرب من صوت الطشت النحاسى وهو يضرب عليه بالعصا ··

والواقع الذى أعترف به الآن أن ذهولى من تلك الأفكار النـارية ومعارضتى لها فيما قلته فى الجلسة وفيما كتبته وكان شديدا ــ كان تحته فى أعماقى اعجاب بالصراحة والحرية فى ابداء الرأى ، وكان يطوى

هذا الاعجاب موافقة « خفية » على بعض ما قال فى نقد حياتنا وثقافتنا وتخلفنا ..

ولست الآن أجد حرجا فى ذكر اسم زكى نجيب مسندا اليه ما كان، كما وجدت هذا الحرج اذ ذاك . فالرجل واسع الصدر والأفق على ما عرفته بعد ذلك من محادثاتنا ومن كتاباته . وقد التقينا عقب ما كتبت عن تلك الندوة ، وهو شديد كما قلت ، وكأن لم يكن شيء . وهو الى هذا مفكر متطور ، ومثله يرى الرأى ثم يبدو له خلافه فيعدل عنه ، ولا بأس فى ذلك ، ولكن البأس كل البأس فى المراءاة والتلون تبعا للمصلحة الشخصية وسعيا الى « الرائجة » . ولا شك فى أن زكى نجيب محمود كان صادقا بينه وبين نفسه فى آرائه تلك ، كما هو الآن صادق فى تحوله عن الازراء بالتراث الى الأخذ به كمنطلق الى الأصالة والمعاصرة . ومما يذكر بهذه المناسبة أن الدكتور أحمد زكى كان ممن كتبوا عقب قيام دولة اسرائيل ذاهبين الى أن مصر هى مصر فقط .. وهـو الآن رئيس تحرير مجـلة (العربى) التى تصدر عن دولة الكويت ، وأهم أهدافها ما يدل عليه اسمها .

وأذكر أن اشتباكا وقع بين زكى نجيب محمود وأنور المعداوى عقب صدور كتاب (نماذج فنية من الأدب والنقد) للمعداوى ، اذ أشار الأول الى الكتاب اشارة أغضبت الثانى ، فهجم عليه هجومه المعروف بالحدة ، فرد الأول وتساءل بسخرية : لست أدرى ماذا كان يكتب هذا الشاب لو لم يوجد أعلام الأدب والفكر .. ؟ ويقصد بهذا أنه لا يأتى بشيء من عنده ، فكل ما يكتبه تعليق على غيره .. وقال : ومع ذلك يدفعه الغرور الى أن يسمى كتابه « نماذج » ... الخ .

والذى أراه أن الدكتور لم يكن محقا فى تساؤله ذاك ، فكل دارس انما تقوم دراسته على وجود من خلفوا آثارا تدرس ، ودراسات الدكتور نفسه كذلك وان كانت له اضافات مثرية أصيلة .

وثمة وجه شبه بين زكى نجيب محمود وبين سلامة موسى ، فكل منهما يدعـو الى التطور واحتذاء الغـرب ، وكل منهما ثار على التراث والأوضاع القائمة فى حياتنا وفى ثقافتنا ، ولكنهما يختلفان فى وجوه أخرى ، فسلامة موسى لم تتطور أفكاره الأولى بل ظل عاكفا عليها يطوف حولها من البدء الى النهاية ، على نحو ما بين الدكتور عبد الحميد ابراهيم فى مقـال نشر عنه فى مجلة (الثقـافة) - عـدد ديسمبر ١٩٧٤ - أما زكى نجيب فقد تطور كما بينا . ومن اختلافهما أن الأول لم يكن له

ذوق أدبى فكان يحمل على الأدب باسم الأدب ·· وأما الثانى فهو أديب الا أنه فيلسوف ، ذوقه الأدبى يمتزج بالمنطق والفلسفة ، ومن اختلافهما كذلك أن الأول كان يغالى ويشتط ويتعمد الاثارة ، وأن الثانى منطيق مترفع عن الاثارة « الديماجوجية » ·

وسلامة موسى يؤكل لحمه ويرمى عظمه ، أو شوكه اذا شبهناه بالسمك ·· فلا شك أنه كان داعيا الى التقدم والتطور ، وكان من أوائل من نقلوا الينا ثقافة الغرب · ولكنه كان كثير « الشوك » مثل السمك (اللبيس) أو بتشبيه آخر مثل القط يبرز مخالبه عندما يشعر بخطر أو هجوم « ويهبش هبشا » ·· وكأنه يجد لذة فى التحدى والاثارة ·

كان يحارب اللغة العربية الفصيحة ويدعو الى العامية بشتى الأساليب ، ولم يكن من الدارسين لعلومها وان كان يحرص على سلامة كتابته من الأخطاء النحوية واللغوية قدر استطاعته ، كان يضع على مكتبه دائما القاموس المحيط · وأعرف له فضله فى محاربة الزخرف اللفظى وفضول الكلمات مثل ما يكون فى الترادف ، وكان المقياس عنده فى ذلك ما سماه (الأسلوب التلغرافى) أى الاقتصار على أقل قدر لازم لأداء المعانى · ولكنه كان يشتط ـ كعادته ـ حتى يقع فى أخطاء تدل على سطحيته فى اللغة العربية وأساليبها · كتب مرة عقب ثورة يولية مقالا بعنوان (الأدب الملوكى والشعبى) بدأه بقوله « أثار الدكتور طه حسين غبار معركة ··· » ودعا فى المقال الى نبذ التشبيه والاستعارة والاقتصار على الكلمات فى حقيقتها حتى يكون الأدب دانيا من الشعب ، فقد انتهى أدب الملوك المزخرف بالتشبيه والاستعارة ـ على حد فهمه ـ بطرد فاروق ··

ورددت عليه فى (جولة الفكر) التى أكتبها فى (أخبار اليوم) وكان مقاله فى نفس الجريدة · قلت له : كيف يكون الأدب خاليا من التشبيه والاستعارة ؟ هذا مقالك نفسه يبدأ باستعارة ·· فان الدكتور طه حسين لم يثر ترابا حقيقيا انما أثار شيئا معنويا شبه التراب وبنى عليه الاستعارة · ومضيت معه فى مقاله أبين له ما فيه من استعارات وتشبيهات !

وفى فترة ما انتشرت هذه الدعوة كأنها « موضة » أذكر منها ما كتبه زكريا الحجاوى فى جريدة (المصرى) قائلا : يجب أن يخلع الأدب ثوب الاستعارة ! وقلت له فى ندوة « قهوة الكمال » التى كانت بميدان الجيزة : ألا تعلم أن تعبيرك نفسه استعارة ·· ! اذ ليس للأدب ثوب يخلعه !

وكان أكثر ما يغيظنى من سلامة موسى تعرضه للغة العربية وقوله بأنها ليست صالحة للعصر ... ونشرت احدى الصحف أن سلامة موسى يسعى لأن يكون عضوا بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وكان هذا اسم المجمع اللغوى فى ذلك الوقت ، وأنه أوعز الى بعض أعضاء المجمع كى يرشحوه لهذه العضوية ، فكتبت مقالا فى الرسالة بعنوان (مجمع سلامة موسى للغة العامية) قلت فيه ان سلامة موسى ليس مكانه مجمع اللغة التى يحاربها وانما الجدير بعضويته هو مجمع ينشأ للغة العامية التى يدعو اليها ، بل هو جدير بأكثر من هذه العضوية ، جدير بأن يطلق اسمه على المجمع العامى ذاته ..

ولم يكن سلامة موسى يرد على استصغارا لشأنى .. ولكنه انتهز فرصة أراد أن « يهبشنى » فيها . وذلك أن جمعية الشبان المسيحية نظمت أسبوعا للشباب ، وكان من برنامجه أن يلقى بعض كبار المفكرين محاضرات على الشباب فى الجمعية ، وكان منهم سلامة موسى ، وكان يجمع الشباب فى حجرة فسيحة على هيئة فصل فى مدرسة ويحدثهم ويناقشهم . وطلبت أن أحضر حديثه معهم ، فأجاب طلبى مشترطا أن أكون مستمعا فقط ، أى لا حق لى فى الاشتراك فى المناقشة .

وما ان دخلت وجلست حتى بدأ فى «الهبش» قدمنى الى «الأولاد» قائلا :

ـ الأستاذ من مجلة الرسالة .. هل تعرفون مجلة الرسالة ؟

وعن طريق « س ، ج » بينه وبين الشبان وصل الى نتيجة أن الرسالة هى المجلة التى تعنى بالأدب العربى .. ثم ازداد « هبشا » فقال :

ـ والأدب العربى هو أدب أبى نواس .. أدب الجنس والفحش !

وكانت النتيجة الثانية المفهومة ، وان لم ينطق بها ، أن الرسالة هى مجلة الجنس والفحش !

خرجت وأنا أحمل هذه « التحية الطيبة » للرسالة .. وما لم أقله فى جمعية الشبان المسيحية قلته فى الرسالة ، وهو شىء بدهى ، ففى كل أدب أمثال أبى نواس ، وليس كله أبا نواس .

وبعد ذلك جمعتنا الظروف فى « أخبار اليوم » اذ كان وكنت محررين بها ، ووجدته فى هذه الفترة رقيقا لطيفا ، وان كنت قد ازددت

يقينا بأنه ليس أديبا ، تستطيع أن تسميه كاتبا مفكرا مثلا ، ولكنه لم يوهب الطبع الأدبى وان كان قد وهب ذكاء ممتازا ٠

سألنى مرة : كم يلزم للأديب من الذكاء لكى يكون أديبا حقا ؟ عشرة من عشرة أو أقل ؟ قلت : يمكن أن يكون أقل ، خمسة من عشرة على الأقل تكفى الى جانب الموهبة الأدبية ٠ قال بلهجة الأستاذ الذى يخاطب تلميذا لم يوفق فى الاجابة : لا ٠٠ لابد من عشرة على عشرة ٠٠

عقب نشر مقالى (مجمع سلامة موسى للغة العامية) انبرى للرد عليه مصطفى عبد اللطيف السحرتى فى مجلة (المقتطف) الشهرية ، وهذا الكاتب الناقد ممن لم يصطنعوا وسائل للشهرة غير مجرد الجد فى العمل الأدبى ، وهذا الجد غير كاف فى بلادنا لكى يأخذ الأديب حقه من التقدير ، فهو رجل طيب مترفع عن الصغائر ، وكلمة « رجل طيب » أقصد بها هذا الترفع ، ولكن لم أقصد هذا المعنى عندما جعلتها عنوانا للرد عليه ٠٠ كنت أرمى الى أنه غافل عن حقيقة الموضوع ، لأنه عاب على أنى لم « أقيم » كتاب سلامة موسى (البلاغة العصرية) التقييم الجدير به ، وانما اقتصرت على فقرات انتزعتها منه ، مع انى لم أقصد هذا التقييم، فلم أكتب عن الكتاب ككتاب ، وانما أخذت منه نصوصا تدل على عدائه للغة العربية وايثاره العامية عليها ٠

لم أذكر اسم مصطفى عبد اللطيف السحرتى فى المناقشة ، بل سميته الرجل الطيب ، وذلك معاملة له بالمثل ، لأنه لم يسمنى فى رده ، بل قال « هذا الشاب » ويظهر أنه كان منفعلا بمعركة نشبت بينه وبين أنور المعداوى خيل اليه أننا متآمران عليه ٠

وكنا ــ المعداوى وأنا ــ نكتب أسبوعيا ، وكان هو لا مجال له الا المجلة الشهرية (المقتطف) ٠ وقد نقل الينا بعض الذين يحبون أن يرموا حطبا للنار ــ أنه قال : « ماذا أفعل مع هؤلاء الأولاد ؟ يكتبون ويحملون على أسبوعيا وأنا لا أستطيع أن ألاحقهم بكتابتى الشهرية ٠٠ » ٠

وكان مصطفى عبد اللطيف السحرتى صديقا نحبه ونحب ترفعه الخلقى ، فلما وقعت تلك الواقعة كادت تفسد بيننا ، ولكنى رأيته مرة ينزل من الترام وأنا أهم بالركوب ، فتمهلت وألقيت عليه التحية فلم يرد ٠٠٠ ولم أيأس من استعادة الصديق ، فما كنت أراه حتى أبادره بكلام طيب وهو يقابل العدد من الكلمات بكلمة واحدة ٠٠ حتى عاد الأمر بيننا كما كان والحمد لله ٠

مصطفى عبد اللطيف السحرتى وحسن كامل الصيرفى وعلى أدهم

ومحمود البدوى وأحمد مخيمر ومحمود أبو الوفا ـ عندما يرد الى ذاكرتى هؤلاء الأدباء وأمثالهم من الذين يركنون الى الظل ٠٠ اتساءل : هل يجب على الأديب فى بلادنا لكى يحل مكانته أن يصطنع شيئا غير الأدب ليلفت اليه الأنظار ؟ ولماذا تعمى الأبصار ؟! اننى لا أطلب لهم نفعا شخصيا ، وانما أطلب النفع منهم للقوم الجاحدين ٠٠

خذ مثلا مقارنا : محمود أبو الوفا الذى لا يكاد أحد يذكره الآن ، حتى عندما تقدم قصيدته (عندما يأتى المساء) التى يغنيها عبد الوهاب لا يذكر اسمه ولا يقال حتى انها من كلماته ٠٠ هذا الشاعر كم عانى فى حياته ، قطعت رجله فى شبابه ، وكان موضع تقدير من أحمد شوقى أمير الشعراء ، فتداعى القوم الى العناية به ، وبعث به الى باريس لتركيب رجل صناعية ، وأقيم له حفل تكريم ٠ ومرت الأيام وأسدل عليه ستار ٠٠ وعكف فى الظل ، على حين كان شاعر لا يبلغ شأوه مثل محمد الأسمر يعقد الصلات مع الكبراء ومع الصحفيين ، وكان دائم التردد على مكتب رئيس تحرير الأهرام : داود بركات ، ثم أنطون الجميل ٠ وكان دائم النشر فى الأهرام ، وما أدراك ما الأهرام التى لا تنافسها فى الذيوع أية جريدة ، فعاش فى الأضواء حتى توفى ٠

كنت أقرأ لأبى الوفا ، فيهزنى نبض شعره ، وكم كانت فرحتى بديوانه (أنفاس محترقة) وأنا أتلقاه بالبريد مهدى الى من الشـاعر الصادق الذى أحببت شعره ٠ وكتبت عنه ما هو أهله ، والتقينا على اثر ذلك ، وعرفت من خلقه اباء وعزة نفس أقعداه عما ظفر به غيره ، حقا كان يغالى فى اعتزازه بنفسه ولكن فى حدود مقبولة ، لم يجاوزها الى الغرور الممقوت ، سأله مرة أحد الوزراء وقد ذهب اليه يشكو من وضع لا يليق به ، اذ كان فى عمل صغير بدار الكتب ـ سأله الوزير ، من من الشعراء أعجبت به وتتلمذت عليه ؟ فأجاب : محمود أبو الوفا ! فأخذ الوزير ، وحسبه مغرورا ، ولم يصنع له شيئا ٠

واذا قارنا هذا الشاعر الأبى المحروم بشاعر آخر محروم علا صيته، رأينا عجبا ليس عجيبا فى بلدنا ! الشاعر الآخر هو عبد الحميد الديب٠٠ والعجب من أنه نال عطفا كبيرا ماديا وأدبيا بسوء الخلق وبالرذيلة ٠٠ بفحش كان يتنـــدر به المتظرفون فى المجالس ، وبألوان من التصرفات الشاذة ٠ لم يكن يعترف بالكرامة ولا بالاباء ٠ كنا مرة فى قهوة ميدان باب الخلق (أحمد ماهر الآن) وجاء عبد الحميد الديب ، فرأيت عليه « قتاما معنويا » لم أسترح اليه ، وان كان باقى الزملاء قد احتفوا به ٠ وبعد هنيهة لكزنى أحمد مخيمر هامسا :

– هات شلن !

– لمـــاذا ؟

– هات « بس » ٠

– لن أعطيك حتى تقول لى ٠

– – الأستاذ عبد الحميد ٠٠٠ الديب ٠٠٠ نجمع له قرشين ٠

وكنت أسمع عما يصنع الديب بما يعطى له ، اذ يذهب به وينفقه فى أرذل وجوه الانفاق ، والعجيب أنه كان ذا حظ من السخاء عليه ، ولعله استراح الى العطاء دون أن يتعب نفسه فى عمل كأى شحاذ ، وكان بعض ذوى النفوذ ييسرون له عملا ، ولكنه لا يذهب اليه ، منهم الوزير الأديب عبد الحميد عبد الحق ، ما تولى وزارة الأوقاف حتى عين بهـا عبد الحميد الديب ، فلم يذهب الديب ليتسلم العمل !

وحدثنى مصطفى حمام أن عبد الحميد الديب كان يهجو من يعطيه، ويقذع فى الهجاء اذا كثر العطاء ! وكان أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام والذى كان يلتف حوله الأدباء فى الجريدة ، كان يعرف ذلك الخلق من عبد الحميد الديب ، فجاءه يوما يطلب نقودا ، فأعطاه قطعة بخمسة قروش ، فقال له :

– هـذه فقط ٠٠ ؟

– نعم ، لا أريد أن أستكثر من الشتم !

وعلى أثر وفاة عبد الحميد الديب كتب الكثيرون عن عبقريته الفذة وفضائله ٠٠ وأنحوا باللائمة على هذا المجتمع الذى لم يعرف له قدره ٠٠ فاستفزنى ذلك وكتبت مقالا فى الرسالة بعنوان (صانع البؤس) ذهبت فيه الى أن الديب لم يكن بائسا الا لأنه صنع البؤس لنفسه ، وقد آتيحت له فرص ليكون مواطنا محترما ، ولكنه آبى أن يكون كذلك ٠٠

وكان كامل الشـــناوى يعطف عليه ويتسلى به ، يجعـله أمثـولة فى مجاله ، ويدبر له « المقالب » لكى يضحك (بفتح الياء) ويضحك (بضم الياء) منه ٠ وبعض الناس يتقرب الى الناس الأعلين منهم بأن يوطئوا لهم الأكتاف ، لا من حسن خلق ، بل ليبيعوا لهم الأنس ٠٠ يجعلون أنفسهم مواضع للسـخرية ويتصاممون عما يوجـه اليهم وهم عارفون ٠

وكذلك كان عبد الحميد الديب ، وما يضره أن يتندر به و « ينكت

عليه » من يعطيه ٠٠ ؟ على العكس ٠٠ يرى نفسه هو الظافر الآخذ ، ولا يهمه ما أعطى لقاء ذلك من كرامته الرخيصة ! ثم يفرز المكبوت فى نفسه فى صورة هجاء يحاول أن يعوض به الكرامة الفقيدة !

وفى غير حالة الديب يفرز المكبوت فى صورة أخرى من صور الغدر ٠٠ ومن هنا مصداق (اتق شر من أحسنت اليه) ٠

وكان عندنا شاعر بائس هو « صالح الشرنوبى » ـ توفى فى أوائل الخمسينيات ـ رأيته فى أدارة مجلة الرسالة ، اذ جاء يقدم قصيدة للنشر ، ونشرت له الرسالة عدة قصائد ٠ رأيته انسانا رقيقا حييا ، وكان حائرا فى عنونة قصيدته التى يصور فيها حياة راقصة بعد أن ذهب شبابها وذوت نضارتها ، وفرح كما يفرح طفل بلعبة جديدة لما اقترحت عليه أن يجعل العنوان (أطلال راقصة) وكتبنا ـ المعداوى وأنا ـ عن شعره مقدرين وعقب وفاته راثين ٠ ثم اندثرت ذكراه ، لأنه لم يفحش بقول يتفكه به الناس فى المجالس ضاحكين مقهقهين ، كما كانوا يجدون ذلك فى شعر عبد الحميد الديب !

وكان لكامل الشناوى ندوة فى جريدة الأهرام ، اذ كان رئيسا لقسم الأخبار بها ، تشبه الندوات التى كانت تعقد فى الجريدة نفسها بمكتبى داود بركات وأنطون الجميل قبل ذلك ٠ وكان يحضرها وزراء متأدبون مثل حفنى محمود أخى محمد محمود باشا وكان حفنى مشهورا بتدبير « المقالب » مثل كامل الشناوى ٠ والمغرمون بهذا « الفن » من التسلية يجدون لذة فائقة فيه ، فالواحد منهم يضحك فى نفسه ويقهقه فى داخله وهو يدبر « المقلب » ثم يعلو صوته مع القهقهات العالية عندما ينكشف الأمر ويقع المدبر ضده فى المأزق المرسوم ٠

من مقالب الشناوى الأدبية ما فعله مع مجلة (الرسالة) اذ كان يبعث اليها قصائد فلا تنشرها ، ثم يرى شعرا منشورا بها لا يقل شعره عن مستواه ٠٠ ولحظ فى كثير مما ينشر أن توقيع صاحبه مقرون ببلد عربى فى غير مصر ، وقد كان الزيات صاحب المجلة يحرص فعلا على انتشارها فى جميع البلاد العربية ، فأرسل الشناوى الى الرسالة قصيدة ووقعها باسم غريب منسوب الى « بعلبك » فنشرت ٠ وفى خلال ذلك يطلع أصحابه على ما يفعل ليشهدهم على هذه الظاهرة فى الرسالة ويضحك معهم ، وقد يراهن بعضهم ويكسب الرهان ٠

وفى الصفحة الأدبية بالأهرام نشرت أبيات بعنوان (دمع الصخور) بتوقيع (حسن القاياتى) وكان القاياتى الشاعر مولعا بالمعانى الغريبة وكانت له طريقة خاصة فى التعبير لا يحاكى فيها المأثور مثل كثير من

شعراء عصره . وعقب نشر الأبيات نشرت كلمة بالصحيفة نفسها بتوقيع القاياتى ينفى فيها نسبة الشعر اليه ، وقد ختمها بقوله : « انظروا دمع من هذا ! » . وكان كامل الشناوى هو صاحب هذا الدمع ..

قضى كامل الشناوى حياته يدبر المقالب ويقهقه ، وينغمس فى العمل الصحفى ، ويأكل ويسرف فى الأكل برغم ما كان يعانيه من مرض السكر، وفى خلال ذلك يختلس أوقاتا يغازل فيهـا عرائس الشعر .. وكانت الصورة الآتية المتكررة تسترعى انتباهى وأنا أعمل معه فى الأهرام وفى الأخبـار :

صوانى العشاء توضع فى حجرة مكتبه يتوجها الشواء (الكباب) الذى تداعب رائحته معدات الذين « صفصفت » عليهم الندوة فى منتصف الليل ، ويدخل رجل لا يدرى من أين يأتى فى ذلك الوقت ، ويغرز فى ذراع الشناوى ابرة حقنة معبأة بالبنسلين المضاد للسكر .. وقد عرفت أنه يأخذ هذه الحقنة قبل كل وجبة ويأكل ما يشاء ... ويذكرنى منظر جسمه الضخم بمثال يأتى به علماء البيان للكناية ، وهو قول بعضهم لرجل ضخم : أرى عليك ثوبا من نسيج بطنك .

ضرب الدنيا « صرمة » ثم فارقها .. وبقينا نكافح ضرباتها .. فبالله أينا الفائز ؟

ولد كامل الشناوى فى السنة التى ولدت فيها ، وأول مرة رأيته كنا صبيين نطلب العلم فى جامع المؤيد بشارع الغورية ، كنا فى السنة الرابعة من القسم الأول من أقسام الأزهر الثلاثة : أولى وثانوى وعالى ، كانت السنة الأولى فى جامع ابراهيم أغا ، والثانية فى جامع المردانى والثالثة فى جامع الفكهانى ، وكان المصب فى الجامع الأزهر نفسه حيث يكون القسم العالى .

لمحته واقفا وسط الطلاب الجالسين على الحصير فى فصل قريب من فصلنا ، وبطبيعة المسجد لم يكن هناك فاصل بين الفصول . كان لابسا جبة وقفطانا وعلى رأسه عمامة « مقلوظة » وكان هذا زى أولاد العلماء مثل آبائهم ، أما نحن أبناء الفلاحين فكنا نلبس الجلابيب «الفلاحى» وكان بيننا قليل من القاهريين يلبسون الجلباب « أبو صفرة » وحده أو من فوقه « بالطو بلدى » .

كان واقفا يقرأ بصوت جهورى ذى نبرة معبرة ضخمة كضخامة جسمه .. شد انتباهى ، فسألت :

– من هــذا ؟

- كامل الشناوى ابن الشيخ الشناوى ، أصله شاطر فى الانشا ٠٠ يقرأ موضوع الانشا الذى كتبه ٠

وعدت الى المنزل فى ذلك اليوم ولم يبرح خيالى منظر « ابن الشيخ الشاطر فى الانشا » ٠ لابد أن أكون كذلك ٠٠ ولم أستذكر فى تلك الليلة الدروس المقررة ، بل عكفت على مجلة (السياسة الأسبوعية) التى كان يشتريها شقيقى الأكبر ٠ وسهرت مع عالم فكرى آخر غير العالم الذى نعيش فيه ٠

وبعد ذلك خطا الأزهر خطوة جديدة نحو الاصلاح ، فأصبحت أقسام الأزهر كالمدارس الابتدائية والثانوية والعالية ، وبدأنا الدراسة الثانوية فى مدرسة الحلمية الثانوية الأزهرية ، هكذا كنا نسميها سعداء بكلمة « مدرسة » وان كان الاسم الرسمى (القسم الثانوى للأزهر) ٠ وكانت فعلا مدرسة بمعنى الكلمة الحديث ، المناهج والدراسة والمعامل وكل شىء كالمدارس الثانوية المدنية ، مع العناية والتوسع فى العلوم الدينية والعربية مقابل توسع المدارس المدنية فى اللغات الأجنبية ، ولبسنا « الكاكولة » والعمامة بدلا من الجلباب و « الطاقية » وفى فترة تالية ثرنا على الكاكولة والعمامة ولبسنا البدلة والطربوش ٠

واذ ذاك أصبحت طالبا « خسران » فى نظر أساتذتنا « المشايخ » ٠٠ ضبطت عدة مرات وبيدى مجلة أضعها تحت الدرج وأنهمك فى قراءتها ٠٠ شيخ واحد هو الذى التفت الى مندهشا اندهاشا مختلفا ٠٠ هو الشيخ عبد الباقى سرور أحد علماء الأزهر « المنفتحين » - بلغة هذا العصر - على العالم الحديث ، كان يكتب فى المجلات الدينية وغيرها ، وكان يعلمنا الانشـــاء ٠

وقفت أمامه فى الفصل ، مثل كامل الشناوى ، أقرأ الموضوع الذى طلب منا الأستاذ كتابته ، وهو (لماذا تقدم المسلمون فى الصدر الأول وتأخروا الآن) ؟ ٠

وقد انتبهت الى الموضوعات الحيوية ، أمثال هذا الموضوع ، التى كان يعطيها لنا الشيخ عبد الباقى سرور ، وهى مختلفة عن الموضوعات التى جرى عليها المدرسون الآخرون مثل (مناظرة بين السيف والقلم) ٠

وفى تلك الفترة من حياة الأزهر كان هناك صراع بين الطرق الحديثة والطرق القديمة فى التدريس ، فكان بعض المشايخ يحاولون أن يجاروا الركب ٠٠ سمعوا أن هناك وسائل جديدة مثل : « وسائل التشويق » - كان « الشيخ خاطر » يدرس لنا الجغرافيا فى جامع المؤيد قبل أن ننتقل

الى النظام الجديد فى (مدرسة الحلمية الثانوية) الذى قضى باسناد تدريس كل مادة الى متخصص فيها ، وعين مدرسون من خريجى (المعلمين العليا) لتدريس العلوم الحديثة · كان الشيخ خاطر يبدأ الدرس بوسيلة تشنويق ظريفة فيقول :

يقولون ان الشيخ خاطر لا يحسن تدريس الجغرافيا لأنه أزهرى لا دراية له بها ·· ووالله ·· ووالله ·· ووالله ·· لو مت ودفنت لقامت أعظمى من قبرها وقالت : قارة أفريقيا تحد من الشمال بالبحر الأبيض المتوسط ··· ويمضى فى الدرس الذى موضوعه قارة أفريقيا ·

سمعنا أن طلبة الأزهر فى الجيل السابق لجيلنا كانوا ينظمون العلوم الحديثة فى أبيات وأن أحدهم نظم مقرر الجغرافيا كله فى (ألفية) كألفية ابن مالك فى النحو · وعرفنا أن ذلك الطالب هو « الشيخ شقير » الذى يدرس لنا علم العروض فى (مدرسة الحلمية) فسألناه عن ذلك فقال :

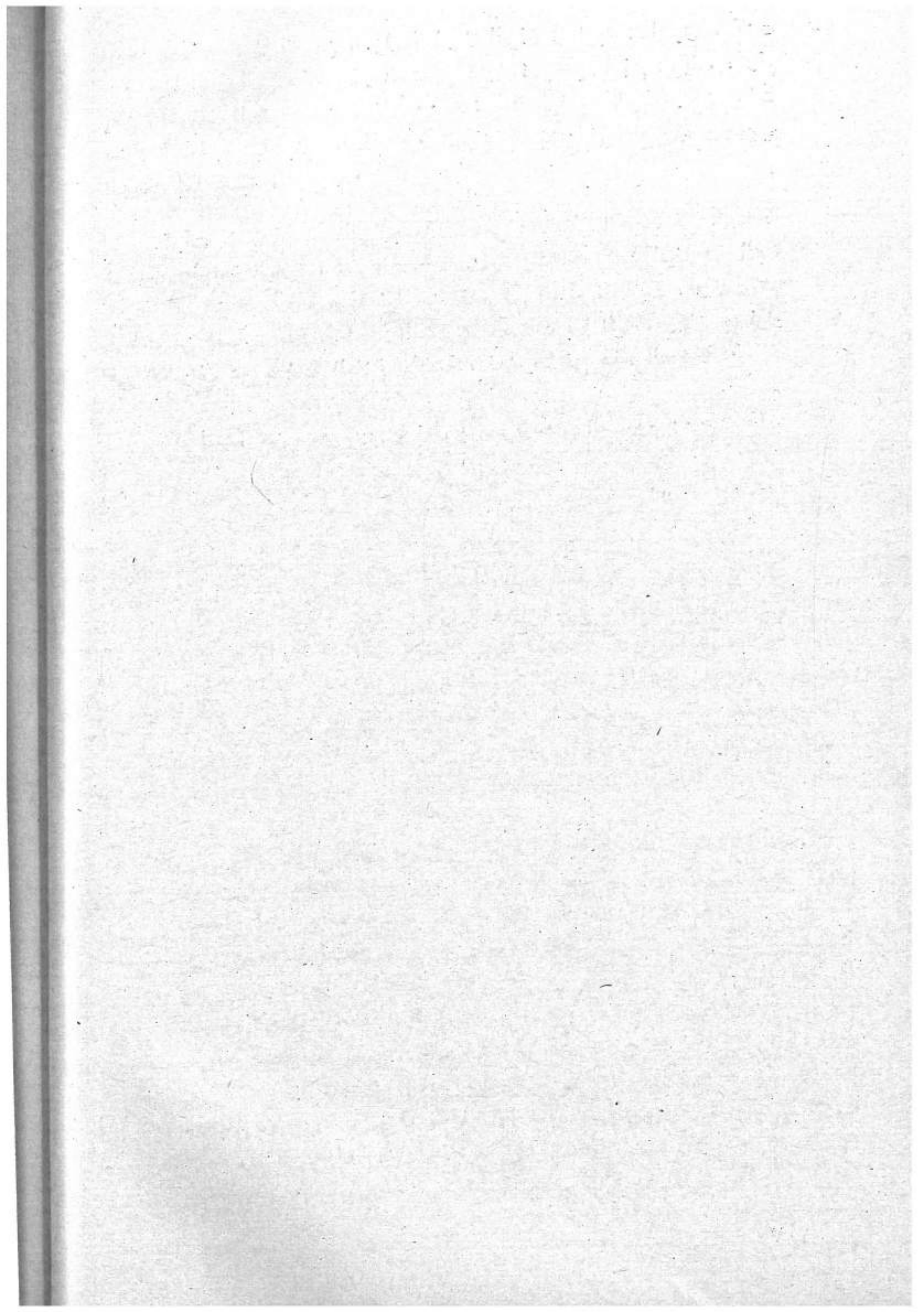
حقا يا أولادى ، كنا نفعل ذلك ليسهل علينا الحفظ · وقد نلت على نظم الجغرافيا مكافأة سخية من الخديوى ·· قلنا : وكيف كان ذلك ؟ قال : ان الشيخ محمد عبده عندما أدخل العلوم الحديثة فى الأزهر كان يعارضه كثير من العلماء ويدعون أن الطلبة لا يريدونها ، فاتخذ أنصار الشيخ محمد عبده من صنيعنا فى نظم هذه العلوم دليلا على اقبال الطلبة عليها ، ورفعوا بذلك تقريرا الى الخديوى الذى كان يناصر هذه الدعوة ، وكان من حظ الفقير ـ يقصد نفسه ـ تلك المكافأة ·

وكان الشيخ شقير يرتجل الكلام الموزون ارتجالا ، أى كلام ··· يقوله نظما سريعا دون أى جهد أو تلكؤ · وكان ينصحنا ـ لكى نكون شعراء ـ أن ننظم على أى بحر أى كلام ولو لم يكن له معنى ··· وأخذت أعمـل بنصيحته ، فنظمت كلاما لا معنى له ، ثم كلاما له معنى ، ثم اقتنعت بأنى لست شاعرا ·· فتركت هذا التكلف واتجهت الى جنس آخر من الأدب أميل اليه وهو القصة · كتبت أولا قصصا قصيرة رضيت عنها فيما بينى وبين نفسى ·· نشرتها هنا وهناك ، أذكر منها قصة بعنوان (بنت صاحبة البيت) كان لها أصل فى الواقع ، وقعت لى حادثتها مع بنت صاحبة البيت الذى سكنا فيه أول ما جئنا من القرية الى القاهرة البـاهرة ·· وكان مدار الحادث على اعراضها عنى وايثارها على شابا آخر · ولم أكن موفقا فى علاقاتى مع البنات فى القاهرة ، ربما لأنى كنت

فلاحا « لخمة » لا أحسن الغزل ، أو لا أعرف أسلوبه القاهرى ، كنت أحدث المرأة ورأسى منكس أو مستدير عنها كما تعودنا فى الريف ، ولم يكن ذلك فى الحقيقة عن تعفف ٠٠ كانت النظرات مكفوفة ولكن كانت هناك أشعة مرئية بغير النظر ٠٠ تسرع بالنبض فى العروق وتصيب الجسد بما يشبه الحمى ٠٠

قرأت مقالا لمحمد لطفى جمعة المحامى والكاتب الأديب فى الصفحة الأدبية بجريدة البلاغ ، عن القصة القصيرة المتخلفة كما وكيفا فى أدبنا مع ما لها من قيمة وما هى عليه من تقدم فى العالم الحديث ، وكنت قد فرغت من قصة (بنت صاحبة البيت) فأسرعت بها اليه ، وكان يشارك فى الاشراف على صفحة البلاغ الأدبية ، فنشرها فى هذه الصفحة ٠

كم للنشر من سحر ٠٠ ما زال يسحرنا حتى اليـــوم ٠٠٠



الفصل التاسع

أشرت فى الفصل السابق الى « محمد لطفى جمعة » والتفاتى الى مقال كتبه فى جريدة البلاغ عن القصة القصيرة ·

كان ذلك الرجل من روادنا الأوائل ، وتاريخ أدبنا الحديث يشير اليه اشارات غير كافية مع انه يمثل جانبا مهما من هذا الأدب بكتاباته الرائدة فى فن القصة وغيره ،- وبالقصص التى كتبها ، وكان سابقا فى المضمارين الدراسة والابداع ·

أعجبت بكتابته المزدحمة بالأفكار الجديدة والنظرات الصائبة فى انطلاق تعبيرى ممتع ، تسرى فيها روح عذبة آسرة ·

كنت غارقا فى الرومانسية الى ذقنى · أغرقنى فيها المنفلوطى وأمثاله من المترجمين والمؤلفين منهم محمود كامل المحامى ــ وفى سبيل شيطان الرومانسية ذرفت دموعا على الذين عذبهم الحب وسحقهم المجتمع الظالم ، ولم يرحمهم القدر ·· « ايه أيها القدر » كانت هذه هى الافتتاحية فى القدر ورميه بالغدر والقسوة واتهامه بالاعتــداء على الآمنين ، ووقفت مع الواقفين فى صف أعداء القــدر وأنا لا أعرفه ··· ولا أعرف له جرما الا فيما يجرى لأبطال تلك القصة · وكان « الدهر » يحل أحيانا محل القدر فيأخذ نصيبه من السب واللعن ، وانعكس أثر القراءة الرومانسية على حياتى وسلوكى : حزين من غير سبب منطو على نفسى سارح فى ملكوت مجهــول ، أبحث عن حبيبــة لا أجد « مواصفاتها » الا فى تلك القصص ·

وكان رجل الانقاذ من ذلك الغرق هو لطفى جمعة · مد يده الى بكتاباته ، فاذا أنا على شاطىء الواقع الجارى فى حياة الناس · ولحسن الحظ لم أكن كتبت على منوال الرومانسيين ، فبدأت أكتب كما أرى فى الواقع ·

كان ذلك فى أوائل الثلاثينيات • وفى أثناء دراستى لتاريخ القصة القصيرة التى تبلورت فى كتابى « القصة القصيرة فى مصر » وفعت على قصة طويلة للطفى جمعة اسمها « فى وادى الهموم » ظهرت سنة ١٩٠٥ وقد كتب لها مقدمة دراسية طويلة قال فيها ان فن القصة ينقسم الى قسمين القسم الأول يسمونه (رومانتيك) وهو خيالى ، والقسم الثانى يسمونه (ريالتيك) أى روايات حقيقيـة ، وشرح الفـرق بين (الرومانتيك) و (الريالتيك) شرحا مستنيرا ، هو أول ما كتب فى موضـوعه باللغة العربية ، وقد أطلق على الريالتيك ـ اسم الطريقة الحقيقية ، وبعد ذلك بسنين كثيرة سميت « مذهب الحقائق » فى كلام « المدرسة الحديثة » على لسان أعضاء هذه المدرسة كما جاء فى مقدمة المجموعة القصصية الأولى لمحمود تيمور ، وكذلك مقدمة قصص عيسى عبيد ثم جاء اسم «الواقعية» الذى لا يزال •

وقفت عند قصة « فى وادى الهموم » ومقدمتها فرحا متعجبا ، فرحا بالكلام البكر فى الواقعية ومتعجبا من الفارق بين النظرية والتطبيق؟ فقد كانت النظرية فى واد والقصة التى قصد بها الى التطبيق فى واد آخر • جاءت القصة لا هى واقعية ولا هى رومانسية • وقع فى « مطب » الأفكار الاصلاحية وبعد عن الفن ، وجنح الى التقرير ، ولحظت ان النغمة السائدة فى الرومانسية التى تتوجع من القدر هاتفة أو هامسة : « ايه أيها القدر » بدأت تسير الى جانبها نغمة أخرى هى من سمات الواقعية ، هذه النغمة تقول : ايه أيها المجتمع •• واذا كان « بلزاك » و « زولا » شرحا (بتشديد الراء) المجتمع بلغة الفن فان كاتبنا لطفى جمعة شرحه بالخطابة •

كانت « فى وادى الهموم » الفطيرة الأولى التى خرجت من الفرن « محروقة » أو « محموشة » أكثر من اللازم • ولحسن حظى مرة ثانية جاء لقائى مع لطفى جمعة فى أوائل الثلاثينيات ـ أى بعد وادى الهموم بنحو ثلاثين سنة وقد صار فطيره ناضجا شهيا •

أذكر أن موضوع قصة « فى وادى الهموم » كان الصراع مع المجتمع ، رجل ساقط وامرأة ساقطة ، الرجل جنى عليه المجتمع ممثلا فى أبيه وقسوته الجاهلية ، والمرأة باعت عرضها لتأكل • والمسئول عن هذا وذاك هو المجتمع ••• وقد راج الصراع مع المجتمع بعـــد ذلك فى القصص والمقالات كسلاح لمحاربة التأخر فى مجتمعنا ، ونشأ من ذلك شعور طيب يشفق على المـرأة التى تضطرها الظروف الاجتمـاعية الى الانحراف عن الفضيلة التى يدعيها المجتمع قولا ويناقضها فعلا • وولدت فى أدبنا فكرة « غادة الكاميليا » المـرأة التى يحتقرها المجتمع وهى أنبل من سيدات

المجتمع المحترمات وراجت رواية غادة الكاميليا المترجمة الى اللغة العربية ، قال لى أحمد حسن الزيات انه بدأ فى ترجمة هذه الرواية بالاشتراك مع الدكتور أحمد زكى ، ثم تركها له لكى يشتغل بترجمتها وحده ، لانه - أحمد زكى - كان مشغولا بفكرتها من أثر حبه للمطربة ... منيرة المهدية .. ورأى الزيات ألا ينافسه عليها .. على الترجمة لا على المطربة .

واتخاذ مطربة أو ممثلة أو راقصة مثلا للمرأة التى لا يعدها المجتمع شخصية محترمة انما هو موافقة للعصر ، لا فى بلد شرقى كمصر فقط ، بل كان كذلك فى أوروبا ، والأصل نفسه من فرنسا .

ولا شك انه كفاح عظيم ، ذلك الذى عانته النساء العظيمات فى بلادنا مثل أم كلثوم وفاطمة اليوسف ، حتى فرضت الفنانة احترامها على « الهيئة الاجتماعية » .

رأيت هذا الاسم « الهيئة الاجتماعية » أول مرة فى رواية « زينب » لهيكل التى صدرت سنة ١٩١٢ وكنت أحسب ان هيكل أول من أطلقه على « المجتمع » حتى رأيت لطفى جمعة يستعمله فى « فى وادى الهموم » التى صدرت سنة ١٩٠٥ .

رأيت ولادة كثير من الأشياء فى بلادنا ، رأيت أفكارا وألفاظا وأوضاعا تتحول الى أفكار وألفاظ وأوضاع أخرى ، رأيت كلمة « سيارة » عند ولادتها مسمى بها « الأوتومبيل » اقترحها « أحمد أفندى زكى » المترجم بمجلس النظار « مجلس الوزراء » وقامت معركة لغوية فى الصحف والمجلات والسجلات بين أنصار « السيارة » وأنصار « الأوتومبيل » وأنصار « اللاشىء » عارضوا استعمال الكلمة اسما للأوتومبيل وهى فى أصل اللغة معناها الجماعة السائرة . وكان من أنصار الأوتومبيل لطفى السيد اذ رأى أنه لا داعى الى تغيير الأسماء . ومقترح الكلمة هو الذى صار فيما بعد أحمد زكى باشا شيخ العروبة .

رأيت لطفى السيد يتحول من نصير للعامية الى رئيس لمجمع اللغة العربية ويقف على رأس حراس الفصحى .

ورأيت الدكتور منصور فهمى يتحول من طالب مصرى فى فرنسا تنقل الأنباء انه كتب فى صحيفة فرنسية قائلا : انه يعد نفسه سيىء الحظ لأنه ولد من أبوين مسلمين ... الى رجل مسلم مؤمن متحمس يعد من الذين دافعوا عن القيم الاسلامية دفاعا مجيدا .

ورأيت طه حسين يقول فى محاضراته « محمد » فقط « حاف »

لا تسبقه كلمة مثل نبى ولا تلحقه صلاة عليه · ثم رأيته يؤلف الكتب الاسلامية المشهورة التى كفرت عن سيئاته فى نظر المجتمع ·

وتاريخ طه حسين يهمل هذه النقطة لا يكاد أحد يذكرها ، كاتب واحد كتب عن طه حسين كتابة موضوعية ، ما له وما عليه ولم ينل هذا الكاتب ما يستحقه من تقدير برغم جهده المثمر فى التأليف وجديته فى البحث والدرس · ذلك هو « سيد كيلانى » كان موظفا فى دار الكتب « وطلع فى التطهير » بعد ثورة يولية ·· دبر له هذا « التطهير » من تأذوا بجديته واخلاصه ·· وفى فترة من الفترات اتهم بالزندقة كما اتهم بها أحرار الفكر فى أزمنة وأمكنة مختلفة ·· وقد ضاق به طه حسين أشد الضيق ولا سيما عندما كان يبعث ـ سيد كيلانى ـ اليه برقيات احتجاج شديدة وهو (طه حسين) وزير المعارف · وبمناسبة ضيق طه حسين بما يوجه اليه أذكر انى شاهدت وجهه يكتسى بغبرة تنطق بالغضب عندما اقترب منه ـ وهو يدخل الى قاعة الاجتماع فى المجمع اللغوى ـ رجل كان معروفا بالصلابة والغيرة على اللغة وهو فؤاد عبد الباقى أمين مكتبة المجمع، وقال له نقدا لتعبير جاء فى مقال له نشر فى ذلك اليوم :

ـ يا باشا كلمة « أبدا » تجىء مع النفى للمستقبل و « قط » للماضى ·

أدرك طه حسين خطأه بمجاراة الاستعمال الشائع ، ولكنه غضب ·· صعب عليه أن يبدو مخطئا فى اللغـة وهو الذى يمسك بخناق الناس وخاصة الشباب اذا رآهم مخطئين فيها ، لم يرد على الرجل وأسرع الى قاعة الاجتماع ·

كان طه حسين عاطفيا جدا : اذا رضى أغدق اغداقا ، واذا سخط كف ، وربما أوقع شرا ·· وممن سخط عليهم ونالهم أذاه زكى مبارك ، اذ عمل على اخراجه من التدريس فى الجامعة فكتب المازنى يعاتب طه حسين على موقفه العدائى من زكى مبارك ، وقال له فيما قال : كيف تحاربه فى رزقه وهو صاحب عيال ؟ فعقب زكى مبارك وقال بصلابة الرجـل المكافح : ان عيالى اذا جاعوا فانى أشوى لهم لحم طه حسين ·

وما أظن « كريمة زكى مبارك » اضطرت الى أن تلوك قطعة من لحم طه حسين ، كانت كريمة معنا فى مؤتمر الأدباء العرب الذى انعقد فى بغداد حوالى سنة ١٩٦٤ · وكان الزملاء العراقيون يسألوننى هل اسمها كريمة أو المقصود أنها ابنة زكى مبارك ·· ؟ وفى حفل العشاء الذى أقيم بالقصر الجمهورى لتكريم الأدباء العرب جاءت وقفتى أنا وكريمة بجانب

رئيس الجمهورية عبد السلام عارف ٠ فقدمتنى اليه ، وسألنى عن الأستاذ الزيات وكيف حاله وصحته ٠ وقال انه تلميذه أيام ان كان الزيات مدرسا فى العراق ٠ وطلب أن أبلغه عتابه لانه أرسل اليه دعوة لزيارة العراق فلم يستجب ٠ وقال عبد السلام عارف لكريمة زكى مبارك : ان المرحوم والدها كان من الكتاب المحبوبين فى العراق وأثنى عليه حتى احمر خداها وأشار لها الى التفاح لتأكل منه ، وكان التفاح من (المسموعات) فى مصر أى الأشياء التى نسمع عنها ولا نتعامل معها ٠٠

وقد حضر عبد السلام عارف احدى ليالى مهرجان الشعر فى قاعة الشعب الفسيحة التى امتلأت لا بالجالسين على المقاعد فقط ، بل وقف كثيرون لم يجدوا مقاعد خالية نحو أربع ساعات يستمعون الى قصائد الشعراء ، وظل رئيس الجمهورية يستمع من الأول الى الآخر ، فالشعب العراقى يحب الشعر ويردده كالأغانى ٠ وكانت الاذاعة والتليفزيون ينقلان مهرجان الشعر على الهواء الى الساعة الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل ومن لم يستطع الذهاب الى مكانه ظل فى بيته يسمع ٠٠٠ ولما كنا فى « البصرة » رأى بعضنا أن يزور الكويت فركبنا السيارة التى قطعت المسافة فى نحو ثلاث ساعات ونحن نستمع الى السائق ينشدنا من شعر مهدى الجواهرى ٠

ونعود الى طه حسين وما أكثر ما أذهب وأعود فى هذه الذكريات ٠ كان طه حسين يكافح من حيث علاقته بالناس فى ميدانين متضادين : كان يكافح أصدقاءه وخصومه ٠٠٠ كان يشكو من أصدقائه الذين يحسن اليهم عندما يكون بيده الأمر ، ولما يخلى مكانه يعرضون عنه ويكيدون له متقربين ممن حل محله ٠ وهؤلاء تراهم فى كل عصر يدورون مع الزمن اذا دار ، وهو دائم يدور ، ويلبسون لكل حال لبوسها ٠٠ وكان يكافح خصومه وأكثرهم من النقاد الذين لا تأخذهم فى النقد مجاملة له ، كان يتظاهر باتساع صدره للنقد ولكنه فى الحقيقة لم يكن كذلك ، كأى واحد من البشر ٠

أمامى الآن ــ يا صديقى القارىء ــ طريقان أختار أيهما أسلك أولا ٠٠ طريق يمتد مما سبق عند الكلام على ما عاصرت من متغيرات ، وطريق جد وبدت معالمه عند « المحطة » الأخيرة وهو مسألة النقاد والمنقودين ٠

ولنتوكل على الله ونمض الى الحديث عن بعض ما أتذكره من المتغيرات ، ثم نعود الى الطريق الثانى ٠

مفهومات كثيرة فى حياتنا الثقافية والاجتماعية تبدلت على مدى نصف قرن عشته واعيا ، هناك مثلا الآنسة « ن ٠ ع ٠ ط » لمعت كنجمة فى سماء الشعر عن صفحات الرسالة ثم هوت الى وادى الموت ٠ كانت ترسل القصائد من وراء الأسوار ٠٠ لا فى سجن عام ، بل فى قصر والدها الأستاذ الكبير الذى كان من أساتذتنا فى دار العلوم ، واذا كانت الفتاة لم تستطع فى ذلك الوقت أن تظهر للناس باسمها وشخصها كشاعرة ممتازة ، فاننى لا أجد الآن حرجا فى أن أصرح باسمها وهو « ناهد طه عبد البر » ٠

لو كانت حسنة الحظ لعاشت أو وجدت فى هذه الفترة التى تغيرت فيها وجهات النظر ولصارت فى قمة الشاعرات ولكسب أدبنا الحديث شاعرة لها ديوان مقروء ، وليت بعض أهلها يستطيعون جمع قصائدها ونشرها ٠

كانت الشاعرة السجينة تشكو فى شعرها ما تلاقى من حجر « التقاليد » عليها ولا أذيع سرا ـ كما يقول زملاؤنا الصحفيون ـ اذا قلت انها كانت تتصل بى تليفونيا وتحدثنى حديثا عفا فى منتهى السمو الخلقى، فأشعر انها سجينة بغير اتهام ولا محاكمة ٠

وكانت تحدثنى عن الشاعر على محمود طه معجبة بشعره وقالت لى انها تتصل به تليفونيا ٠ ولما لقيته وجاء ذكرها أعرب عن اعجابه بها ودهشته لخلقها السليم ٠٠ وكان على طه شاعرا ماجنا بوهيميا فى حياته ولم تكن الفتاة تعرف عنه ذلك وفرضت عليه الجد وألزمته الجادة فى حديثه اليها ٠

ثم ماتت الشاعرة ولا أقول فى ذمة التاريخ ، فليس التاريخ معها صاحب ذمة ؟ لقد قفزت المرأة فى حياتنا العصرية أو قفزنا بها ، قفزة كبيرة وان كانت لا تزال عاجزة عن أن تحقق وجودها الذاتى الذى لا تكون فيه دمية للرجل ٠٠ انها لا تزال تغنى : « غاب القمر يا ابن عمى ٠٠ يالله روحنى » ، فهى ليست قادرة الا بابن عمها الذى يفرض عليها الظلام وهى مستعذبة مستمتعة بذلك٠

وفى حياتنا الأدبية « عرايس » يحرك خيوطها رجال ٠٠

وهناك مثال آخر للمتغيرات :

من نحو ثلاثين سنة التقيت بشاب تخرج فى كلية الآداب قسم اللغة الانجليزية وهو ابن رجل كان من كبار رجال التعليم ، وجرى

الحديث بيننا عن تزمت أبيه فقال انه عين مذيعا فى الاذاعة ولكن أباه منعه من مزاولة هذا العمل ، لماذا ؟ لانه سيضطره الى أن يقدم أغانى الحب ..

تعال اليوم انظر ، من يقدم أغانى الحب وما هو أكثر من الحب ؟ مذيعات ترى بعضهن على الشاشة الصغيرة وقد تبرجن آخر تبرج .. « تبرج الأنثى تصدت للذكر » كما قال ابن الرومى فى تشبيه أزهار الربيع .

ونشاهد الآن على الشاشة الصغيرة أيضا فى المسابقات التعليمية بنات المدارس يشرحن أبياتا من قصائد الغزل ، وفيها الحب على أشده . فتعود بنا الذاكرة الى الوراء نحو نصف قرن ، اذ نرى « محسن » بطل رواية « عودة الروح » لتوفيق الحكيم ، نراه فى المدرسة يقترح موضوعا يتكلم فيه للتمرين على التعبير ، فيقع اختياره على الحب فيثور المدرس ويؤنبه ويكاد ينزل به أشد العقاب لولا ان قال : ان الحب أنواع منها حب الله ...

ثم نعود الى مسألة النقاد والمنقودين . دائما يدور الحديث العام على النقاد وتقصيرهم وتجريحهم ومجاملاتهم ... الخ ، وفى هذا الحديث حق لا شك فيه ، ولكن هناك الى جانبه حقا آخر لا يتحدث عنه أحد ، وهو جانب المنقودين وصراخهم من النقد ، بالحق وبالباطل لا أعتقد ان هناك نقدا جادا صريحا خالصا من شوائب الهوى الشخصى يمكن أن يرضى المنقود ... علمتنى التجارب ان من يقول لى انه يرحب بالنقد انما يقصد النقد الذى يكشف عن عبقريته ... أو على الأقل نبوغه .. فاذا نقد الناقد نقدا حقيقيا وسكت المنقود كأنه رجل متسامح واسع الأفق يتقبل ما يوجه اليه بصدر رحب .. فهو انما يتجمل بالصبر .. أو يدرأ عن نفسه غداء قلم .. وقديما قيل : لا تعاد صاحب قلم .

أتريد أوسع أفقا أو أرحب صدرا وأكثر تواضعا وبعدا عن الغرور من « يحيى حقى » ؟ كان لى معه موقف كنت فيه مجانبا للذوق وما ينبغى مع رجل رقيق حساس مثله .. كنت فى حالة نفسية غير طيبة اثر ما حدث مع بعض المشرفين على المجلات الأدبية الخمس التى كانت تصدرها وزارة الثقافة فى عهد الدكتور عبد القادر حاتم حوالى سنة ١٩٦٤ وقال لى يحيى أبو بكر وكيل الوزارة : أعتقد انك تستريح مع الأستاذ يحيى حقى قلت : حقا . قال فليكن عملك معه فى المجلة .

قال لى يحيى حقى رئيس التحرير وقد رحب بى :

– ما رأيك فى المجلة ؟ أريد أن أسمع رأيك بصراحة .

– أتريد الحق ؟

– لا شىء غير الحق .

– هى كباقى المجلات الخمس .

– ماذا تعنى ؟

– أعنى انكم – أقصد رؤساء التحرير – أدباء فقط .. لستم صحفيين ، والمجلة الأدبية مهما كان طابعها الأدبى صحافة وليست كتابا . وأساس الصحافة أن تعكس الواقع فى الجانب الذى تنطق باسمه أو تسند اليه ، فالمجلة الأدبية لابد أن تعكس الواقع الأدبى .

وكانت هناك أشياء أخرى – لم أقلها ليحيى حقى – تفسد تلك المجلات وتثقل كاهلها ، منها موظفون لا علاقة لهم بالصحافة ولا بالأدب فرضتهم عليها الظروف المكانية باعتبارهم موظفين فى الوزارة ولا عمل لهم ، كان هذا فى المجلات الأخرى ، أما مجلة « المجلة » فكان يثقل كاهلها مقالات سياسية من بعض أفراد « مراكز القوى » أو من يلوذ بهم ، كانت المقالة « من دول » تجثم على صدر المجلة حتى تكاد تكتم أنفاسها ، الى جانب « ملازم » من كتب المدرسين فى الجامعة لا تضيف جديدا ولا تشتمل على فكرة خاصة ، لانها مؤلفة من المراجع المتداولة .

أعطانى يحيى حقى أكواما من مقالات وقصص وردت الى المجلة للنشر ولم أجد فيها ما يصلح للنشر سوى القليل جدا ، على ان هذا القليل الذى ارتأيته لم ينشر . وجدت انى فى المجلة (زى قلتى) فانضممت الى القاعدين فى قهوة بميدان الدقى يتصدر مجلسهم أنور المعداوى واسترحت الى فلسفته من حيث ان « الكل باطل » وان لا فائدة .

وفى احدى الليالى روح الزملاء ولم يبق فى القهوة الا المعداوى وأنا ، كان يستبقينى كلما هممت بالرواح ويقول :

– الست تعود الى المنزل كل ليلة فى مواعيد معينة ؟

– ....

– وماذا أخذت من ذلك ؟ ابق معى يا أخى ، اقطع الروتين شاركنى الملل .. كل شىء ممل حتى هذه القهوة ..

ولم أعلم انه يستبقينى للوداع الأخير .. الا فى ظهر اليوم التالى ، اذ فوجئت وفجعت بنبأ وفاته .

ولم أستطع بعد ذلك أن أذهب الى هذه القهوة وان مررت بها أدرت وجهى الى الناحية الأخرى .

قلت لأحد وكلاء وزارة الثقافة :

– اننى لا أعمل ولا مكتب لى .

– ألست تأخذ مرتبك ؟

– بلى .

– خلاص .

وقال لى وكيل آخر :

– يا ليتنى مثلك ..

وقال لى الوزير الدكتـــور سليمان حزين اطمئن « أنا حشبعك شغل » ثم نسى فى زحمة الشغل ...

وقال لى حسن عبد المنعم وكيل الوزارة :

– ألم تكن متفرغا للتأليف ؟ روح ألف لك كتاب .

ووجدت هذا خير ما قيل لى .. وعكفت فعلا على التأليف . وكانت فترة تأليفية خصبة . وكلما أخرجت كتابا شعرت انه ليس حقا ان الكل باطل ...

ونصل ما انقطع من الحديث عن الأدباء « المنقودين » فأقول ان هناك نوعا آخر يضيق بالنقاد ويسخط عليهم ، وهم « اللامنقودون » .. أولئك الذين لا يذكرهم ناقد بخير ولا بشر .. انهم يشعرون فى أعماقهم بألم السكوت عنهم .. ومما يزيد فى الهم انهم يرون من دونهم فى جودة الانتاج يشيد بهم أو يتناولهم النقد أى تناول ، ولكن المسألة حظ .. وليس هـذا الحظ أعمى دائمـا فان هناك أشياء تثير لعاب النقاد غير الجدارة .. والمسألة أعقد من أن تقال فيها الكلمة الفاصلة ، ككل ما يدخل فى نفسيات الناس التى هى أصل كل تعقيد .

أذكر حالة كان « اللامنقودون » فيها يشكلون ظاهرة عامة ، كان ذلك فى أواخر الأربعينيات ، ولعله كان عقب المحنة العربية ، قيام دولة اسرائيل على أنقاض فلسطين ، كانت الوحدة العربية فى شبه تمزق ، وكان الأدب هو الخيط الذى ظل يربط بين القوم ويجاهد وحيدا فى الميـــدان .

فى تلك الأثناء قامت ظاهرة « اللامنقودون » بكتابات فى لبنان وفى العراق تتهم النقـــاد المصريين بانهم يهتمـــون « فقط » بالانتاج المصرى

ولا يعيرون غيره أى التفات • وكان ذلك لان الأدب كرابطة عربية جامعة كان موجودا ، وأى شىء يعتور الوجود يثير الكلام والاهتمام•هو الآن غير موجود ، أى ان الوشائج الأدبية متقطعة برغم وجود الوشائج السياسية على أشدها بعد حرب أكتوبر • وهذه ظاهرة غريبة تستحق الدراسة والعلاج لا أحد الآن يتهم أحدا بانه يهمل أدب الآخر لان العلاقة معدومة برغم مؤتمر الأدباء العرب الذى يحاول رأب الصدع كل بضع سنين •

وكتبت أقول ان من دواعى اهمال النقد المصرى لأدب الشقيقات العربيات حساسية معينة تحمل الزملاء العرب على الغضب من النقد ان لم يكن فى صالحهم وانهم يطلبون النقد الذى يشيد بهم لا النقد الذى يقيم عملهم تقييما حقيقيا •

وعقب ذلك أرسل الأديب اللبنانى الناشىء « سهيل ادريس » كلمة غاضبة ثائرة على نشرت فى « بريد الرسالة » نفى فيها بشدة ما زعمته •• فعقبت عليه بكلمة هادئة قلت فيها ان ذلك الرد نفسه يؤيد وجهة نظرى من حيث انه غضب من نقد •• وان الحساسية التى « زعمتها » تتمثل فيه !

ولمست فى كلام سهيل ادريس نزعة هى التى أملت عليه فيما بعد وخاصة فى الفترة الأخيرة موقفه المعروف من الحركة الفكرية فى مصر ، وان كان هذا الموقف يتلون حسب الاستفادة • وكان من مظاهره أحيانا استقطاب بعض الأقلام المصرية فى مجلته « الآداب » لكى يقول بلسان الحال : هأنذا أفسح للحرية المكبوتة فى مصر !

عندما سافرنا الى بيروت فى أواسط الستينيات لحضور مؤتمر كتاب آسيا وافريقيا رأيت فى البلد الشقيق ما أخذت به للوهلة الأولى من الحرية الفكرية المطلقة متمثلة فى الصحف المتضاربة المتباينة الاتجاهات ، وبعد الوهلة الأولى عرفت ان اختلافات كثيرة تتفق عند مركز اشعاع واحد هو جاذبية « الليرات » وما يحول اليها من دنانير وريالات وجنيهات •• وعرفت كذلك ان رزق الأذكياء على الهبل •

« أيتها الحرية كم يرتكب باسمك •• ؟ » •

عرفت فى هذا المؤتمر ــ كما عرفت فى سائر مؤتمرات الأدباء ــ من لم أكن أعرف سواء من الأدباء فى مصر أو من أدباء غيرها ، وسواء من لم أكن أعرفه أصلا ومن أتاحت الفرصة لفهمه • وأعتقد ان هذه أهم فائدة تجىء من المؤتمرات والمهرجانات الخاصة • واذا كانت البحوث تلقى

وتذهب فى الهواء والتوصيات تصاغ وتطبع ثم تقبع فى الغياهب ولا ترى الضوء ٠٠ فان التعارف يبقى والعلاقات الانسانية خير وأبقى ٠

التعارف بين أديب وآخر من غير بلده لم يكن يعرفه ، أمر ظاهر ، اما التعارف أو تمام التعارف بين المتواطنين فى بلد واحد فانه كثيرا لا يتم لظروف مختلفة يسودها زحام المشاغل وتعقد العلاقات فى المجتمعات الحديثة ، وفى المؤتمرات يتوافر جو خال من تلك المشاغل والتعقدات ، فتصبح مقاعد الفنادق أشبه « بالمصاطب » فى المجتمعات البسيطة الدانية من الفطرة ٠

من الأدباء المصريين الذين أتيح لى أن أفهمهم أكثر فى مؤتمر الكتاب ببيروت يحيى حقى وزكى نجيب محمود وأحمد رشدى صالح ، عرفت فى الأول الظرف الراقى والمرح الوقور ، وعرفت فى الثانى أكثر مما كنت أعرف فيه ، سعة الأفق التى تجمع بين الفكر العميق والموهبة الأدبية ، والتى بهذا الجمع ترى وتحس ما لا يتوافر للكثيرين ، وعرفت فى رشدى صالح القروى المتمدن ، الجامع هو أيضا بين انسانية القروى وادراك المتمدن ٠ وأذكر جلسة جمعتنا وكان ثالثنا محمود السعدنى وأنا استخف ظل السعدنى فى المجالس ، لهذا أردت أن أداعبه وهو ينطق كما ينطق الكثيرون لفظ « معمر » بكسر الميم المشددة فقلت له ان هذا خطأ والصواب « معمر » بفتح الميم المشددة لأن الله هو المعمر الفاعل ، عمرك الله ، ولكن المداعبة ثقلت على السعدنى ، فأسرها فى نفسه حتى نفس عنها فى كلمة من كلماته التى كان يكتبها فى مجلة صباح الخير ، وصفنى فيها بأنى أديب « محنط » سامحه الله ٠٠

وهذا يذكرنى بما روى من ان مصطفى صادق الرافعى سئل عن حمـلاته على طـه حسين فأجاب بانه ذهب الى ادارة جريدة السياسة لأمر ما ، فلميحسن استقباله ، بل أهمله وكأنه لا يعرفه ٠٠ فعز عليه أن يتجاهله وأراد أن يعرفه قدره ٠

كان الهوى الشخصى فى النقد صريحا وكانت المواجهة عنيفة على خلاف الحاضر الذى يلبس فيه ذلك الهوى قفازا حريريا ويصفع ٠٠ يصفع من ليس من « الشلة » ويسلم على أفراد « الشلة » بالمودة والذكر الحسن ٠٠ المدنية هكذا !

ولان المواجهة بين النقاد والأدباء كانت عنيفة ، كانت تشكل معارك تحبها الجماهير كما تحب صراع الكرة بين الأهلى والزمالك ، كانت المباراة بين العقاد والرافعى مثلا ما يكاد ينقشع غبارها حتى يجول فى الميدان

سيد قطب من فريق العقاد ، وسعيد العريان من فريق الرافعى ، وتذهب الكرة لذلك وتعود الى هذا ···· وجمهور القراء يعيش فى نشوة المتفرج، وينقسم الى متعصب للعقاد ومتحمس للرافعى ·

والغريب اننا الآن لا نزال نتحسر على أيام زمان ··· أيام كان الأدب بخير وكانت المعارك الأدبية لا تنقطع !

كان انتاج أساتذتنا الابداعى عظيما ، ولكنه كان صبيانيا فى مجال النقد بل ان « الصبيانية » المهذبة لا تسف اسفافه ··· وخلف من بعدهم جيل متوسط لم يكن خيرا منهم فى النقد · أذكر ان معركة نشبت فى أوائل الستينيات بين محمد مندور ورشاد رشدى وثار لها غبار ، وكان لكل منهما أنصار ، وفيم الخلاف يقوم ؟ الموضوع فى داخل العمل الأدبى ·· لا ، انه فى خارج العمل الأدبى ·· وفى النهاية جمعهما محمد عبد الحليم عبد الله فى ندوة بدار الأدباء فى مباراة نهائية ·· وكان عبد الحليم عبد الله قصيرا يمكر مكرا حسنا مثل يحيى حقى فى القصر والمكر الحسن ، على خلاف واحد مثلى ·· طويل « هبيل » يذكر كل شىء على المكشوف ويضع النقط على الحروف · عبد الحليم عبد الله ترك الناقدين يتصارعان ويلوح كل منهما للآخر بالمنديل الأحمر ·· وفى النهاية أيضا وقف يعقب عليهما متسائلا عن النقط الجوهرية فى الخلاف ، وظل يستدرجهما حتى اعترف كلاهما بأن لا خلاف ، فالموضوع موجود على أى حال سواء فى الداخل أو فى الخارج ··· ويا جماعة الصلح خير ···

الفصل العاشر

أبدأ هذا الفصل بما استرعى انتباهى فى لقاء مع الصديق نعمان عاشور على الشاشة الصغيرة ، اذ قالت له المذيعة وكأنها تقرر حقيقة تاريخية مسلما بها : المعروف أنك الرائد الأول للواقعية فى التأليف المسرحى . فلم يقل لها : أخجلت تواضعى .. أو شيئا من هذا القبيل ، ولم يقل كما قال الرجل المتواضع حقا ـ يحيى حقى ـ فى الندوة التى دارت على تكريمه فى عيد ميلاده السبعين : لماذا تكرموننى أنا وتتركون فلانا وفلانا ممن هم أولى منى بالتكريم ، وذكر مثلا : الدكتور حسين فوزى ، بل قال نعمان عاشور : الواقع أن الفترة التى بدأت فيها الكتابة المسرحية ـ أوائل الخمسينيات ـ كان الأدب المصرى فيها كله ينتقل الى الواقعية .. هكذا قال .

وهكذا بجرة لسان من المذيعة التى لا تعرف ، وجرة لسان أخرى من الأخ نعمان الذى يعرف ، يلغى نحو نصف قرن من الزمان جرى فيه اتجاه الأدب المصرى الى الواقعية وصراع بينها وبين الكلاسيكية والرومانسية أذكر منه حملات « المدرسة الحديثة » فى أوائل العشرينيات على المنفلوطى وألفت خلال ذلك قصص قصيرة وطويلة ومسرحيات واقعية ، فالقصة القصيرة نشأت أول ما نشأت واقعية ، سواء منها ما اكتمل نضجه على النهج الحديث ، أو المحالات السابقة ، وكذلك كثير من الروايات مثل « عودة الروح » لتوفيق الحكيم و « بداية ونهاية » لنجيب محفوظ وروايات احسان عبد القدوس ويوسف السباعى وأخص بالذكر من رواياته « السقا مات » وتبرز هنا رواية « الأرض » لعبد الرحمن الشرقاوى الموغلة فى الواقعية وقد كتبت ونشرت فيما سبق الفترة التى يقول نعمان عاشور ان الأدب المصرى كان ينتقل فيها كله الى الواقعية .

ومما يذكر ما قاله لى يحيى حقى عن لطفى جمعة من أنه قال له : نشرت نحو خمسين قصة واقعية فى جريدة البلاغ على أنها مترجمة من الأدب الروسى وهى من تأليفى ولم يلتفت أحد من النقاد الى ذلك .

واذا نظرنا الى التأليف المسرحى بصفة خاصة فلا شك أن نعمان عاشور وهو من جيلنا يعرف أن محمد تيمور وأخاه محمود وتوفيق الحكيم وعلى أحمد باكثير وغيرهم ألفوا كثيرا من المسرحيات الواقعية فى العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات أى قبل أن يبدأ نعمان عاشور • وتوفيق الحكيم على سبيل المثال ـ له مؤلف ضخم اسمه « مسرح المجتمع » يشتمل على عشرات من المسرحيات الواقعية وكثير منها مثل على المسارح وعلى شاشة التليفزيون •

ولا شك فى أن نعمان عاشور أغنى أدبنا المسرحى فى الفترة الماضية القريبة بمسرحيات واقعية جيدة ، وكذلك فعل سعد الدين وهبة ، وأرى المسرح الآن يعانى الفقر الأدبى بعد كفهما أو تقاعسهما أو كسلهما عن التأليف • هذا شىء والحقائق التاريخية شىء آخر •

وذلك يجرنا الى ناحية من الذكريات هى ناحية المسرح أحببت المسرح منذ وعيت له ولكن « قروشى » كانت تتضاءل أمام أثمان التذاكر المرتفعة• سررت جدا مرة لما قال لى طه حسين فى أول لقاء معه وقد ذهبت اليه فى داره بالزمالك عقب توليه وزارة المعارف أسأله : ماذا سيفعل الوزير الأديب للأدب والأدباء ؟ وقد جرنا الحديث الى المسرح ، وأجابنى عن سؤالى بهذا السؤال : هل تعجبك حالة مسرحنا الآن •• ؟ كان يقصد أنها حالة لا تسر ، وجادلته فى هذا لانى كنت فى ذلك الوقت أشاهد ولادة مسرحية جديدة ، ولكنه أصر على موقفه الانكارى لحالة المسرح المصرى ، وسكت قليلا لما قلت له انك تستطيع أن تبلغ به ما تريد ، ثم قال القولة التى قصدتها فى أول هذه العبارات :

« ذكرنى عندما يبدأ الموسم الأجنبى فى دار الأوبرا سواء كنت وزيرا أو غير وزير كى أبعث اليك بتذاكر لمشاهدة المسرح الحقيقى » •

وكانت التذكرة تبـاع بعـدد من الجنيهات التى كانت جنيهات ، وذهب خيالى « الشقى » الى نساء الطبقة « العالية » اللاتى يذهبن الى دار الأوبرا فى المواسم الأجنبية لابسات أفخر الثياب متحليات بأثمن الجواهر وتتحدث الصحف والمجلات عن أجمل « وأشيك » من حضرن •• وما تلألأ على صدورهن وفى أعناقهن من عقود و « بروشات » •

ولم أذكر طه حسين ولم أر شيئا من ذلك ، بل غرقت فى دوامة وغرقت البلاد فى دوامة ••• كانت دوامتى حملات قلمية على تلك المظاهر وعلى الانفاق الشخصى فى جانب والتقتير فى جانب آخر هو أولى ، وكانت دوامة البلاد فيما تتالى عليها من حوادث وقلاقل أشهرها حريق القاهرة

فى ٢٦ يناير ٥٢ وانقطعت المواسم الأجنبية فى الأوبرا وهرعت الظباء الى الكناس ..

ولم أهون من شأن الفنَ التمثيلى الأجنبى فقد كان له من غير شك فائدة وتأثير فى فننا المسرحى ، ولكن مسرحنا كان يحتاج الى امكانيات أخرى توجه الى تلك المواسم التى كانت تتخذ وسيلة الى الترف والتظاهر الأرستقراطى المؤذى للمشاعر الجادة والفقيرة الى ما كان يصحبه من استغلال يتمثل فى أشياء كسفر مدير الأوبرا ومرافقيه الى البلاد الأوروبية وطوافهم بها وتنزههم فيها بحجة البحث عن الفرق والاتفاق معها ، وكان ذلك يكلف كثيرا مما لو بذل لفرق محلية لأجدى على فننا المسرحى بل أحياه وقد كان فى تلك الفترة ميتا ولم تكن الخبرات تنقصنا فعندنا فنانون احتكوا كثيرا بالفن الغربى وأرسلوا الى بعثات وزاولوا وجربوا ، ثم هم لا يجدون المجال .

ومن بين هؤلاء برز رجل أخذ على عاتقه أن يحيى الميت ... هو « زكى طليمات » كان اذ ذاك عميدا أو كبيرا لمفتشى التمثيل بوزارة المعارف وأنشأ معهد التمثيل الذى كان قد أغلقه حلمى عيسى باشا وزير المعارف « زمان » لانه لا يتفق مع التقاليد ولهذا سمى الباشا « وزير التقاليد » وانهالت عليه سخريات المجلات والكاريكاتير .

أول مرة رأيت فيها زكى طليمات كنت طالبا فى دار العلوم وانضممت الى فرقة التمثيل بها وجاءنا الممثل الكبير يوجهنا فى فن الالقاء ، وكنا نسمع منه اللغة العربية الفصيحة كأى أستاذ من أساتذتنا المتخصصين بالاضافة الى فنه المعبر فى الالقاء . بهرنى منه « التجويد » فى النطق واخراج الحروف من مخارجها واشباع المد .. وما الى ذلك من الأشياء التى كانت تدرس فى الجامع الأزهر للمكفوفين الذين يؤهلون لقراءة القرآن .. اذن فذاك القديم يحيا فى فن حديث .. كانت هذه هى المفارقة وهى وجه الانبهار ..

وما صنعه زكى طليمات بانشاء معهد التمثيل وكفاح المعوقات لتكوين فرقة المسرح الحديث ـ هو ما قصدته بالعبارة السابقة « ولادة جديدة للمسرح » .

وبعث حب المسرح فى نفسى من خلال أنباء تلك الولادة ، وشرعت القلم فى باب الأدب والفن بالرسالة ، أرحب وأبشر ، وأكافح «المعوقات» بالالحاح فى الدعوة الى تذليلها وتنبيه الدولة لواجبها . وأذكر أن طه حسين برغم ما أشرت اليه فيما سبق من تهوينه لشأن المسرح المصرى ـ

عمل ما وسعه العمل فى الوزارة لمؤازرة هذه النهضة المسرحية ، تبين لى أن تهوينه ذاك من قبيل النقد وعدم الرضا عن واقع يريد تغييره .

وأتاح لى أستاذى السابق فى فن الالقاء أن أكون صديقا له مؤازرا فى كفاحه لفن المسرح فى بلادنا وأدليت دلوى فى دلاء النقد المسرحى ، فخصصت صفحات من الرسالة لمتابعة ونقد المسرحيات التى تقدمها فرقة المسرح المصرى الحديث على مسرح الأوبرا ومسرح الأزبكية . وأعود الى مسألة « الواقعية » فأذكر أن بعض تلك المسرحيات كان واقعيا الى جانب المسرحيات التاريخية والمترجمة . وأثار بعضها مناقشات فى مجلة الرسالة ، وكتب بها زكى طليمات عدة مقالات فى الاتجاه الواقعى والالتزامى فى المسرح وهو كاتب أديب الى جانب فنيته المسرحية .

وكان زكى طليمات يدعونى الى حضور التجارب « البروفات » فى مسرح الأزبكية وفى دار الأوبرا ، فرأيت كيف يصنع على عينه من الممثلين والممثلات ، صاروا فيما بعد عمالقة المسرح المصرى : سميحة أيوب وسناء جميل وزهرة العلا ونعيمة وصفى وملك الجمل وعبد الغنى قمر وصلاح سرحان وسعيد أبو بكر وعدلى كاسب ومحمد السبع وأحمد الجزيرى .. وغيرهم ، وكانت هذه الطبقة التى بناها زكى طليمات قاعدة ثابتة بنيت عليها النهضة المسرحية التى أزهرت وأثمرت على يد عبد القادر حاتم فى عهد توليه الأول لوزارة الثقافة .

كان عبد القادر حاتم يشبه الخليفة المأمون فى أن كلا منهما بعث نهضة ثقافية عظيمة ... كانت عناية المأمون بالترجمة التى أخصبت الفكر العربى ، وكانت عناية حاتم بالمسرح والتليفزيون والأدب بانشاء المجلات الأدبية الخمس التى حوربت من الداخل ومن الخارج ... حوربت من الداخل بعبث الموظفين ، ومن الخارج بكيد من لهث من الحملة فيها على اعوجاجه الفكرى ، اذ أحس بأن الأضواء الكاشفة القوية تتجه اليه .

كان لويس عوض على رأس الحملة على المجلات بدافع « الأخذ بالثأر » والواقع الصريح أن بعض ما كتبه عن المجلات صحيح ولكنه استغل نواحى النقص فيها لمحاربتها لا لتقويمها بالنقد البناء .

وعلى أية حال فقد كانت تلك حركة فكرية قدحت شررا تحول الى نور ، فقد استبان كثير من الزيف الثقافى واستطاعت الأقلام الحرة أن تؤدى عملها فى كشف الزيف وارساء القيم الأصيلة فى الفكر العربى الذى حورب كثيرا ، وصمد ، ثم انتصر .

للويس عوض ، كما كان لسلامة موسى ، طريقة ذكية : ينتقى واحدا

من أعلام العرب ويشيد به على اعتبار أنه « فلتة » لا يقاس عليها الباقى المتأخر الجامد . وزاد لويس عوض فى أبى العلاء المعرى أنه اتصل بثقافة أجنبية هى التى جعلته أبا العلاء المعرى ..

ومن قبلهما انتقى المستشرق « دوزى » ابن حزم الأندلسى على أنه تغرد بالحب الروحى لانه من سلالة اسبانية ... ولم يكن كباقى أدباء العرب الغارقين فى الحب الجنسى ... على نحو ما كتب الدكتور الطاهر أحمد مكى فى مجلة الثقافة (فبراير سنة ١٩٧٥) وبذلك الحكم ألغى ذلك المستشرق فيما ألغى أشعار العذريين المشهورة .

ولم أسمع باسم « لويس عوض » الا فى سنة ١٩٤٩ ، كنت أكتب الباب الأسبوعى فى مجلة الرسالة وكنت موظفا فى ادارة الثقافة بوزارة المعارف ، وكان معى الزميل « حسن المنفلوطى » ابن أستاذنا الأول مصطفى لطفى المنفلوطى ، وهو خريج قسم اللغة الانجليزية فى كليـة الآداب ، دفع الى كتابا اسمه « بلوتولاند وقصائد أخرى » تأليف لويس عوض ، قلت :

- ما هـذا ؟

- اقرأ وتفرج .

قرأت الكتاب ، أو عبرته قراءة ، فوجدت أخلاطا عجيبة من العامية والفصيحة ، وكلاما أى كلام .. ووقفت عند كلمة « قصائد أخرى » فلم أجد لها أى مدلول .

قلت للزميل :

- خذ يا عم كتابك .

- ما رأيك ؟

- من لويس عوض هذا ؟

- مدرس فى قسم اللغة الانجليزية بالجامعة .

سكت فقال يحاول اغرائى بمهاجمته :

- الا تكتب عنه ؟

- لا

- لماذا ؟

ـ ما أظن أن له شأنا يستحق ، وما أظنه متداولا ، فلا أريد الاعلام عنه ، دعه مستورا ··· ذكرت ذلك عندما كتب مرة ـ بعد أن ظهر ـ يقول انه يريد « كسر رقبة اللغة العربية » ·

الغريب أن لويس عوض ـ برغم عدائه للغة العربية ـ يكتب بلغة عربية سليمة وكذلك سلامة موسى ، وان كان هناك اختلاف ، فالثانى كان مقتصدا فى الكلام يدعو الى « الأسلوب التلغرافى » أما لويس فهو يمطط حتى يملأ صفحة من جريدة يمكن الاستعاضة عنها بعمود ···

واذا كان حسـن المنفلوطى قدم لى ذلك الكتاب الردىء فان زميلا آخر هو المرحوم حسن فؤاد قدم لى كتابا جيدا ، هو كتاب عن الأدب الشعبى لأحمد رشدى صالح ، وكان المؤلف اذ ذاك غير معروف مشهور ، ولكن كتابه كان من البدء الحسن · رشدى صالح بدأ ناضجا جادا ولم يسلك طريق الاثارة ·

كان الفنان ـ كاتبا ورساما ـ حسن فؤاد زميلا صغيرا ـ فى السن ـ بادارة الثقافة ، وكثيرا ما قضينا الأوقات التى يقضيها الموظفون المارقون من العمل فى الهزر وفى قراءة الصحف والمجلات ـ قضيناها نحن فى مناقشات أدبية وفنية ممتعة ، تكشف لى فى أثنائها أن هذا الشاب ليس عاديا ، كلما رأيت على الشاشة الممثلة ملك الجمل تذكرت مرة دعوت فيها حسن فؤاد الى حضور التجربة الأخيرة « جنرال » لاحدى مسرحيات فرقة المسرح المصرى ، وكانت الفتاة ملك الجمل تمثل فيها ، فركز انتباهه اليها ، وقال لى : ان فيها انسانية ·

وأنا لا أنسى دور سناء جميل فى مسرحية « مريض الوهم » لموليير التى مثلتها الفرقة على مسرح الأوبرا ، وكانت طالبة فى معهد التمثيل · قلت فيما كتبت عن تلك المسرحيـة أن هذه « البنت » سـتكون ممثلـة عظيمة ·

وعلى عكس سناء جميـل ـفى البدء ـ كانت سميحة أيوب البنت الجميلة « المتهيبة » · كان زكى طليمات ـ فى التجارب ـ يصرخ فيها : « اتحركى يابت » ·

وتحدث الى مرة عبد الغنى قمر شاكيا من زكى طليمات لأنه يعطيه أدوارا ليس فيها الفتى الأول ، فقلت ذلك لزكى طليمات ليرضيه ، فقال لى : « دا عبيط ·· أنا أعطيـه الأدوار المناسبة لشخصيتـه التى يبرز فيها » ·

أتذكر ذلك دائما كلما شاهدته على الشاشة مبرزا فى مثل الأدوار التى كان يسندها اليه زكى طليمات •

الشاب حسن فؤاد ، والبنات : ملك الجمل وسناء جميل وسميحة أيوب ، والفتى عبد الغنى قمر – هم الآن عمالقة فى الصحافة والفن ، كأنى فلكى يرصد النجوم ••

ومن النجوم التى رصدتها مصطفى بهجت بدوى ، ذلك الضابط فى الجيش الملازم الثانى ، الشاب الرقيق الذى يأتى الى الشاعر محمود غنيم فى « قهوة السنترال » بالعتبة حيث يجتمع بعض الأدباء والمدرسين كل صباح يوم جمعة • يقرأ الشاعر الشاب على الشاعر الكبير قصائد نظمها ويتلقى توجيهاته فى تواضع واحترام • أصغى اليهما أحيانا ، وأحيانا أخرى انصرف عنهما مشغولا بتأمل من حولى من الناس أو متابعا لصفقة « المانجو » التى تجرى بين البائع الجائل وبين فلان الصحفى العضو فى جماعة لا أذكر اسمها ولكننى أعلم أنها تقوم على صداقة مزعومة بين مصريين وانجليز ، وأعجب اذ أرى الصحفى الذى كان بالأمس يجلس فى القهوة عالة على من يدفع له ثمن الطلبات وشطائر الفول ••• أراه يشترى بثمن كبير هذه الفاكهة الغالية ذات الأحجام الكبيرة التى يسمى بعض أنواعها « بيض العجل » ثم يذهب العجب عندما أتذكر أنباء الحرب – العالمية الثانية – التى تنبىء باقتراب القائد « روميل » عدو الانجليز من الحدود المصرية الغربية •• واحتياج الانجليز الى تلك « الصداقة » وسخائهم فى شرائها عن طريق تلك الجماعة ، كما يسخو هذا الرجل فى شراء المانجة ••

وبعد نحو عشر سنوات يصدر الديوان الأول لمصطفى بهجت بدوى ، وأقرأ عنه مقالا بعنوان « ولد لنا اليوم شاعر » فى « الأساس » جريدة السعديين الذين انشقوا على الوفد ، وكاتب المقال هو « الدكتور غلاب » ويؤسفنى أنى أرتكب نسيان اسمه الأول الذى يسبق « غلاب » وكان كاتبا مجددا وأستاذا للفلسفة فى كلية أصول الدين ، وأذكر أنه كان فى الثلاثينيات يصدر مجلة أدبية اسمها « النهضة الفكرية » وكان يلتف حوله بعض أدباء الشباب ، منهم طاهر أبو فاشا الذى جاء يوما – حيث نسكن معه – ومعه كمية كبيرة من مجلة النهضة الفكرية • ولما سألته عنها أجاب بأنه غافل الدكتور غلاب – الكفيف – وأخذها •

– وماذا تصنع بها وكلها « عدد » واحد ؟

– كل نسخة « تطلع كنكة » •

ـ أليس هذا حراما ؟

ـ لا ، انها لن تباع ٠٠

وكان أبو فاشا يدمن شرب القهوة وكثيرا ما كان يشح « الجاز فى الوابور » فيأتى بالمجلة و « يبرمها » ويشعل طرفها ويضع كنكة القهوة فوق الطرف المشتعل ٠

والدكتور غلاب كتب وألف كثيرا ، ثم ابتلعه الظل وصار من جملة « كل شىء فى مصر ينسى بعد حين » ٠ قال الدكتور غلاب فى مقاله عن ديوان الشاعر الشاب مصطفى بهجت بدوى ـ انه يستعير هذه العبارة « ولد لنا اليــوم شاعر » من ناقد غربى قالها عن الشــاعر الفرنسى « لامرتين » وأفاض فى الحديث والاشادة بشعر الديوان ٠ ورأيت أنه يبالغ فى ذلك ، فكتبت معلقا عليه ، والذى تحتفظ به الذاكرة مما كتبته أن شعر الشاب لا بأس به ، بل هو جيد بالنسبة لشاعر ناشىء ، أما مسألة « الولادة اللامرتينية » فهى كثيرة على شاعرنا الشاب ٠٠

وبعدة مدة من ظهور ما كتبته فى مجلة الرسالة تلقيت نسخة من الديوان مكتوبا فى اهدائها الى : « عسى أن يجد فيه ما يغير رأيه » ٠٠٠ ولم أغير رأيى ٠٠

مصطفى بهجت بدوى عمه عبد الحميد بدوى باشا ، وكانت عندى عقــدة « فلاحى » فأصلى فلاح من الذين كانوا ينظــرون الى الباشوات والبهوات على أنهم عالم آخر غير عالمهم ٠ كتب كاتب لا أذكر اسمه مرة يقول : ان « الباشا » يخطب فى فضل الفلاح ويثنى على سجاياه ، ولكنه يسرع الى غسيل يده « بالكولونيا » اذا تفضل وصافحه ٠٠٠ وقال الهلباوى باشا فى مرافعته ضد أهالى دنشواى أنه يشم فى قاعة المحكمة رائحة الفلاحين الكريهة ويطلب من المحكمة أن تأمر باحضار « كولونيا » لازالة هذه الرائحة ، ويعتذر للانجليز لاننا ليس عندنا الا « كولونيا » ـ على قد الحال ـ وكان يجب أن نأتى لهم بعطر فاخر ٠

ولكن مصطفى بهجت ٠٠٠ ما ذنبه ٠٠ وماذا تقول فى العقد ٠٠ ؟

فى الستينيات الأخيرة ـ ولعل ما نتحدث عنه ما زال ـ كان بعض « الشيوعيين » عندنا فى مراكز كبيرة بالمؤسسات الصــحفية والثقافية ، وكان الأمر يقتضى أحيانا أن أذهب اليهم ، فيهولنى ما أراه فى مكاتبهم من أثاث ورياش ومكيفات هواء ، وما يقف فى انتظارهم من سيارات فارهــة ، وأسمع عن « مخصصاتهم » كمــا كنا نسمع عن مخصصات « العائلة المالكة » فأردد فى نفسى : يقولون قول الشيوعيين ويعيشون

عيش الأرستقراطيين أو البرجوازيين على الأقل ٠٠ ثم أقول فى نفسى أيضا : هؤلاء هم باشوات زماننا هذا ٠٠٠

وأنا لست ضد الشيوعيين ، فلى أصدقاء منهم أعزاء ، ولكننى لست منهم ٠

وقد استفدت فكريا من الأفكار الشيوعية ، ولا أراها كلها مرفوضة ، وفى وقت من الأوقات استهوانى الاتجاه الشيوعى لما توسمته فيه من الخلاص مما كنا فيه ، ولكننى لم أنضم الى خلية أو أى تجمع ٠

عرفت بنتا فى محل صيدناوى ، حيث كنت أشترى « مايوه » وجعلت أجاذبها الحديث أكثر من اللازم لعملية الشراء ٠٠: سألتنى : هل ستسافر الى الاسكندرية ؟ أجبتها بالنفى وأردفت أنى أذهب عادة الى حمام عين حلوان ٠

وبعد الثلاثة : النظرة والابتسام والكلام – كان الموعد واللقاء فى عين حلوان ، كانت لطيفة رقيقة جمالها نصف ٠٠٠ عشت معها أسابيع ، ولكن عكر على هذا الصفو شكى فى أمرها من بعض « الاكليشيهات » التى تتردد على لسانها عن الفقراء والأغنياء وظلم المجتمع ، وزاد الشك لما فهمت أنها يهودية ٠٠ وصاحب المحل الذى تعمل فيه يهودى ، وكنت أسمع أن هؤلاء البنات عناصر مهمة فى « الخلايا » ٠٠ جفلت منها ولم أذهب الى الموعد ٠

قلت انى استفدت من الأفكار الشيوعية ، مثلا ، اهتم الكتاب الشيوعيون بسيد درويش وكتبوا فى ذكراه كان ثورة موسيقية على « سلطنة النغم » اذ اتجه الى التعبير الموضوعى ، ونطق باسم الكادحين فى غنائه المشهور ، وقاد عبد الرحمن الخميسى حملة شعواء على أم كلثوم فى جريدة المصرى ٠

تسربت الى نفسى خوالج ، وجالت بفكرى خواطر ، حقا ، يجب أن يكون هم الأدب والفن ما تؤديه الكلمات والأنغام ، لا مجرد « السلطنة » بالجمل الرنانة وترديد النغم فى « يا ليل يا عين » وما أشبه ٠ ومن الحق أيضا أن يكون الكلام جميلا والنغم عذبا ، ولكن فى « توظيف » ٠ وكان ذلك منطلقا لتجديدات فى الأدب والفن ، وان كان القديم لم ينقطع تماما ، فلا تزال آثاره فى الأدب والفن وان كان يأخذ شكلا جديدا ، هذه « سلطنة جديدة » تلمحها فى كتابات وأشعار جديدة ، وفى الغناء لا تزال مطربة تصيح وتردد بمنتهى السلطنة : « اسمعونى » ومطرب شاب يجأر ويردد : « سيبونى أحب » ولا أحد يمسكه ٠٠ ولا هو يكف عن السلطنة ٠٠٠

أصوات تخرج من حناجر ، جميلة فعلا ولكنها لا تعبر عن شيء ، ما أروع الأغانى التى انبعثت من انتصارنا فى « أكتوبر » لانها وجدت ما تعبر عنه فعلا وصدقا .

أما الحملة على أم كلثوم فقد كنت ممن وقفوا فى وجهها ، دافعت عن أم كلثــوم لانى كنت أحب غنــاءها وان كنت هاجمتها متهما اياها بالاستغلال والتواطؤ مع موظفى الاذاعة ، اذ كانت أغانيها تعاد اذاعتها بأجور باهظة ومعاملة خاصة دون باقى المغنين ..

وبرغم ذلك حدث ما يأتى عقب هذا الهجوم :

أقيمت لأم كلثوم حفلة تكريم لا أذكر مناسبتها ، وطبعا غنت فيها . وكانت تذاكر الحفلة غالية الثمن ، فاتصلت بها تليفونيا أعاتبها على عدم دعوة « الرسالة » فسألتنى : من أنت ؟ فأجبتها .. فسألت عن مكانى ، وأجبتها . وبعد نحو ساعة جاءتنى تذكرتان ..

ثم جعلت أفكر : ما معنى أن يقضى الانسان ليلة من أولها الى آخرها يسمع غناء ... ثلاث وصلات ، كل منها تأخذ ساعتين .. لم أكن أسمع الا الوصلة الأولى فى الراديو ثم أفضل النوم كى أبكر الى عملى . أما قضاء الليل كله فى السماع فلا يكون فى مجتمع متحضر متقدم . وأعتقد أننا سنكون هذا المجتمع ولن تتكرر هذه الظاهرة .

وأرجو ألا تتكرر ظاهرة أخرى : أن يموت منا مائت مهما كان ، فتقف كل وسائل الاعلام على ندبه ويتعطل كل شيء ما عدا الندب ...

لا أشك فى أن بعض الأنوف سترعد من هذا الكلام ، ولكن سيأتى بعدنا كاتب ـ قد يكون الآن ناشئا صغيرا ثم يكبر ـ يكتب ذكرياته ، فيحدث أهل جيله عما نألفه الآن ونتمسك به ، فيندهشون من عادات أهل ما مضى من الزمان ...

مقالات متصلة بالذكريات

أدب حرب

كان من فعل الحرب الماضية أن غمرت الأسواق مصنوعات رديئة ، خلت لها بانعدام البضائع الجيدة ، فلاقت الأولى ما لم تكن تلقاه الثانية من السعر والرواج ، واهتبل الفرصة كثير من صغار الصناع والدخلاء فى الصناعات ، فجدوا ، ولم يلبث كبارهم والمهرة منهم أن باروا فلم يأبهوا بالاتقان واختيار المادة ، وأزجى أولئك وهؤلاء بضاعتهم الى السوق، ورزءوا بها المستهلكين ونواحى الحيـاة من اقتصـادية وأدبية وغيرهما مشتجرة متفاعلة فكان من الحتم أن يمتد ذلك التيار الى الأدب ، وكان من النتائج ذات المقدمات أن نرى قوما قد استشرى بهم السعار ، فراحوا يؤلفون ، ويؤلفون ... أى ينتشون من الكتب ويجمعون .. ويكونون من الأشتات والمنتوشات كتبا يطوفون بها على ادارات الصحف ومكاتب الصحفيين ، مرة للاعلان بالثمن ومرارا لرجاء التقريظ والتنويه .

أثار بنفسى تلك الشئون والشجون مقال الدكتور أحمـد فؤاد الأهوانى « تجار الأدب » وان كان الدكتور قصر حديثه على هؤلاء الدخلاء فان الأمر – من حيث الاكثار وما يقتضيه من عدم الاجادة – قد امتد الى كبار الكتاب ... فهذا كاتب يسود الصفحات ذات العدد ولم يبدأ قصته، فاذا أخذ فى التعريف بأبطالها ترك البطل واقفا ينتظر عودة الكاتب من (مشوار) بعيد ... وذاك كاتب كثرت مقالاته بكثرة ما يصـدر من الصحف والمجلات فى هذه الأيام ، فيجلس على (مصطبة) كل منهـا (يدردش) لا يكاد يرتفع حديثه عن هذر الأحلاس بالمقاهى ... وآخر يملأ الصفحة من حجم الجرائد اليومية بأمشاج من الأخلاط ، كلمة من الشرق وكلمة من الغرب ، وشطحة لا تدرى من أين .. وأخرى لا تعرف الى أين ... ولغيرهم فى مثل هذا طرائق قدد . ولا أريد أن أسمى أحدا ، فما للتجريح وجهت همى ، وانما أقصد أن المعضلة هى مسألة هؤلاء الكبار . أما أولئك المحتطبون فأمرهم ليس بذى بال ، فسينكشفون عن الأدب بتنبه القراء الى زيفهم ، وأما كبارنا – ولهم فى الأدب والنتاج القيم ماض مجيد وبلاء محمود – فيظهر أنهم قد اغتروا بذلك واطمأنوا اليه وحسبوا أنهم بلغوا نهاية الشوط فأخلدوا الى الراحة من عناء الدراسة والاجادة والايجاز ... واستسهلوا الاكثار واستهواهم كسبه .

ولا أنكر على حملة القلم أن يكسبوا من كدهم ما يمكنهم من العيش الكريم ، بل أرى ذلك باعثا على الانتاج الأدبى ومشجعا عليه ، ولكنا نريد جودة النتاج وعدم الذهاب الى جشع التجار .

الرسـالة ١٩٤٩/١٢/٣٠

الشاعر المكار

هو الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ، وقد وصفه بالمكر الأستاذ عباس محمود العقاد في مناقشة دعابية دارت بينهما في « أخبار اليوم » حول ما كان قد أعلنه الأستاذ المازني منذ سنتين من انكار الشاعرية على نفسه وبراءته من الشعر والشعراء ، فقد خاطبه الأستاذ العقاد واصفا ذلك بأنه « مكرة صغيرة صنعتها أنت أيها الصديق بيديك وانتظرت عاقبتها حتى الآن أربع سنوات أو خمس سنوات » وقال له : « ولعلك قدرت أن الناس لا يسمعونك تنكر الشاعرية على نفسك وتتأخر من صف الى صف ومن رعيل الى رعيل ، حتى يتسابقوا اليك في الصف الثاني ، أو الصف الثالث ، أو الرابع ، ليجدوك قابعا هناك تنتظر المطاردين والكاشفين ، فما هو الا أن يلمحوك في زاوية من الزوايا حتى يلقوا عليك القبض ويسلسلوك ويحملوك الى الطليعة في أول الصفوف . ثم يمثلوا معك دور (الشاعر على رغم أنفه) كما مثلوا دور الطبيب على رغم أنفه في رواية موليير » .

ورد الأستاذ المازني على ذلك باقراره اذ قال : « كل ما قاله صديقي الأستاذ العقاد صحيح ، ولست أستثني قوله أني مكار واني شاعر » .

ثم علل الأستاذ المازني كفه عن قرض الشعر بأنه كان بطيء النظم، ولم يكن يرضى عما يقول ، وأنه أساء الظن بصدق سريرته فيما نظم من الشعر وتوهم أن العواطف التي وصفها والتي ولدت ما أعرب عنه من آراء لم تكن صادقة وانما كانت تقليدا لا أكثر ، وأنه كفر بالخلود وبالأدب كله « وطلع في دماغه » أن ينكر أنه أديب .

أفيكون الأستاذ المازني قد رجع عن تجريد نفسه من الشاعرية اذ يعترف الآن بأنه شاعر ؟ وكل ما في الأمر أنه مورط بما أقره من مكره الذي كان نتيجته كما قال الأستاذ العقاد : « أن يصغي الناس الى المطيبين في ركاب المغنيات والمغنين ، ولا يصغوا الى المازني في أغانيه وأناشيده ، ولا الى المازني في مترجماته التي لو نظمها الخيام او هايني او شكسبير عربية فصيحة لما جاوزوه في التجويد والاتقان » .

ولكن هل يستطيع الأستاذ المازني ان يتلافى « مكرته » ويخرج من ورطته فيعود الى قرض الشعر ؟ ما أحسبه يستطيع ، فقد اكتفى الناس منه واكتفى هو أيضا بما بلغه من الشأن في الكتابة ، وذلك حسب الناس وحسبه ، وهو الذي طغى على شعره ، ولولاه لكان من المحتمل أن يتلمسوه حيث يقبع هاربا ويحملوه الى الطليعة في أول الصفوف ليقوم بدور « الشاعر على رغم أنفه » .

الرسالة - ١٩٤٧/٥/١٩

مدارس الشعر

نلاحظ فى الأنباء الأدبية الواردة الينا من بعض الشقيقات العربية فى هذه الأيام ، وفيما يكتب عن الحالة الأدبية فيها ، كثرة ما يقال من مثل « أدباء الجيل الجديد » و « شعراء المدرسة الحديثة » ، وقد يقابل هذا بنحو « الأدب القديم » و « الأدباء المحافظون » .

وأكثر ما نجد ذلك فى الحجاز ، وقد وفدت علينا أخيرا طائفة من دواوين الشعر من انتاج صفوة من الشباب الحجازيين الناهضين ، حوت شعرا جديدا جذب الأنظار الى منازل وحى الشعر العربى الأصيل . وليس عجبا أن تتردد بينهم كلمة الجديد وكلمة القديم ، لان جيل الكهولة هنالك لم يكد يجاوز حدود عزلته للمشاركة فى نهضة الأدب العصرية فى سائر البلاد العربية .

وفى مصر لا نزال نرد الشعراء الى مدارس تنسب الى الجديد والى القديم ، ولكن ذلك خفت حدته فى السنوات الأخيرة وقل ترداده ، وكان أمره مستشريا فى أوائل هذا العصر رد فعل لعصر الجمود السابق له ، ثم تهيأت الأذهان واستقرت بها الحقائق الأدبية العصرية ، فتدانت المدارس واجتيزت الحدود ولم تعد بينها فروق كبيرة ، وأصبح الاختلاف بين الخصائص الشخصية أكثر من الاختلاف بين الخصائص المدرسية .

لذلك لم يكن الناس يتوقعون ما قاله الأستاذ العقاد عن لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية فى الحفل الذى أقيم منذ أسابيع لاعلان نتيجة المسابقات الأدبية ، فقد نسب الأستاذ الشعراء الى مدرستين : ابتداعية حديثة ، واتباعية سلفية ، على أن الأستاذ نفسه أشار الى متاخمة المدرستين واقتراب خصائصهما .

وقد قرأت أخيرا من الدواوين الحجازية الجديدة ما يسوغ لى أن أسجل هنا أن الشعر الحجازى الجديد لا يلتزم حدود مدرسة معينة ، وهو يسير فى ركب الأدب العربى الحديث مقاربا ومؤاخيا ، وأن الشعراء الشباب هناك ليس بينهم وبين أمثالهم فى مصر وفى سائر البلدان العربية كبير اختلاف الا فيما لابد منه من بعض السمات المحلية .

الرسالة – ١٩٤٧/٥/٢١

كتب كاتب مقالا بمجلة « الصباح » عنوانه « الأدباء المعاصرون فى مصر – وهل فهموا رسالتهم الفكرية ؟ » قال فيه ان بعض كبار كتابنا من المشتغلين بالأدب والتأليف ، ثار فى الأيام الأخيرة ، لحرمان الأدباء من جائزة فؤاد الأول الأدبية ومن حق كل متفوق أن يحنق لذلك ، بعد أن منح الجائزة رجال القانون والعلوم .

ولكنه يرى أن تلك الثورة لا تمنع من تقرير حقيقة اجتمع الرأى عليها « وهى أن أدباءنا على كثرة ما ألفوا من كتب ، وما أصدروا من مؤلفات ، لا يزالون بعيدين عن فهم رسالتهم الحقيقية فى المجتمع » .

ويحدد الكاتب رسالة الأدب التى يرى أن الأدباء لا يزالون بعيدين عنها ، فيقول : ان الأدب هو الحياة ، وكل أدب لا يصور حياتنا ، ولا يتصل بها اتصالا يهدف الى تجديدها ، من حيث التنبيه الى ما فيها من أخطاء ونقص ، والدعوة الى اصلاح عيوبها أو التحذير من أخطاء هذه العيوب – هو أدب زائف لا يمس حياتنا ، ولا يؤدى الخدمة المنشودة منه ، انه يكون أدبا غير متفاعل مع عواطفنا ، قليل الاهتمام بهمومنا ومشكلاتنا الروحية » ثم يتساءل : هل فى كتب الأدب الكثيرة التى أنتجها رجال الفكر فى مصر ما حقق رسالة الأدب على هذا الاحساس ؟

وهو يرمى الى أن أكثر تلك الكتب ألف فى البحوث الأدبية عن آداب العصور الماضية ، وأن توجيه أكبر الجهد الى ذلك دون ابتكار أدب تجد فيه الأمة ما يحفز هممها للنضال من أجل الحرية أو ارشادها الى الطريق القويم الذى تسلكه فى الحياة – انما هو قصور فى تأدية رسالة الأدب على حقيقتها ، وعندما نستطيع انتاج أدب يتسم بالخلق والابتكار ، ويعالج مشاكلنا الكثيرة ، ويصحح أوضاع حياتنا المقلوبة ، ويتجه بمجتمعنا نحو الرقى عندئذ نستطيع أن نغضب اذا حرم أدباؤنا من أى جائزة رصدت للمتفوقين منهم فى أى فرع من فروع رسالتهم السامية . .

وهذا الذى كتبه كاتب الصباح « كلام جد » عبر فيه عما يشعر به الكثيرون ، فاننا اذا أحصينا انتاجنا الأدبى المعاصر نجد أكثره اما دراسات لأدب العصور العربية الماضية ، واما دراسات ومترجمات من الآداب الأجنبية ، فأما الأدب الذى يصور حياتنا ويعبر عن ذات أنفسنا فهو قلة ، مع أنه هو الأدب الأصيل ، وما البحوث والدراسات الا خدمة له ، وليست الترجمة الا « استيرادا » له من الخارج .

وقد كان لنا العذر فى قلة انتاج الأدب الأصيل فى الصدر الأول من هذا العصر ، لأنه كان عصر نهضة ، والنهضة تحتاج الى كثرة النقول ودراسة الآثار ، لنتزود منها ونبنى على نافعها أما الآن فلا عذر لنا فى كثرة الدوران حولها ، واهمال أنفسنا ، فلا نبنى لزماننا كالذى بنى أسلافنا لزمانهم ...

هذا من ناحيـة الموضوع عامة ، أما ناحيته من حيث استحقاق جائزة فؤاد الأول الأدبية فثمة أمران يرجحان كفة الأدب الأصيل : الأول هو ما قدمناه من بيان أهميته ، الأمر الثانى يمكن استخلاصه من المرسوم الملكى الصادر بانشاء جوائز فؤاد الأول وفاروق الأول ، فقد جاء فيه : « يشترط فى الانتاج الذى يقدم فى المسابقة فى كل عام أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار (ويهدف خاصة الى ما يفيد مصر) والانتاج القومى ، والشرط ينصب على الآداب والعلوم والقانون ، وجميعها لابد أن تهدف الى ما يفيد مصر ، ولا شك أن الأدب الذى يعالج مسائل مصر ويصور حياة مصر وينبعث من البيئة المصرية ، هو أقرب الآداب الى فائدة مصر . وصحيح أن المرسوم نص على أن جائزة الآداب تشمل « الآداب البحتة مثل الأدب القصصى ، الأدب التصويرى ، الأدب الاجتماعى ، الشعر ، البحوث الأدبية (النقد ، البحوث اللغوية الدراسات الاسلامية الأدبية) والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والآثار » .

ولكنه الى تقديمه الآداب البحتة ، قيد الجميع بأن تهدف خاصة الى ما يفيد مصر . وستجتمع لجنة جائزة الآداب وتنظر فى كل ذلك لتقرر منح الجائزة لمن يستحقها فى العام القادم بعد أن أجلتها هذا العام ، ولا أخالها الا مرحبة بمعرفة اتجاه الرأى الأدبى العام ، وتقدر ما يبدى من الآراء التى يراد بها وجهة الأدب الخالصة .

الرسـالة ـ ١٩٤٧/٦/٢٣

التربيـة الفنيـة

نشرت « الأهرام » أن وزارة المعارف تعد مرسوما بانشاء لجنـة استشارية للفنـون الجميلة ، تختص بانشـاء متاحف الفنون الجميلة والاشراف الفنى على تنظيمها وتنسيق معروضاتها واقتناء الطرف وحفظها وترميمها ، وتنظر فى سياسة تعليم الفنون الجميلة فى مصر وفى الخارج وتعمل على الاشتراك فيها ، وتقدم الاعانات للجمعيات الفنية لتشجيعها ، وتنشىء الجوائز والمكافآت للفنانين ، وتعمل على حماية الآثار والمواقع

التاريخية والمناظر الطبيعية والميادين العامة وما يقـام فيها من نصب وتماثيل ومنشآت تذكارية ، وتضع الاقتراحات والرغبات المتصلة بوسائل تشجيع رجال الفنون من أبناء البلاد ، وتربية الملكات الفنية وتهذيب الذوق عند الجمهور .

وهذا البرنامج الضخم يتلخص فى كلمتين هما « التربية الفنية » وليس هذا التلخيص للتقليل ، انما المقصود حصر الفكرة للدلالة على عظم شأنها ، فتربية الشعب ، جمهورا وتلاميذ مدارس ، تربية فنية قوامها ابراز المواهب وتعهد الملكات وترقية الذوق العام ، ليست بالأمر الهين اليسـير الذى تستطيع أن تستقل به اللجنـة المزمع انشاؤها بوزارة المعارف ، بل هو يحتاج الى جهود أكبر من ذلك ، والمأمول أن تكون هذه اللجنة أولى الخطوات فى هذا الطريق ...

ان هذا الشعب تكمن فيه بذور الفن ، واننى أعتقد أن الانسان على العموم فنان بالطبع ، فهو ان لم يكن منتجا ، متذوق لجمال أى ناحية من نواحى الفن ، وليس أصلح للناس ولا أنفع لهم من استغلال طبائعهم الفنية فى ترقيتهم وتهذيب نفوسهم ...

ومما يؤسف له أن الحياة الفنية أصبحت عندنا فى غاية الاضطراب والفوضى ، تكثر فيها العناصر الدخيلة التى يعوزها الاستعداد أو تنقصها الدربة ، ومن وراء ذلك ملكات مقبورة ومواهب مهملة ...

واذا كانت الدولة تنفق مبلغا كبيرا من المال فى استقدام الفرق الأجنبية لترقية فن التمثيل وارضاء أذواق الطبقة العالية ، فان الطبقات الأخرى من الشعب لأحوج الى هذه العناية بدلا من أن تتركها فريسـة للمتجرين بالفنون ، الهابطين بها فى سبيل الاثراء وجمع الأموال ...

وأظن أنه قد مضى ذلك العهد الذى كنا فيه نجمل الأحيـاء التى ينزل بها (الخواجات) ونزين الطرق التى يسلكونها ، وندع المواطنين تقذى الأتربة عيونهم ، وتملأ روائح العفونة أنوفهم ، ويهاجمهم الذباب من كل حدب وصوب . مضى ذلك العهد ولكننا صرنا الى حال لا يهتم فيها بالأجانب ولا بالمواطنين .

ولا سـبيل الى تهذيب ذوق الجمهـور الا بالنظـافة وتعويده على الاحساس بالجمال ، والشعور بجمال المحسات طريق الى ادراك الجمال المعنوى ، وهذه هى غاية التربية الفنية المنشودة ، ومن وسائلها تحقيق برنامج اللجنة الفنية التى تنشئها الآن وزارة المعارف والتى نرجو لها التسديد والتوفيق .

الرسـالة ـ ١٩٤٧/٦/٣٠

أقدم مسرحية وتمثيلية عربية

أثبتنا فى عدد مضى من الرسالة ما قال به الأستاذ سليم حسن بك من أن المصريين الأولين هم أول من كتب الدرامة التمثيلية والقصة الخرافية ، لا اليونان كما هو شائع .

ولابد أن يكون للدرامة التمثيلية مسرح تمثل عليه . ويدلنا على هذا المسرح مقال بجريدة « المصرى » عنوانه « مصر أول من أقام المسرح فى العالم » قال كاتبه : « كان الشائع أن الاغريق هم الذين أوجدوه (يعنى المسرح) ولكن الحقيقة المكتوبة على ورق البردى وعلى جدران المعابد المصرية القديمة أنارت السبيل للمؤرخين وأثبتت أن المصريين لا الاغريق هم أول من أقام المسرح فى العالم » .

وذلك أنه كان فى التاريخ المصرى القديم أشياء لم يفهم لها المؤرخون تعليلا مقبولا ، مثل الساحات الواسعة أمام المقابر والأهرام وبعض المعابد . فلما أصبح من المستطاع قراءة اللغة الهيروغليفية أسفر البحث عن أن تلك الساحات كانت مسارح .

وقد وقف الباحثون على بعض المسرحيات التى كانت تمثل بتلك المسارح ، منها « مسرحية الأهرام » وتعد أقدم مسرحية فى العالم ، لأن بعض نصوصها يرجع الى سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، وموضوعها جزء من العقائد المصرية القديمة يدور حول صعود روح المتوفى وبعث الجسد الميت . والادوار الرئيسية فيها هى « أزوريس » وهو رمز للجسد الميت ويؤديه أحد الكهنة و « حورس » ويمثله رئيس الكهنة أو فرعون نفسه ، وتظهر فكرة المسرحية عندما يقف الكاهن أمام جسد الميت مخاطبا روحه قائلا : « أيها الملك أونيس ، انك لن ترحل ميتا بل حيا » وذلك عندما يكون التمثيل فى الجزء الخاص بصعود الروح . أما فى الجزء الخاص بالبعث فيقول الكاهن للجسد الميت « انزع لفائفك وانفض عنك الرمال ، ثم ألق عنك الحجارة ، هيا .. قياما أيها الجسد المسجى » .

وقد أثبت البحث أن المصريين القدماء استخدموا الأقنعة و (الماكياج) فى تمثيل الشخصيات المختلفة أو فى أدوار الحيوان .

ومن المعروف أن العرب لم يكن لهم شغل بالتمثيل ، ولم يلقوا اليه بالا ، ولكنى وقفت على خبر غريب أتى به صاحب « العقد الفريد » فى (أخبار الممرورين والمجانين) بالجزء الرابع .

ذلك الخبر هو ما أعنى بالتمثيلية العربية ، وذلك أنه كان فى زمن المهدى رجل صوفى ، وكان عاقلا عاملا ، وكان يتلمس السبيل الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فكان يركب قصبة فى كل جمعة يومين :

الاثنين والخميس ، فاذا ركب فى هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة ، فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان ، فيصعد تلا يتخذه مسرحا . ثم يبدأ فينادى بأعلى صوته : هاتوا أبا بكر الصديق . فيتقدم اليه غلام ويجلس بين يديه ، فيقول : جزاك الله خيرا أبا بكر عن الرعية ، فقد عدلت وقمت بالقسط ، وخلفت محمدا عليه الصلاة والسلام أحسن الخلافة ، اذهبوا به الى أعلى عليين . ثم ينـادى : هاتوا عمر . فيجلس بين يديه غلام فيقول : جزاك الله خيرا أبا حفص عن الاسلام ، قد فتحت الفتوح ووسعت الفىء ، وسلكت سبيل الصالحين ، وعدلت فى الرعية ، اذهبوا به الى أعلى عليين بحذاء أبى بكر . ثم يأتى عثمان ، فيقول له : خلطت فى تلك السنين ، ولكن الله تعالى يقول : « خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم » اذهبوا به الى صاحبيه فى أعلى عليين . ثم يتقدم على بن أبى طالب ، فيقول له : جزاك الله عن الأمة خيرا أبا الحسن ، فأنت ولى النبى ، بسطت العدل ، وزهدت فى الدنيا ، واعتزلت الفىء ، فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر ، وأنت أبو الذرية المباركة وزوج الزكية الطاهرة اذهبوا به الى أعلى عليين بالفردوس .

ومما يقول لمعاوية : أنت الذى جعل الخلافة ملكا ، واستأثر بالفىء ، وحكم بالهوى ، واستبطر بالنعمة ، وقام بالبغى ، اذهبوا به فأوقفوه مع الظلمة . ويقول ليزيد : أنت الذى قتلت أهل الحرة وأبحت المدينة ثلاثة أيام ، وانتهكت حرم رســول الله ، وآويت الملحدين ، وتمثلت بشـعر الجاهلية : .

ليت أشياخى ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الأسل

وقتلت حسينا ، وحملت بنات رسول الله سبايا على حقائب الابل ، اذهبوا به الى الدرك الأسفل من النار . وهكذا يتتابع أمامه الخلفاء حتى يأتى دور عمر بن عبد العزيز ، فيقول له : جزاك الله خيرا عن الاسلام ، فقد أحييت العدل بعد موته ، وألنت القلوب القاسية ، وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق اذهبوا به فألحقوه بالصديقين .

ولما بلغ دولة بنى العباس سكت ، فقيل له : هذا أبو العباس أمير المؤمنين . قال : فبلغ أمرنا الى بنى هاشم ، ارفعوا حساب هؤلاء جملة ، واقذفوا بهم فى النار جميعا .

واذا كان لابد لهذه التمثيلية من اسم كسائر التمثيليات فليكن اسمها « مسرحية الخلفاء » أما مؤلفها ومخرجها وممثلها فلم يسمه الرواة ، واكتفوا بأنه رجـل صوفى عامل عاقل وان كان ذكره ورد فى أخبـار المجانين .

بين الشبان والشيوخ

مسألة الشيوخ والشباب فى الأدب بمصر ، مسألة قديمة ، ظهرت بوادرها منذ سنين ، ذهب بعض أدباء الشباب يعلنون أن الشيوخ يستأثرون بمجالات الأدب ، ويتجاهلون الشبان ، ويسدون عليهم الطرق، وقامت اذ ذاك معركة كان هجوم الشباب فيها عنيفا ، ودفاع الشيوخ متثاقلا غير مكترث ٠٠ وسكن عجاجها ، ولكن دواعيها وآثارها بقيت كامنة، تبدو فى أحاديث المجالس وخاصة بين الشباب ، وتحجم عن الظهور فى كتابة منشورة الا أن فرقا من الشباب قد انطووا تحت ألوية الأدباء الكبار ، وخاصة من رأوهم بحيث يقدمون ويؤخرون ، وينفعون وقد يضرون ٠٠٠ ومن الشباب من لم يستطع أن يعلن ثورته ، لأن المشرفين على النشر من الشيوخ لا يمكنون له ، اما مجاملة ، أو لأن ما يكتب يند عن الليقان ٠

استقر الحال على ذلك ، ودامت الهدنة طيلة السنين الماضية ، ولكنها الآن أعيدت جذعه ٠٠٠ فمن أثارها ؟ أهو الدكتور طه حسين بك فى « هلال » يونية الماضى ، أم الأستاذ سيد قطب فى « العالم العربى » هذا الأسبوع ؟

قال الدكتور طه فى مقاله بالهلال : ان الشباب يقولون للشيوخ أفسحوا لنا الطريق الى الأدب والعلم والفن ، والشيوخ لا يصدون الشباب عن أدب أو علم أو فن ، وتساءل : أليس من الممكن أن يكون ما ينفسه الشباب على الشيوخ انما هو ما قد ينتجه الأدب والعلم والفن من اقبال الناس على الشيوخ أكثر مما يقبلون على الشباب ؟ وقال ان الشهرة لا تكتسب الا بالعمل الشاق ، والمال يسعى الى العاملين وهم أشد ما يكونون ابتذالا له واستهزاء به ٠ والشيوخ فى طريقهم الى الراحة الموقوتة أو الدائمة ، والشباب فى طريقهم الى أن يأخذوا مكان الشيوخ ، والذوق كل الذوق ألا يتعجل الأبناء مصارع الآباء ، والخير كل الخير أن تقوم الصلات بين الأجيال على المودة والحب لا على التنافس الذى يحفظ القلوب ويفسد الضمائر ٠

مر هذا الكلام عابرا سالما أربعين يوما ، ولكن الأستاذ سيد قطب عده اعتداء على دولة الشباب ، فأعلن بدء المعركة بين الشبان والشيوخ فى العدد الأخير من مجلة العالم العربى ، قال انه يواجه الدكتور وسائر الشيوخ بالحقيقة التى يحسها الشبان ويرددونها فى ندواتهم ومجامعهم: « ان هذا الجيل من الشيوخ قد تخلى عن أمانته ، لا لذلك الجيل من الشبان فحسب ، ولكن للوطن ، وللمجتمع ، وللانسانية ، وأخيرا للضمير الأدبى كله » ٠

وبين هذا التخلى عن الأمانة بأن شيوخ الأدب لم يرعوا قضايا الوطن المعلقة فى خلال الحرب الماضية ، وانما انصرفوا الى الدعاية لقضية المستعمرين فى الاذاعة والصحف والكتب ابتغاء الذهب ، وايثارا للذائذ الخاصة على مصائر الأوطان ومصالح الأقوام .

ولما وضعت الحرب أوزارها لم يكونوا فى نصرة الشعوب العربية التى نهضت تطالب بحقها ، ولم يكونوا فى الميدان القومى بل كانوا فى ميدان الحزبية أبواقا لها ... ولم يناضلوا لتحقيق العدالة الاجتماعية الا قلة منهم استجابت فى تخاذل لهتاف الشعب ، واندفعت الكثرة وراء أرستقراطية مصطنعة تتظاهر بها ، ووراء رخاء مادى تناله من ذوى السلطة والثراء ، ثم قال : « هجرتم صحفكم الأدبية العلمية النظيفة ، ورضيتم صحفا أخرى ، وواعدتمونا هناك ، حيث لقيناكم وبجواركم الأفخاذ العارية والموضوعات القذرة » وقال : « اننا لم نجد عندكم الضمير الأدبى الذى كنا نتخيله فى الأساتذة الموقرين . فأنتم تحاولون أن تبرزوا على المسرح أذيالكم وبطانتكم ، والذين يؤدون لبعضكم خدمات شخصية قد لا يؤديها الرجل الشريف .. واننا معذورون اذا شككنا فى شهادتكم لبعض الناس ، وفى اغفالكم لبعض الناس » .

وهذه التهم التى وجهها الأستاذ سيد قطب الى شيوخ الأدب صحيحة فى جملتها ، وان كان قد بالغ فى بعضها واشتط فى بعض .. ولكن هل هى القضية بين الشبان والشيوخ فى الأدب ؟

لقد كان كلام الدكتور طه فى هذه القضية ، أما الغارة التى شنها الأستاذ قطب ، فليس من العدل أن يخص بها الشيوخ دون الشبان . لأنها قضية الوطن مع الأدباء عامة شيخهم وشبابهم ، وان كانت تبعة الشيوخ فيها أكبر ، بحكم الاقبال عليهم فى الأعمال التى أخذها عليهم ، وبحكم مكانتهم والثقة بهم . ولم يكن فيما قاله من قضية الشبان والشيوخ فى الأدب الا ما جاء فى الفقرة الأخيرة من أن الشيوخ لا يبرزون على المسرح الا أذيالهم وبطانتهم ، وأنهم ينحرفون فى شهادتهم لبعض الناس وفى اغفالهم لبعض الناس ولكن كيف فات الأستاذ قطب ان هؤلاء الذين يسميهم أذيالا وبطانات من الشبان الذين يقود المعركة باسمهم ضد الشيوخ ؟

الرسالة ـ ١٩٤٧/٧/٢١

غنت أم كلثوم « أغنية السودان » فى المذياع يوم الاثنين ، بعد أن قدمت لها بكلمة رقيقة قالت فيها : انه فى هذا الوقت الذى تعرض فيه قضـية الوطن على مجلس الأمن أردت أن أقدم هذه الأغنية التى تعبر عما يجيش فى نفوسنا نحن أبناء الوطن .

و « أغنية السودان » التى غردت بها أم كلثوم هى أبيات مختارة من قصيدة « اعتداء » التى قالها شوقى فى تهنئة سعد زغلول بنجاته من حادث اطلاق الرصاص عليه ، وذكر فيهـا من المسائل الوطنية مسألة السودان .

ومنذ شهور اختيرت لعبد الوهاب أبيات من قصيدة « شهيد الحق » التى قالها شوقى فى ذكرى مصطفى كامل وجاء بها ذكر السودان فى البيت التالى :

وأين الفوز ؟ لا مصر استقرت   على حال ولا السودان داما

فأخذ هذا البيت ضمن أبيـات تندد بما كان فى ذلك الوقت من اختلاف الأحزاب وانقسام الزعماء ، وسميت أيضا « أغنية السودان » ثم غير هذا الاسم فكان « وحى السودان » ثم سميت « الأم الخلف » ثم طويت ...

أما أغنية أم كلثوم فقد لوحظ فى اختيارها أن يكون ذكر السودان فيها أكثر مما كان فى أغنية عبد الوهاب ، ويخيل الى أن الذى قام باختيارها بحث فى شعر شوقى حتى عثر على قصيدة « اعتداء » فتنفس الصعداء وشعر بلذة الظفر ، اذ وجد بها عدة أبيات فى قضية السودان . ولكن كيف يستخلصها ؟

بدأت الأغنية هكذا :

وقى الأرض شر مقاديره   لطيف السماء ورحمانها

وموضع هذا البيت هناك فى قصيدته حيث التعبير عن الارتياح لسلامة الزعيم ولطف الله بالبلاد ، فنقل البيت كارها متبرما ليكون مطلع الأغنية . فتبدأ به جثة مسلوبة الروح .. ويأتى بعده خمسة أبيات هى خمسة أشلاء مقتطعة لأوصال فاقدة الحياة .. ثم يأتى ذكر السودان ، وأصله فى القصيدة هكذا :

ويا (سعد) أنت أمين البلا　　　د قد امتلأت منك ايمانها

ولن ترضى أن تقد القنا　　　ة ويبتر من مصر سودانها

وحجتنا فيهما كالصبا　　　ح وليس بمعييك تبيانها

فيحذف البيت الذى فيه (سعد) ويبدأ البيت التالى ب « ولن نرتضى » بتحويل تاء المضارعة الى نون ، ولا أدرى من يكون المخاطب بقوله « وليس بمعييك تبيانها » بعد حذف (سعد) ؟

ولا أريد أن أطيل بالاسترسال فى بيان الاضطراب والتشويه والمسخ فى هذه القطعة ، وانما أريد أن أخلص الى أمرين :

الأول : ان اختيار الأبيات على هذا النحو من قصائد قيلت فى حوادث ماضية ، لمجرد التشابه بينها وبين حال حاضرة ، انما هو عبث بالآثار الأدبية وجناية عليها ، ليس بالتشويه والمسخ فحسب ، بل كذلك بعدم الالتفات الى الدقائق الفنية التى تدل على الفوارق بين حال وحال .

الأمر الثانى : هو أنه ما دامت الرغبة متجهة الى غناء قطعة موضوعها « السودان » فلم الالتجاء الى تلك الطريقة ؟ أذلك لاعتبار اقتصادى ؟ أم أن مصر أقفرت من شاعر ينظم فى السودان قطعة مناسبة تغنيها أم كلثوم أو عبد الوهاب ؟

أيصح أن نبتغى الغناء بما يجيش فى صدورنا نحو وطننا فى الوقت الذى تعرض فيه قضيته على مجلس الأمن ، فلا نجد شاعرا يغنينا عما قيل منذ نحو ربع قرن وقد تطورت الأفكار وجدت أحداث ؟

فأين شعراؤنا من قضايا الوطن الحاضرة ؟ ألا يشعرون بها ؟ وأين التعبير عن هذا الشعور ؟

لقد كان الشعراء يحفزون الهمم ويغذون المشاعر ، أما الآن فالناس يتحفزون ويتوثبون وهم لا يحسون للشعراء بوجود .

انهم يلتهبون عندما تغنيهم أم كلثوم لشوقى من قصيدة « سلوا قلبى » :

وما نيل المطالب بالتمنى　　　ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

رأينا الجمهور يفور حماسة من هذا البيت وهو ليس نصا فيما يريد

... مما يدل على أنه يتلمس الوقود تلمسا ... فلم لا يستجيب الشعراء لمشاعر الأمة ومطالبها الوطنية ؟

ان من نكد الأيام على هذه الأمة المسكينة أن الفنون فيها انما تستعمل لاثارة الغرائز وجلب ما يملأ البطون . أما الشعور بالصالح العام فليس حظ الفن منه بأكثر من حظ السياسة .. فلك الله يا مصر ....

الرســـالة ــ ١٩٤٧/٧/٢٨

عـــام التوائم

توالت على الصحف أنباء ولادة التوائم فى أنحاء البلاد ، وأفاضت الصحف فى الكتابة عن أحوال هذه الولادات ، لما فيها من غرابة وطرافة .

وقد لاحظت اقتران هذا الاخصاب فى الولادة ، باخصاب آخـر فى التأليف ، واسترعى نظرى اعلان أحد المؤلفين عن كتابين أخرجهما معا ، وزاد انتباهى اعلان آخر مماثل .. فقلت فى نفسى : نحن حقا فى عام التوائم .

ومما يدل على الاخصاب فى التأليف هذا العام أن « الأهرام » هالها ما يرد اليها من المؤلفـات ، ولعلها ضاقت بالحـاح أصحابها فى طلب التعريف والتنويه بها . فكتبت يوم الثلاثاء بعد ثبت طويل من الكتب التى عرفت كلا منها بكلمة ــ كتبت بعد ذلك تعتذر من عدم استطاعتها التعريف بكل ما ورد اليها ، فقالت ان عدد المؤلفات قد زاد فى هذا العام زيادة لم نعهدها فى السنوات الماضية فقد بلغ ما تلقته الأهرام فى ثمانية الأشهر الأخيرة ٣٨٢ كتابا بمعدل ٥٠ كتابا فى الشهر تقريبا ، واعتذرت من التأخير فى الاشادة بكل هذه الكتب ، ووعدت بأنها ستواصل التعريف بها ما استطاعت .

وقد لاحظ بعض الكتاب أن النساء المنجبات هن من الطبقة الفقيرة ، ولا عجب فى هذا فالطبقات الدنيا هى العاملة المنتجة المنجبة فى المجتمع . ويلاحظ أيضا أن أكثر تلك الكتب الوفيرة تدل على أن أصحابها من فقراء الفكر .. وكثير من هؤلاء يوالى الواحد منهم اصدار المؤلفات فى أوقات متقاربة ، والذى أفهمه فى فن التأليف أن الشارع فيه تقوم بذهنه فكرة الكتاب ، يعاشرها زمنا ، يقضيه فى التفكير فيها ، وتحقيق مادتها ، وتحين الفرص التى تتيح ما يخدمها ، فى أثناء المطالعات والتأملات حتى اذا نضجت على مهل ، أخرجها للناس كتابا سويا ، فيكون كالوليد الذى تتغذى أمه وهى تحمله جنينا بغذاء كامل ملائم للحامل ، وتتبع فى حياتها النظام النافع للحمل ، وتقضى المدة اللازمة قبل أن تضع حملها .

وقد أفضى طبيب « ملوى » بأسباب وفاة ثلاثة من الأربعة التوائم التى ولدتهم أمهم هناك ، فقال ان أهم تلك الأسباب رداءة تغذية الأم وهى حامل ، فهل نأخذ العبرة من هذا للتأليف ، مع فرق واحد ، هو أن الوليد السقيم قد تجدى معه العناية والمعالجة أما الكتاب الملفق المرتجل فهو مع الموت فى مهده على ميعاد ..

الرســـالة ـ ١٩٤٧/٨/٤

شخصـية الفنـان

نشرت بعض الصحف البيروتية خبر حادث أسفت له ، وأشارت الى سوء موقعه من النفوس ، ذلك أن الأستاذ محمد عبد الوهاب كان فى مجلس فى (عالية) ضم نخبة من رجال السياسة والأدب ، وفيهم الأمير مجيد أرسلان وزير الدفاع فى لبنان ، الذى طلب من عبد الوهاب أن يغنى ، فرفض واختلفت الروايات فيما حدث بعد هذا الرفض ، فقيل انه حدثت مشادة تخللها اعتداء ، وقيل ان الوزير نهض واقفا كأنه يهم بالاعتداء ... وتدارك الحاضرون الموقف فانتهى بسلام . وكذبت الحكومة اللبنانية « أن وزيرا حاول ضرب الأستاذ محمد عبد الوهاب فى عالية » وقالت انه خبر عار عن الصحة . ونفى الحكومة ينصب على الاعتـداء ومحاولته ، أما الاجتماع وما كان فيه من طلب الغناء ورفضه فلم يكذب خبره . وهذا الجزء من الخبر هو الذى يتعلق به موضوعنا . أما الاساءة اذا كانت قد وقعت فاليقين أن اخواننا اللبنانيين قد عالجوا أمرها على خير ما يرجى .

أما الذى أرمى اليه فهو « شخصية الفنان » التى حققها عبد الوهاب برفضه اجابة طلب الغناء ، فهو اعتزاز فى موضعه ، وحفاظ على كرامة الفنان أن يكون طوع اشارة وزير أو كبير . وقد مضت العصور التى كانت الفنون فيها تعيش فى ظلال الكبراء ، وصار الفنان (من موسيقى وأديب وغيرهما) يستمد عزته من فنه ومن جمهوره ، كما تستمد الحكومات الدستورية سلطاتها من أممها .

تلك هى روح العصر فى الفن ، وهى أغلى ما كسبناه ، وهى تتمثل فى أولئك الأعلام الذين برزوا فى حياتنا الفنية بأنواعها ، نهضوا على سوقهم ، ومشوا بجهودهم الى غاياتهم مسددين ، ويسير الجيل الجديد على أثرهم فى هذا السبيل ، من الشعب نحو الشعب .

الرســـالة ـ ١٩٤٧/٨/٤

من بلائى انى أقرأ أكثر ما يكتب فى هذه الأيام ، وخاصة ما يتعلق بالآداب والفنون ، وقد وقعت أخيرا فى مجلة « العالم العربى » على كلمة فى كتاب « أبو الهول يطير » الذى ظهر أخيرا للأستاذ محمود تيمور بك ، بتوقيع (أنور المعداوى ــ من الأمناء) ٠

قال ذلك الذى هو من « الأمناء » بعد أن وصف ما كتبه تيمور فى أول الكتاب عن فجيعته فى ولده : « ولست أدرى ما الذى دفع بيدى ــ وأنا فى دنيا تيمور الحزينة ــ الى كتاب (وحى الرسالة) لتقلب صفحاته حتى تقف بى عند صفحة تحمل عنوانا حزينا هو « ولدى » ، لقد رحت أقارن بين الكلمات هنا وهناك فماذا رأيت ؟ رأيت البون شاسعا بين آثار الفجيعة فى الأدب المصنوع وأثرها فى الفنان المطبوع ٠

ومجلة العالم العربى كانت قد أعلنت ، بعد أن تنحى عنها الأستاذ سيد قطب ، أن سيشترك فى تحريرها الأستاذ محمود تيمور بك ، ثم كتبت على غلافها « يشترك فى التحرير محمود تيمور بك » والمعروف عن تيمور أن مشاركاته فى الصحف والمجلات لا تتعدى قصة أو مقالا يكتبه للصحيفة أو المجلة ، وليس الأمر الا كذلك فى علاقته بمجلة العالم العربى، وقد فهم الناس بطبيعة الحال أنها ترمى الى الاستعانة باسم تيمور ، فهل البون الشاسع بين أثر الفجيعة ٠٠٠ الخ تحية لتيمور على حساب النيل من الأقدار ٠

أو أن البون الشاسع ٠٠ الخ بدوة من بدوات « الأمناء » وزفرة من زفراتهم الحرار التى تحتبس بين ضلوعهم من يوم أن ساق اليهم صاحب « دفاع عن البلاغة » قاصمة الظهر فى كلمته البالغة الخالدة عندما تعرضوا لكتابه فى مجلة « الكتاب » ؟

ونعرف كثيرا من دوافع النقد فى مصر ، ولكنا لم نعهد بينها أن جماعة تنتمى الى البلاغة والأدب وتتسمى باسم أستاذها ، تضطغن على من يخاصمه هذا الأستاذ ، فتحاول النيل منه بالدعاوى المطلقة والقول الجذاف ، فأصبحنا بذلك أمام حزب كأحزاب السياسة ، يستعمل أدواتها فى التشهير بالخصوم ٠٠٠

ثم ما هذا الذى يقوله ذلك « الأمين » المعداوى ؟ انه يردد ما هرف به بعض العجزة المتخلفين ، اذ قالوا ان الأستاذ الزيات يصنع فى أدبه ، وهم يقصدون ما يتوخاه فى كتابته من حسن الصياغة وجمال الديباجة

واجادة الرصف واحكام النسج • ومن أعجب العجب أن يعاب الكاتب بهذه المزايا ، كأن الركاكة وضعف الأسلوب من أمارات العبقرية والنبوغ • على أن الزيات يحلي أصالة الطبع ببراعة الصنعة ، وهو فى كتابته كالرجل الأنيق المعنى بهندامه وزيه دون اسراف ولا تكلف ، وقد أجمل العقاد نعتـه بقوله : « أنيق فى غير بهرجة ولا فضـول ، « بليغ فى غير عسر ولا تكلف » •

على أن تيمور أخذ هو أيضا منذ سنوات يميل الى التنميق اللفظى ، وخاصة فى هذا الكتاب « أبو الهول يطير » وهذا هو يقول فى خطاب ولده فى الفصل الذى وازنه الكاتب « الأمين » بمقال « ولدى » :

« تهتاج بين جوانحى رغبة متقدة فى الكتابة اليك ، فى مخاطبتك••• فى فك الاسار عن نفسى التى تتنزى فى القيود والأصفاد • لقد أسكنت هذه النفس قمقما من قماقم «سليمان» وأحكمت سده بالرصاص ، وقذفت به فى قاع المحيط ، هنالك تحت أعمـاق الماء ، حيث يتكدس الظـلام والصمت طبقات فوق طبقات » فترى الصنعة بادية فى هذا الكلام ، وهى جديرة أن تعد من عناصر الجمال الفنى فيه ، فهل معنى ذلك أن تيمور أديب مصنوع ؟

انى لا أناقش هذا « الأمين » وهو لم يأت بدليل يناقش ولا حجة تدفع ، ولكنى كنت مدرسا ، وأرانى ، فى هذا الموطن قد غلبت على طبيعة المدرس ، فجنحت الى الشرح وايراد المثال •

يابنى ، أنى آتيك بشىء من مقال « ولدى » فاسمع :

« كنت فى طريق الحياة ، كالشارد الهيمان ، أنشد الراحة ولا أجد الظل ، وأفيض المحبة ولا أجد الحبيب ، وألبس الناس ولا أجد الأنس ، وأكسب المال ولا أجد السعادة ، وأعالج العيش ولا أدرك الغاية • كنت كالصـوت الأصـم لا يرجعه صـدى وكالروح الحـائر لا يقره هدى ، وكالمعنى المبهم لا يحدده خاطر • كنت كالآلة نتجتها آلة واستهلكها عمل ، فهى تخدم غيرها بالتسخير ، وتميت نفسها بالدءوب ، ولا تحفظ نوعها بالولادة ، فكان يصلنى بالماضى أبى ، ويمسكنى بالحاضر أجلى ، ثم لايربطنى بالمستقبل رابط من أمل أو ولد ، فلما جاء (رجاء) وجدتنى أولد فيه من جديد » •

فهل رأيت يابنى أبلغ من هذا فى التعبير عن حال رجل قلق حائر ينشد تجديد حياته بولد ؟

وهاك أثر الفجيعة فى الأديب « المصنوع » :

« ان قلبى ينزف من عينى عبرات بعضها صامت وبعضها معول . فهل لبيان الدمع ترجمان ، ولعويل الثاكل ألحان ؟ ان اللغة كون محدود فهل تترجم اللانهاية ؟ وان الآلة عصب مكدود فهل تعزف الضرم الوارى ؟ ان من يعرف حالى قبل رجاء وحالى معه يعرف حالى بعده ؟ أشهد لقد جزعت عليه جزعا لم يغن فيه عزاء ولا عظة . كنت أنفر ممن يعزينى عنه لأنه يهينه ، وأسكن الى من يباكينى عليه لأنه يكبره وأستريح الى النادبات يندبن القلب الذى مات والأمل الذى فات والملك الذى رفع » .

ان كلامك – يابنى – يدل على أنك قرأت هذا المقال من قبل ، وأن له فى نفسك صدى من قديم ، ويلوح لى أنك تذوقته ، ولكن تعصبك لجماعتك وتأثرك بجوها يغطيان على بصرك ...

الرســـالة – ١٩٤٧/٩/٢٢

الآراء القديمة فى شوقى وحافظ

الأستاذ عبـاس محمود العقاد والدكتور طه حسين بك والأستاذ اسماعيل مظهر والأستاذ محمد توحيد السلحدار بك ، كان لكل منهم رأى قديم فى شعر شوقى وحافظ ، فهل ظلوا على آرائهم أم جلا لهم الزمن آفاقا جديدة ينفذ فكرهم منها الى رأى جديد ؟ سألتهم مجلة « الكتاب » هذا السؤال فأجابوا :

قال الدكتور طه أنه لم يغير رأيه فيهما ، ومما قاله عنهما :

« واذا لم يبلغا من التفوق ما كنت أحب لهما وأتمنى للشعر العربى الحديث فقد لا ينبغى أن نلومهما فى ذلك » .

فلم يكن هذان الشاعران الا مرآتين صادقتين للعصر الذى عاشا فيه ، وقد أديا الينا ما ألهمهما هذا العصر فأحسنا الأداء » .

ويحضرنى – لذلك – رأى للدكتور طه حسين فى كتابه « حديث الأربعاء » مؤداه أننا لا نعد الشاعر شاعرا الا لأنه يعبر عن بيئته ويصور عصره فيحسن التعبير والتصوير . ورأى الدكتور طه فى شوقى وحافظ أنهما لم يبلغا من الشعر ما يجب فأى الرأيين ما زال يرى .. ؟

ورأى الأستاذ مظهر القديم أن خيال الشاعرين أرضى وأن نزعاتهما أرضية على خلاف طاغور شاعر الألوهية . وقال انه لا يزال عنـد هذا الرأى ، وهو يرى أن الشعر ليس اللفظ ولا الوزن ولا القافية ولا الموضوع

ولا الأداء ، لأن هذه أعراض ، وانما الجوهر أثر فى نفسك ، ، وقليلا ما يخاطب الروح أو النفس شعر شوقى وشعر حافظ ...

ومجمل رأى السلحدار بك الذى نشره منذ تسعة وثلاثين عاما أنه يرجح كفة حافظ على شوقى ، لأن الأول شاعر الجلال ، والثانى شاعر الجمال ، والجلال فوق الجمال ، ولأن ملكة اللغة العربية كانت راسخة فى حافظ أكثر من رسوخها فى شوقى ، ولان شعر حافظ بما فيه من نفحات القوة والقومية شاف للنفس ، أما شعر شوقى فكان شعر الرفاهة والنعيم ، ولأن حافظا أكثر كتابة عن وجدانه فى شئون وطنه ، وشوقى أبعد منه عن ذلك . وقال ان الشاعرين قرضا بعد ذلك شعرا كثيرا فى نحو ربع قرن ، وأنه لا يصح الجواب عن السؤال بغير مراجعة هذا الشعر ، ولا تسعد الحال على ذلك الا فى مدى طويل ، ولكنه مع ذلك يجيب بقوله: « أغلب الظن أن حافظا ظل يقول أكثر شعره فيما يتعلق بالشئون القومية ، ولم يستمر فى محاولته التخلص من أغلال طريقته القديمة ، أما شوقى فلولا تهكم بعض أئمة الأدب القديم على قصائده فى صباه عقب عودته من أوروبا لكان التجديد أظهر فى شعره » .

أما الأستاذ العقاد فقد قال أنه دون فى مذكراته اليومية قبل نيف وثلاثين سنة أن اسم الشاعر بلغتنا يشير الى تعريفه ، فليس الشاعر من يزن التفاعيل ، وليس بصاحب الكلام الفخم واللفظ الجزل ، ولا من يأتى برائع المجازات وبعيد التصورات ، انما الشاعر من يشعر ، وكان بهذا القياس يقيس شوقيا وحافظا ، فقال عن حافظ : « يعجبنى منه ذاك الجلال ، وان كنت أعتقد أن الجلال الظاهر لا يتطلب من شعرائه سموا فى المشاعر أو أفضلية لها على شعراء الجمال » الى أن قال « وأما فيما عدا ذلك فشعر حافظ كما قال فيه الدكتور شميل ــ ولم يرد أن يطربه ــ كالبنيان المرصوص متين لا تجد فيه متهدما ، فهو يعتمد فى تعبيره على متانة التركيب وجودة الأسلوب أكثر من اعتماده على الابتداع أو الخيال » .

وقال الأستاذ الكبير أنه كان يعيب « رسميات » شوقى دائما أو تقليدياته . ثم قال ان هذا الرأى فى الشاعرين لم يتغير كثيرا ، ولكنه يرجع فيهما الى مقاييس أعم وأوسع ، وأجمل هذه المقاييس فى ثلاثة ، **أولها** : أن الشعر قيمة انسانية وليس بقيمة لسانية ، **وثانيها** : أن القصيدة بنية حية وليست قطعا متناثرة يجمعها اطار واحد ، **وثالثها** : أن الشعر تعبير وأن الشاعر الذى لا يعبر عن نفسه صانع وليس بذى سليقة انسانية . ثم قال : « واذا عرضت الشاعرين ــ شوقيا وحافظا ــ على هذه المقاييس الثلاثة صح أن تقول : ان حافظا أشعر ولكن شوقيا أقدر

لأن ديوان حافظ هو سجل حياته الباطنة لا مراء . أما ديوان شوقى فهو (كسوة التشريفة) التى يمثل بها الرجل أمام الأنظار » .

والأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى هو الباقى من نقاد شوقى القدماء ، وقد تفقدته بينهم فى « الكتاب » ولكنى وجدته فى « الهلال » أعنى وجدت مقالا له عن شوقى ، أما هو نفسه فلا أتمثله الا جالسا الى مكتبه فى « معمل مقالاته » يكتب ... ويكتب . هذه مقالة أخبار اليوم ، وثانية للمسامرات ، وثالثة للاثنين ، ورابعة للبلاغ ، وخامسة للمصرى.. الخ ويخيل الى أنه يكتب مقالات (جاهزة) لتدفع الى من يطلبها دون انتظار .

والمقالة التى كتبها للهلال عن شوقى ، هى وان كانت من (الموصى عليه) الا أنها على كل حال من نتاج « المعمل » فهى متأثرة بجوه الذى تسوده سرعة الانجاز ، فالأستاذ ليس متفرغا لانضاج رأى جديد فى شعر شوقى ، بل لتذكر رأيه القديم ... فلا بأس بأن يملأ بعض الصفحات ببعض الحوادث والنوادر التى جرت بينه وبين شوقى ، حتى اذا جد الجد فاقتضى الحال أن يقول شيئا فى شعر شوقى قال : « وما زال رأيى فى شعره كمان كان .. وهو أنه كان فى صدر حياته أشعر منه فى أخرياتها ، ولكنه فى العهد الأخير كان أبلغ عبارة وأعلى بيانا » وليس هذا هو رأيه الذى كان .. لأن المازنى هو أحد أستاذى المذهب الجديد الذى عارض شوقى والذى تراه فى كلام العقاد الأستاذ الآخر للمذهب الحديث . وقال أن شوقى « اقتنع بأن نظم القصائد على الطريقة القديمة التقليدية عبث وباطل ليس يجدى ، فتحول الى وضع الروايات الشعرية التمثيلية » فهل وضع الروايات الشعرية يقتضى أن نظم القصائد عبث وباطل ؟ وهل تحول شوقى عن نظم القصائد ؟ والأستاذ نفسه يقول بعد ذلك أنه « لم ينقطع عن نظم القصائد المألوفة » فكيف يتفق هذا وذاك ؟ وقال الأستاذ المازنى ان شوقى مدين لخليل مطران بك لانه « أول من أدخل شيئا من التجديد على الشعر فى مصر وتبعه شوقى » وقد أسرف القوم فى الاشادة بتجديد مطران ، وما نراه يفترق كثيرا فى التجديد عن شوقى وطبقته ، بل تجديد شوقى أظهر فى التمثيليات لا من حيث النوع فحسب بل كذلك فى المنحى الشعرى .

الرسالة ـ ١٣/ ١٠/ ١٩٤٧

مسرحية شعرية وضعها الأستاذ عزيز أباظة باشا ، وأخرجها الأستاذ زكى طليمات ، وافتتحت بها الفرقة المصرية موسم التمثيل بالشتاء على مسرح الأوبرا الملكية ٠

تتكون المسرحية من أربعة فصول ، يظهر على المسرح فى الفصل الأول عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموى بالأندلس ، وقد عقد مجلسا حضره الوزراء والقواد والعلماء والأمراء والشعراء لاستقبال الوفود التى بعث بها اليه ملوك البلاد الأوروبية ، ليخطبوا وده ويؤكدوا حسن علاقاتهم به ، ولبعضهم الى هذا مطالب كايفاد طبيب معالج أو قائد مدرب يشبه ما يقال له اليوم « البعثة العسكرية » أو « الخبراء العسكريون » ٠

وتتلخص حوادث الفصول الثلاثة الأخر ، فى علاقة حب بين «الحكم» ولى عهد الناصر وولده الأكبر وبين فتاة من نسل أحد ملوك أسبانيا الذين تغلب عليهم الناصر ، وهى تعيش فى كنف الخليفة كابنة له وتدعى (شفق) وتحاول جارية أخرى اسمها (منى) من بنى جلدتها أن توغر صدرها على الدولة العربية لتشاركها فى العمل لصالح قومها بالتجسس ونقل أنباء جيش الناصر اليهم ، فمرة تنصاع لها ، ومرة تغلب جانب الوفاء لحبيبها ولى العهد وأبيه الخليفة الذى يتبناها ويرعاها ٠

وفى خلال ذلك تظهر منافسة بين ولدى الناصر : الحكم وعبد الله ، لأن الثانى ينفس على أخيه ايثار أبيه اياه وتقديمه عليه ، فلا يجد وسيلة لنقل ولاية العهد اليه الا الاتصال بدعاة الفاطميين فى الأندلس الذين يغشون القصر لملاقاة عبد الله ، فتكشف أمرهم « الزهراء » الجارية التى فتنت الناصر وملكت هواه ، فتحاول اصلاح عبد الله ، ويبلغ الأمر مسمع الخليفة فيأمر بقتله ٠ أما الجاريتان شفق ومنى فيجرى الأمر بينهما على ما تقدم ، حتى يبلغ (الزهراء) أن أخبار الجيش تتسرب الى الأعداء ، فيبلغ ذلك الناصر ، فيهم باتهام ولده الحكم ولى العهد وقائد الجيش ، ولكن تسرع شفق فتعترف بأنها الخائنة التى استغلت حب الحكم فى انتزاع الأسرار منه وايصالها الى الأعداء ، فيوبخها النـاصر ، ويبكتها الحكم ، ثم يتركانها تبكى وتنتحب ٠٠٠ فتأتى اليها منى ، ويحتدم الجدل بينهما ، شفق تبدى الندم على الخيانة ، ومنى تحاول أن تغير شعورها ، ولكنها تيأس منها فتطعنها بخنجر وتتركها تتلوى وتهوى ٠٠٠ فيقبل الحكم ويبدى جزعه ، ويأتى الناصر ، ويستحث الحكم على النهوض للسير بالجيش المعبأ الى ميدان القتال ، فيتثاقل ، فيؤنبه الناصر ويبدى استعداده

لقيادة الجيش بنفسه وهو فى الشيخوخة ، فينهض الحكم من جوار جثة حبيبته ، ليذهب الى ملاقاة الأعداء · وتلتقى الستارتان ·

فترى من حوادث المسرحية أن الخيط الذى ينتظمها واه ، وهذا الخيط هو حب الحكم لشفق ، والظاهر أن الهدف عرض صفحة مشرقة من التاريخ العربى الاسلامى فى الأندلس ، فيمكن أن يقال ان مسرحية « الناصر » هى مجموعة من المناظر المتخيلة فى عصر عبد الرحمن الناصر ويكون هذا القول أدق من أن تكون قصة أو رواية ذات حبكة ، ولها محور تدور عليه الوقائع التى تعبر عن الغرض منها ، فهى من هذه الناحية تختلف عن مسرحيتى « قيس ولبنى » و « العباسة » اللتين وضعهما المؤلف من قبل ·

وكذلك تختلف مسرحية « الناصر » عن المسرحيتين السابقتين فى أسلوب الحوار ، فقد عدل الشاعر فى هذه الفترة عن الأسلوب الخطابى المطول الى المخاطبة بالقدر الطبيعى المعقول والى اللباقة وبراعة اللفتة ، مما بعث الحياة فى الحركة على المسرح · وقد تجلت انسانيته فى المواقف التى أنطق فيها أشخاصه بالألم من ألوان فى الحياة يبدو فى ظاهرها النعيم ، كحياة الخصى فى القصور الخالية من الزوجة والأبناء ، وكعيش الجوارى فى ظلال النعمة السابغة ، محرومات من الحرية والكرامة ··· وسمت شاعريته على لسان « شفق » وهى تتذكر معاهد صباها فى ديار قومها وتقارنها بحياة الذل والاسار فى ديار الغالبين ، وأجادت أمينة رزق فى تمثيل ذلك كل الاجادة ·

والمسرحية جيدة من حيث هى شعر ، وقد نجحت بعض النجاح فى تحقيق الغرض منها ، وهو اظهار صفحة مشرقة من مجد العرب بالأندلس، ولم أقل بتمام نجاحها فى هذا ، لأنها لم تستكمل عرض عناصر ذلك المجد ، فقد كان عصر عبد الرحمن الناصر العصر الذهبى بالأندلس الذى يماثل عصر الرشيد فى المشرق ، ولم تقم « ذهبية » ذلك العصر على القوة العسكرية فحسب بل قامت ، الى جانبها ، على التقدم فى العلوم والفنون والآداب ، والحديث عن شغف الناصر بهـا وارتقائها على يديه مأثور مستفيض · ولكن مسرحية « الناصر » قليلة الحظ من هذه العناصر ، وبعض هذا القصور يرجع الى الاخراج وبعضه الى التأليف ، فقد كان يمكن أن يعرض شىء من النقوش والتماثيل التى كانت يتحلى بها قصر الزهراء والقصر الكبير فى قرطبة ، والتى أفاض المؤرخون فى الحديث عنها والاشادة بفخامتها ودقائق صنعها · وقلت الموسيقى ، وأهمل الغناء كل الاهمال ، وقد قدمت احدى الجوارى المهداة الى الخليفة ووصفت

بأنها تجيد الضرب على الطريقة العربية ، وكانت الزهراء مغنية ، ولكنا لم نسمع من الزهراء ولا من تلك الجارية شيئا ... هذا واسم الفرقة التى تقدم المسرحية « الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى والغناء » .

وقد أثر عن عبد الرحمن الناصر الشغف بالعلوم والولع باقتناء الكتب ، ولكنك تراه على مسرح الأوبرا يتلقى هدية من ملك الروم هى كتاب فى النبات ، ولا يظهر من الاهتمام أكثر مما تظهر وأنت تساوم أحد الباعة الطائفين بالكتب على المقاهى ..

وقد وقع المؤلف أو المخرج ، لا أدرى أيهما ، فى أمـر شائع فى التمثيل المسرحى والسينمائى عندنا ، وهو تهيئة (أدوار) لبعض الممثلين والممثلات اشتهروا بها وعرفوا بالظهور فيها ، (والدور) هنا أعد لأمينة رزق ، أعد لها لكى تبكى وتصرخ وتنتحب .. ندما على الاثم الذى اقترفته. وقد بالغت فى ذلك حتى جاوزت الحد .

وقد نقل الينا التاريخ من وصف عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، أنه كان تقيا ورعا ، ولكنا رأيناه على مسرح الأوبرا على خلاف ذلك ، رأيناه يغازل الزهراء جارية أبيه مغازلة جريئة حتى اضطر الى زجره والعنف فى مخاطبته ، ورأيناه يغاضب أخاه ويعارض فى ولايته للعهد ، ويخرج عن طاعة أبيه ، دون أسباب تتفق ووصف المؤرخين له .. ويبدو لى أن المؤلف كان هنـا فى مأزق ، لأنه مضطر بحكم الغرض أن يظهر شأن الناصر فى مظهر حسن ، وهذا المظهر لا يتفق مع ايراد أسباب معقولة للخروج عليه فضحى بعبد الله .

وقد رأيت فى آخر حوادث المسرحية اعتراف « شفق » بجريمتها وهى نقل أسرار الدولة الى الأعداء ، فلم يقبض عليها ، ولم يحقق أمرها ، ولم يبحث عمن تتصل بهم ، بل وبخها الخليفة وانصرف وعاتبها ولى العهد ومضى .. ثم طعنت بخنجر وأقبل ولى العهد ، فجعل يتوجع لها ويتفجع ، ويطيل فى التعبير عن ألمه وعاطفته بصوت جامد لا تخالطه نبرة حزن ... وكل ذلك دون أن يسألها عمن طعنها ودون أن يبحث عن القاتل الأثيم ، ويقبل الناصر ويرى القتيل ولا يسأل أيضا ولا يبحث عن اليد الخفية المتصلة بالأعداء . وتلتقى الستارتان ..

الرسـالة ـ ١٩٤٧/١١/٣

المسرح أداة ثقـافة

كانت منظمة التعاون الثقافى لهيئة الأمم المتحدة قد عقدت فى شهر يوليو الماضى بباريس مؤتمرا لخبراء المسرح . وقد تلقت الجهات المصرية

المختصة التوصيات التى قررها هذا المؤتمر ، ويؤخذ منها أنه تقرر اعتبار المسرح جزءا من الفن كالأدب والموسيقى وسائر الفنون الجميلة ، أى أنه أداة ثقافية لا وسيلة للتسلية والترفيه وحسب ·

كذلك تقرر انشاء معهد مسرحى عالمى ، وتأليف جمعية دولية من المسرحيين النظريين الفنيين والمسرحيين العاملين ، على أن تكون مهمه هاتين المؤسستين النهوض بالمسرح باعتباره أداة ثقافية رفيعة ، مع كفالة أسباب التعاون بين رجال المسرح فى العالم ، وأن يكون اعداد الرواية المسرحية على أسس انسانية ، والمحافظة على هـذا الفن العالمى القـديم من طغيان السينما عليه ، والعمل على وقف حركة الخروج من ميـدانه الى ميـدان السينما ·

وفن المسرح جـدير بالجهود العالمية وتعاونها على النهـوض به ، والواقع أنه ليس فنا من الفنون فحسب ، بل هو مجمع الفنون ، ففيه الأدب ممثـلا فى القصة ، ومن أدواته الموسيقى والغنـاء وباقى الفنون الجميلة ، وهو بحكم أنه فن أداة ثقافة ، وهذه هى الحقيقة التى ننشدها فى مصر ويعييننا نشدانها ، فالفن عندنا يتخذ أكثر ما يتخذ أداة لهو وتسلية ، وتسميته فنـا تسمية ادعائية ، لأن العمل الفنى لا يستوى الا على موضـوع ، ولابد أن يكون له هدف ، حتى الفرق الاستعراضية وما يمثل فيها من (اسكتشات) وما يلقى فيها من الفكاهات و (المنلوجات) يجب أن يكون لهذا كله هدف يرمى اليه الى جانب التسلية والترفيه ·

وقد تفشت طريقة التسلية الخـالية من الموضوع ، وانتقلت من المواطن الموبوءة الى ميدان الكتابة ، حتى لنرى بعض الأدباء يكتبون لمجرد التسلية ·

وبعد فالمأمول من الجهات الفنية فى مصر أن تشارك فى ذلك المجهود العالمى ، لتساير النهضة المسرحية العالمية ، ولتجنى بلادنا ثمراتها ·

الرســالة ـ ١٩٤٧/١١/١٠

لـم هــذا ؟

كتب الأسـتاذ ابراهيـم الابيارى فى مجلة الثقـافة كلمة بعنـوان « أحمد الزين ـ كلمة رثاء ووفاء » بدأها هكذا : « أليت أزع بلباله صدرت بها فما أنجحت حتى أصبحت · فأممت أم دار الكتب التمس فرجا فى عملة ، وأنسابين زملة · فما وطئت أسكفة الباب حتى بدرنى البائب ينعى الى (أحمد) وما أحمد · هذا حميم أحم الله حمته فقضى ، وخليل أخل خله

ومضى ، شكا الى الطب داءه فما أشكاه ، واستأنى الأجل أجل صغير يرعاه فما آناه ٠

وأنا أعرف الأستاذ الابيارى رجلا طيبا دمثا وديعا موطأ الأكناف ، فعجبت كيف عمل هذه « العملة » ولم عنى نفسه بهذا العناء ؟ لم لم يقل : أنى على النيل وأنا أدافع هما لزمنى حتى الصباح ، بدل « اليك أزع بلبالة صدرت بها فما أنجحت حتى أصبحت » وماذا جرى للبواب حتى صار « البائب » ؟ أمن الوفاء يا سيد ابراهيم أن ترثى صـديقنا الراحل بمثل هذا ؟ وماذا جنى ترثيه بمثل « هذا حميم أحم الله حمته » أو بكلمة « بقواك » فى قولك « واما الاشفاق على بقواك فما أعوزنا معه الى ذى حول يعين بقول « أو هذا جزاء الصديق من الصديق » ؟

أذكر أننى سمعت ثناء من فقيدنا الشـاعر على الأستاذ الابيارى لنبالته وسهولة خلقه ، فقد زامله فى اخراج بعض الكتب ولكنه لم يكن يدرى انه سيرثيه ب « أليلت ٠٠ الخ » وفى « الثقافة » مجلة الأصدقاء ٠٠

وبعد فما غاية هذا « التفاصح » أيريد الكاتب أن يعبر عن أساه ولوعته أم يريد أن يظهر اقتداره على التشدق بالغريب ؟ أما الثانية فله أن يحمد الله على نجاحه فيها وان كان هذا النجاح لا يهم أحدا غيره ٠٠ وأما الأولى فليس سبيلها الجهد فى تأليف الغريب وتكوين تلك التراكيب التى تصرف القارىء عن مضمونها الى غرابتها والاستغراق فى العجب من معاناتها ، كما صرفت الكاتب من قبل عن الموضوع الى هذه المعاناة ٠ ورحم الله الزين ٠

الرســـالة ـ ١٩٤٧/١٢/٨

توفيـق الحـكيم أخـيرا

تبلغ ـ ولا شك ـ أذنى الأستاذ توفيق الحكيم ، ما يردد على الأقلام والألسنة من أنه شغل عن الانتاج الأدبى القيم منذ سنوات بما يكتبه فى « أخبار اليوم » من أشياء أقل ما توصف به أنها ليست كسابق انتاجه ، ولابد أنه يشعر بهذا وان لم يكن يسمعه ، ولذلك كتب أخيرا فى أخبار اليوم مقالا بعنوان « فتاة بين جيلين » ساق الحديث فيه على لسان شاب وفتاة أديبين كانا فى مكتبة ، سألت الفتاة وأجابها الشاب ، ومن السؤال والجواب نرى أن الأستاذ الحكيم يحاول أن يبرر ما آل اليه من الركود الأدبى والابتذال الصحفى ، بأن الناس حيروه ٠٠٠ اذا اعتصم بالبرج العاجى قالوا كيف لا يهبط الى الناس يشعر بشعورهم ويدرس أحوالهم ويعرف أنباءهم ويعرض شكاواهم ويدافع عن حقوقهم ، فاذا فعل عادوا فقالوا أين العزلة التى يكتب فيها لطائفة من الخاصة ٠

والمغالطة فى هذا الكلام ظاهرة ، لأنه لم يكن فى البرج العاجى يوم كتب « يوميـات نائب فى الأرياف » وغيرهما مما شعر فيه بشعور الناس ودرس أحوالهم ، فلم الحيرة ؟ أليس هناك الا العزلة فى البرج وملء الصفحات بكلام لا نبض للفن فيه ٠٠ ؟

وأراد أيضا أن يقول انه لم يهمل فنه ، وما عليه أن يسكت عامين أو ثلاثة أو خمسة أو عشرة يدرس خلالها نفسه من جديد ، ويزن تأملاته ، ويختزن تجاريبه ، ويراقب أحوال الناس وتطورات المجتمع ، ويراجع أعماله القديمة ، ويبحث عن طرائق للتعبير الفنى جديدة ، ليصل الى نوع من الفن لا علاقة له بكل ما عالج من قبل ٠

ولكن هل هو ساكت ٠٠ ؟ أو لديه فراغ يدرس فيه ويزن ويختزن ويراقب ويراجع ويبحث ؟

لقد أراد توفيق الحكيم أن يطالع آلاف الناس ، وقدمته اليهم « أخبار اليوم » الواسعة الانتشار ، ولكنه كان (مقلبا) لتوفيق الحكيم ٠٠ فلم يؤد هذا التقديم الا الى تأخير ٠٠٠ **أغلى من ثمنه** ٠

وليت شعرى ، هل الاشارة الى البحث عن فن جديد ، اعتذار أو ارهاص ؟ واذا كان الثـــانى فكل ما نرجو ألا يكون الجديد من نوع « الحمار » و « صينية البطاطس » ٠٠

الرســـالة ـ ١٩٤٧/١٢/٢٩

الشـــعر الآن

رددت الصحف أخيرا قولا للأديب الفرنسى أندريه جيد : « اذا وجد فى أى بلد شعراء يجيدون ، واذا أحب أهل هذا البلد قراءة الشعر ، فاعلم أن النظام السياسى هناك نظام صالح قويم ٠ أما اذا خلا البلد من الشعراء والنوابغ ، واذا عزف الناس عن قراءة الشعر وترتيله ، فاعلم أن النظام السياسى هناك نظام فاسد معوج ٠ وفى البلد الأول قلما تقوم الثورات والقلاقل ، وفى البلد الثـــانى قلما يهدأ الناس ويرضون عن حياتهم » ٠

ويبدو لى أن الربط بين وجود الشعراء واقبال الناس على الشعر وبين استقرار الأحوال واطمئنان الناس فى حياتهم ـ يبدو لى أن هذا الربط يقوم على اعتبار الشعر ترفا فنيا وعلى ما يسود حياة الناس من هدوء بال وهناءة عيش فيقبلون على الشعر يلتمسون فيه المتعة الفنية ، أو قلق وشظف فينصرفون عن هذا الكمال الفنى الى مسائلهم ومشاكلهم ٠

ونحن ولا شك من الفريق الثانى ، والناس عندنا عازفون عن قراءة الشعر من غير شك أيضا ، ولكن هل هناك شعراء مجيدون ؟ يتوقف الجواب عن هذا السؤال على تعليل عزوف الناس عن قراءة الشعر ، فهل تصرفهم عنه شواغلهم ، أولا تعجبهم البضاعة الموجودة ؟

أما الشواغل والقلاقل فهى متوافرة ، وأما الانتاج الشعرى فليس من السهل اطلاق الحكم عليه •

أحسب أن شيئا من التبعة فى كساد الشعر يرجع الى أولئك النقاد الذين هبوا فى فترة ماضية ، يعيبون على الشعراء العائشين فى حياة الناس القائلين فى مسراتهم وأحزانهم ، ويدعون الى التجارب الذاتية والتحليق الفنى • ولهؤلاء النقاد وجهة فنية سليمة اذا نظرنا الى ما هالهم من التهالك على الرثاء المصنوع والتهانى المتملقة وغير ذلك مما ليس بسبيل التعبير الصادق ، ولكن كانت نتيجة تلك الحركة أن انكشف شعراء المناسبات عن الميدان ، وان كان لا يزال فيه من يوالون تزييف التعبير وقد أصبحت تفاهة صنيعهم معروفة • أما التحليق فلم يلق أجنحة فى أكثر أمره ••• ومن حلق قصد الى ترف المشاعر ، مزورا عن مضطرب هذه الأمة المنكوبة فى حريتها وفى عيشتها • ونظر الناس الى هؤلاء والى هؤلاء شذرا ، لانهم وجدوهم اما بعيدين عن الاجادة أو غير مسددين الى أهداف المجتمع ، فكانوا عنهم معرضين •

وليس الأمر مقصورا على جمهرة القراء ، فالاعراض عن قراءة الشعر يشمل الخاصة من المثقفين ، ولا أخفى أننى قلما أقع على شعر يقرأ ، وأكلف نفسى أحيانا أن أقرأ شعرا ، صابرا الى نهايته ، ثم أقول فى نفسى : أترى هذا الكلام ينشر اذا جرد من الوزن والقافية وكتب نثرا •• ؟ والجواب مفهوم طبعا ، واذن فنحن نتخذ النظم « جوازا » للنشر ليس الا •••

كتب كاتب فى احدى صحفنا الكبيرة « تقريظا » لديوان « أخرجه أخيرا شاب يتعلق بالشعر ، فتمثل الكاتب بما كتبه فيكتور هوجو عن لامرتين عقب نشر أول مجموعة شعرية له ، وهو قوله : « لقد ولد لنا الليلة شاعر عظيم جديد » فاستبشرت خيرا بمن ولد لنا وهو صاحب الديوان الذى يقرظه الكاتب ، ولكنه عفى على ما أملت بايراده طائفة من روائع شعره ، فقد نظرت فى هذه « الروائع » متخيلا تجردها من الوزن والقافية فوجدتها كالذى وصفت •• وكذلك شأن أكثر من يولدون فى هذه الأيام •

وأعود الى ما أسلفت من أنه ليس من السهل اطلاق الحكم على الجميع، فثمة قلة من الشعراء يرتفع شعرهم عن مستوى الكثرة التى كادت تحملنى على القول بأن الشعر لقى حتفه . أما الظاهرة الشاملة الملحوظة وهى انصراف الناس عن قراءة الشعر ، فان خالفتنى فى تعليلها فلن نختلف فى تقديرها .

وموقف الشعراء ـ فى نظرى ـ لا يخلو من ثلاثة أن يظلوا يقولون لأنفسهم أو يقولوا فيما يعنى الناس وما يعجبهم ، أو يسكتوا حتى يفرغ الناس لهم .

الرســالة ـ ١٩٤٨/٢/٢

بين الشيوخ والشباب

تجرى بين الحين والحين مناوشات بين أدباء الشباب وشيوخ الأدب، تتمثل فى نقدات خفيفة من الشباب للشيوخ ، قليلها فى أعمال أدبية معينة ، وأكثرها تفنيد لمسلك بعضهم فى الانتاج التافه المسف الذى يختلف عن سابق جدهم وابداعهم ، ولبعد أكثرها عن ملابسة الحياة وواقع الناس فيما يكتبون ، فهم ـ فى رأى الشباب وبعض الشيوخ ـ اما هاذرون مسفون ، أو معتصمون بالقباب الذهبية .. ولا أقول الأبراج العاجية .

وتتمثل تلك المناوشات أيضا فى حملات بعض الشيوخ على الشباب ورميهم بالقصور فى التحصيل واستكمال الأداة ، وأنهم يحاولون هدمهم ، ويقولون أن عليهم أن يجدوا ويكدوا ليصلوا الى ما يبتغون ويظفروا بما يأملون . وقد كتب الأستاذ المازنى مرة يتساءل : هل يحفر الشيوخ قبورهم بأيديهم ؟ ماذا يريد هؤلاء الشباب ؟ ضرب مثلا للشباب ما بذله من جهود فى التحصيل وما عاناه فى مقتبل حياته الأدبية .

وأخيرا كتب الأستاذ توفيق الحكيم مقالا فى « أخبار اليوم » بعنوان « آمال الجيل » أشهد أنه كان لبقا فيه ، اذ بث فى أوله وفى وسطه روحا طيبا فى معالجة العلاقة بين الجيلين . ومما قاله « ما الذى يحدث فى العشرة أو الخمسة عشر عاما المقبلة ؟ هل الأمل معقود على طائفة من الأدباء يمكن أن تبرز فى الصف الأول ، لتمضى فى رفع مشعل الأدب والفكر فى هـذا البلد ؟ . أو أنه كمـا يقـال ليس فى الامكان أبدع مما كان ؟ » . وقال : « ونحن اذا جلنا اليوم فى حديقة الأدب المصرى لوجدنا أشجارا مملوءة بعصير الحياة ، مونقة بأزهار الفن .. لا ينقصها الا أن ننظر اليها بعين الرضا ، وأن نتخيل ما ستكون عليه غدا من سموق وارتفـاع .. » ومضى يتساءل عن واجبهم نحو أعلام الغد ويعترف

بانصرافهم عنهم الى أن ختم المقال بقوله : « غير أن المشكلة التى تحيرنا دائما هى : وسيلة المعونة ••• أهى فى تجنيب الجيل الجديد أخطاءنا ، أم هى فى اشعاره بأخطائه ؟ أهى فى اعداده قبل الظهور ، أم فى اظهاره قبل الاعداد ؟ • ثم أولئك الذين قطعوا فى فنهم شوطا وظهروا بعض الظهور ، وبدت مواهبهم متألقة كقطع النور ، أعلينا ازاءهم واجب ؟ ما هو ؟ وما السبيل الى الوفاء به ؟ •• انا جميعا لعلى استعداد أن نؤدى واجبنا ولن نحجم عنه أبدا ، اذا عرفنا الوسائل وملكنا الأسباب » •

ولا أرانى فى حاجة الى قدر كبير من الألمعية لأدرك أن المقصود من المقال هو هذا الخاتم الذى انحسرت عنه تلك الروح الطيبة •• وقد استعان على ابراز هذا المقصود بعبارات التهكم من مثل « أم فى اظهاره قبل الاعداد ؟ » • كما استعان على ذلك بنقط التعجب وعلاماته التى حرصت على اثباتها فى مواضعها • وعلى ذلك نستطيع أن نقول ان هذا المقال من أسلحة كتلة الشيوخ • فهو يشبه « مشروع مارشال » من حيث ان كلا منهما يرمى الى مكافحة الكتلة الأخرى •• فكأنه يقول : هؤلاء الشباب الذين يتطاولون علينا ـ ماذا يريدون منا ؟ وماذا نصنع لهم ؟

ولكى أثبت للأستاذ الحكيم حيادى وبراءة هذا الذى أكتبه من تلك المناوشات التى لن تفضى الى حرب ذرية على أى حال ـ أسارع فأقره على حيرته وحيرة الشيوخ فيما يصنعون لهؤلاء الشباب « وان فى هذه الثروة الأدبية الضخمة التى كونها أدباء الجيل ، لمدرسة الشباب ، وقد تخرجوا فيها فعلا ، فما هو الاعداد ان لم يكن هذا ؟ أيعقدون لهم فصولا فى النصح والارشاد ؟ ولا أخفى أننى أبتسم عندما أسمع أن كبار الأدباء قصروا نحو الجيل الجديد وأن عليهم أن يأخذوا بيدهم •• الى آخر هذا الكلام الذى لا أرجعه الا الى العى ••

على أن هناك جانبا عمليا لا يملك كل الكبار فيه شيئا ، وهو النشر والتشجيع على الانتاج • ومن الحق أن أقرر أن من بيدهم شىء من ذلك تراهم يشجعون كثيرا من الشبان الناضجين ويقومونهم ، وان كان بعضهم يقصر عنايته على بطانته والسائرين فى ركابه ••

ولا أريد أن أسترسل فى ذلك الذى جرتنى اليه دعوى ذوى العى والراغبين فى الوصول دون عناء • أما ذوو الكفاية والكرامة من الشباب فما تلك دعواهم ، انما هم يشقون طريقهم بأقلامهم ، لا ينتظرون من أحد معونة ولا يدا ، وهم ازاء ما يشاهدون من اسفاف الكبار ، يرون أنهم أقدر على تلبية روح عصرهم الجديد ، فان لم يتيسر لهم ذلك الآن فهم فى الطريق اليه •

أما النقد الأدبى ، وقد تخلى عنه الكبار لأسباب منها : المجاملات الشخصية ، والرغبة فى الدعة الذهنية ؟ فان الشباب يحاولونه . وتعوقهم عوائق كثيرا ما تأتى من الشخصيات التى يتناولها النقد ، فما يكاد يظهر نقد فى صحيفة حتى يصيح المنقود : « هؤلاء الشباب الذين لم يقرؤا كما نقرأ ... الخ - يريدون أن يهدمونا ... ولا أجد غضاضة فى أن أصرح بأن مجاملات المشرفين على النشر من أكبر عوائق النقد الأدبى ، وهم يقولون لك : ترفق ، ولا تكن عنيفا . أكان أساتذتنا أدباء الجيل مترفقين فى نقد من كان قبلهم ... ؟ أو فى نقد بعضهم أيام الحماس والفتوة ... ؟ لقد كانوا يتبادلون شتائم يخرجون فيها عن حدود الذوق والفن والأدب . ولا شك أن لغة النقد الآن - على قلته - قد ارتقت وهذبت . بل هى رقت الى حد أفسدها ... وهو حد التقارض والمصانعة .

فكيف يفزع من هذا النقد الرفيع من ذلك ماضيه فى النقد ؟ أما الأستاذ توفيق الحكيم خاصة فليس له ماض فى النقد الأدبى ، وهو لا يميـــل الى الاشتباك فى المعـــارك الأدبية ، ولذلك نراه يتخذ أسلوبا « حكيما » فى الفزع من النقد .. يقرأ ما يكتب عنه ، ثم يعقد فصلا فى أخبار اليوم يتظاهر فيه بأنه يعالج موضوعا مستقلا ، وما هو فى الواقع الا تبرير لما يؤخذ عليه ... وأستطيع أن أرجع دافع كل مقالة كتبها فى ذلك الى شىء كتب عنه . ثم جاء أخيرا يسأل : ماذا نصنع ؟ تناقش يا سيدى وجها لوجه ، وتدفع الحجة بالحجة ، أو تسكت ان أخذتك العزة بالاثم ...

والحق الصريح أن أكثر نتـــاج الكبار فى هذه الأيام لا يعجب الشباب ، ولا يعجب كثيرا من الكبار أنفسهم ، ويعز على الجيل الجديد أن يفجع فى أساتذته ، وأن مما يمكن أن يصنعه هؤلاء الأساتذة أن ينفضوا الغبار عن تماثيلهم القديمة المقدسة لدى الشباب ..

الرســـالة - ١٩٤٨/٥/١٠

اوروبا فقط

دعت رابطة « مصر - أوروبا » الى حفلة ساهرة يوم الخميس الماضى بنادى اليونانى الذى تتخذه مقرا مؤقتا لها ، أو هكذا تقول .. فقد كان كل ما فى الحفلة التى دعت اليها « رابطة مصر - أوروبا » أوروبيا ، كان هناك موسيقى أوروبية وغناء أوروبى . أما مصر ، وهى الشطر الأول من اسم الرابطة ، فلم يكن يدل عليها هناك الا طربوش رئيس الرابطة المصرى . وكانت الرابطة قد دعت قبل هذه الحفلة بنحو أسبوع الى سماع

محاضرة لأحد الأجانب باللغة الفرنسية ، ولم تدع مرة الى محاضرة عربية، فلماذا لم يسموها « رابطة أوروبا » من غير اقحام مصر المسكينة ٠٠ ؟
هل رابطة « مصر ـ أوروبا » اتحاد مصرى انجليزى آخر ؟

الرسـالة ـ ١٩٤٨/٥/٢٤

أنشـودة ناعمـة

كان الأستاذ على محمود طه قد أنشأ قصيدة بعنوان « أخى أيها العربى » دعا فيها الى القتال من أجل انقاذ فلسطين العربية ، وقد وقع اختيار الموسيقار محمد عبد الوهاب على هذه القصيدة فلحنها وغناها وسجلتها محطة الاذاعة ٠ وفى مساء يوم الجمعة الماضى أذيع هذا المسجل، وقدم بأنه « أنشودة فلسطين » وعلى أنه من البرامج الحماسية التى تقدم فى هذه الآونة ، ولم يخلف عبد الوهاب ظننا به ٠٠ فهو فنان مبرز فى أغانى الحب الناعمة ، وقد جاءت « أنشودة فلسطين » على نسق « بلاش تبوسنى فى عنيه دى البوسة فى العين تفرق » ٠

وغنى عن البيان أن ما يقال لسرب من الحسان غير ما يقال للأخ العربى فى الميدان ٠

من حق عبد الوهاب أن يأخذ « أجازة » فى هذه الظروف العصيبة ٠

الرسـالة ـ ١٩٤٨/٦/٢١

حول الأنشودة الناعمة

تلقيت من الأستاذ عباس السيد أبو النجا المحامى بدكرنس ، كتابا يدافع فيه عن عبد الوهاب وتلحينه لأنشودة فلسطين ، وهو بعد التحية :

« قرأت ما كتبتموه عن اللحن الرائع الذى وضعه موسيقار الشرق عبد الوهاب للأنشودة القوية التى نظمها الأستاذ الشاعر على محمود طه عن فلسطين ٠ ولست أتفق معكم فى رأيكم ، فان القراءة الهادئة للقصيدة وتفهم مراميها ومعانيها فهم أناة وروية ، ثم تنغيمها بعد ذلك لتفهم من أى انسان أوتى حظا من رقة الحس ، ودقة الأذن ، ورهافة الوجدان لا يمكن أن يأتى الا على هذا الغرار ، وفى هذا القالب الشجى من الايقاع والتلحين ٠

فالقصيدة تخاطب كل عربى فى أرض العروبة ، تحثه على الانتقاض على ظلم اليهود ، ونبذ سياسة الصبر ، وتجريد الحسام دفاعا عن الأرض

المقدسة ، تخاطب القصيدة فى كل ذلك خطابا تريد أن تصل به الى عقله وقلبه .

فليست القصيدة اذا خطابا الى جيش يخوض المعامع فهى تستزيد حماسته ، وتلهب حميته ، وانما هى خطاب الى المسالمين يستنفرهم الى اطراح السلام ، ونداء الى الوادعين يستنهض هممهم - بعد أن يتبين لهم - ويستثير - عن اقناع - عزماتهم الى دفع الخطر المحدق بهم ، دون تلبث أو انتظار .

وبعد : ألستم معى فى أن هذا اللحن ليس مائعا ، وانما هو لحن رائع اقتضاه مبنى القصيدة كما استلزمه معناها ؟

ثم ألستم معى فى أن عبد الوهاب لا ينبغى له أن يأخذ « أجازة » فى هذا الظرف العصيب ... بل ان على الشعراء والناظمين أن يقدموا له من نتاج القرائح ما يقتضى اللحن العاصف والنغم الثائر ، والايقاع المثير ، وعندئذ ينطلق صوت عبد الوهاب عاصفا ، ثائرا ، مثيرا » .

حقا أن القصيدة تخاطب كل عربى فى أرض العروبة ، تحثه على نبذ سياسة الصبر وتجريد الحسام الى آخر ما قال الأستاذ وأضيف الى ذلك أن القصيدة نفسها قوية فى غير جلبة ولا ضوضاء ، وهى من قبيل ما أدعو اليه من التأليف الذى يؤدى الحماس فى هـدوء ، خاليـا من الطنطنة والمبـالغات . ولكن هل أدى التلحين والغنـاء ما فى القصيدة من القوة والحماس ؟

أو هل هما يسيران معا فى هذا السبيل ؟ هذه هى المسالة أو القضية التى يريد الأستاذ المحامى أن يكسبها .. ويلح فى ذلك بسؤاله اياى أن أكون معه فى أن اللحن رائع اقتضاه مبنى القصيدة كما استلزمه معناها .. ويؤسفنى ألا أكون معه فى ذلك .

وحقـا ان القصـيدة خطـاب الى المسالمين لاطراح السلام ، ونداء الى الوادعـين لاستنهاض هممهم ، واللحن والغناء كذلك خطـاب للمسـالمين والوادعين .. ولكن ليظلوا ناعمين وادعين .. لحن جميل ، وموسيقى حلوة ، وغناء رقيق عذب ، تتسلل الى الأذن فى طرب يسلم الى السكون ويبعث الى وادى الأحلام .

انه حين يغنى :

أخى قم اليها نشق الغمار دما قانيا ولظى مرعدا

يحيل الدم الى (شربات) ويجعل اللظى بردا وسلاما .

وهو حينما يغنى :

فلسطين يفدى حماك الشباب   وجل الفدائى والمفتدى

يذرو هباء ما فيه من المفاداة وحماية الحمى ، ويضيع الشباب مع من ضيع فى الأوهام عمره ...

ان عبد الوهاب فنان عظيم ما فى ذلك من شك ، ولكن مجال فنه انما هو العواطف الرقيقة الناعمة ، وهو يبدع فيه لأنه يصدر عن طبع أصيل ، فيستطيع أن ينقل احساسه فى أنغامه الى القلوب فيطربها ويأسرها ، ويشركها معه فى الشدو والترديد أما العواطف الحماسية ، فليست فى طبعه الفنى ، وهو الى الآن لم يأت فى هذا الباب بشىء على وفرة انتاجه فى عالم الغناء والموسيقى .

وأنا لا أدعوه الى مخالفة طبعه بالتلحين الحماسى ، لأنه يكون اذن متكلفا ، والتكلف يفسد الفنون . ولو أنه تلقى من نتاج القرائح ما يقتضى اللحن العاصف والنغم الثائر ، كما يرى الأستاذ أبو النجا أن يفعل الشعراء والناظمون ، لما انطلق عاصفا ثائرا مثيرا الا اذا جاوز الفن الى التهريج .

وانى لأرى أن أم كلثوم أقدر من عبد الوهاب على التعبير السياسى ، ويبدو هذا فى غنائها قصيدة « سلوا قلبى » فقد استطاعت أن تجعل الجمهور يغلى ويفور فى بعض مواضع هذه القصيدة .

وأذكر أن عبد الوهاب كان يدافع عن نفسه ، حين وجه اليه اللوم لعدم المشاركة فى الأغانى الحماسية ، بأن الشعب يردد أغانيه ذات الطابع العاطفى الرقيق ، ولا يسمع من أحد صدى لما لحنه هو أو غيره من أناشيد . وهذا يؤيد ما قلته ، لأنه يصدر فى النوع الأول عن طبعه فينتج انتاجا حيا ، أما الأناشيد المتكلفة فهى تموت على أثر القائها . ومن الخطأ المبين ما كان يقال من أن الشعب المصرى ميال بطبعه الى اللهو فهو لا يقبل على انشاد جدى فهذا هو الشعب كما نراه اليوم يسبق الفنون فى حماسه وقوته ، وهى تحاول أن تلحق به .

ويماثل عبد الوهاب فى الغناء والموسيقى ، أحمد رامى فى النظم والتأليف فهو يسجل خفقات القلوب ويتتبع الأطيار على الأشجار ولكنه ظلم نفسه بـ « نشيد الشباب » الذى وضعه أخيرا وغنته أم كلثوم ، والذى يبدأ هكذا :

نادى المنادى يا شباب لبوا الندا   ردوا العدا عن الوطن

ثم يعظ هكذا :

تضامنوا الشرق يدعوكم الى طرد العـــدا

تعاونوا الله يهديكم الى نور الهدى

ثم يختتم بإرسال الحكمة هكذا :

من عاش منا فاز بالعيش الرغيد .

ومن يمت مجاهدا مات شهيد .

كلام عادى فاتر ، وتهبط الحرارة عن درجـة الفتور عنـدما يأمر بالتعاون ليهدى الله الى « نور الهدى » .

وأم كلثـوم هى التى تنطلق قوية مثيرة لو قدم لها المنظوم القوى النابض بالحياة ، وهى التى تستطيع أن تدك تل أبيب ب « وصلة » واحدة ... ولكنها لا تغنى الا ما تلفقه من شعر شوقى ، وما يوضع لها خائرا واهنا ، وهى تكثر من ترديد أغانيها القديمة ، مثل أغنية « فضلت أصالح فى روحى » التى غنتها فى حفلة بور سعيد التى أقيمت للترفيه عن جنود الجيش ، والتى لم تغن فيها شيئا جديدا مناسبا للحال الحاضرة . ولست أدرى الى متى تفضل تلك المصالحة لروحها .. ؟

الرســـالة ــ ١٩٤٨/٧/١٩

على طريقة طه حسين

بدا لى أن أكتب فى هذا الموضوع الذى تستطيع أن تقول انه ليس موضوعا ، وانما هو بحث عن موضوع . وسواء اتفقنا على أنه موضوع أو أنه غير موضوع أم لم نتفق على شىء من ذلك فالأمر الذى لا شك فيه أنى دفعت الى الكتابة فيه دفعا وحملت عليه حملا . فأنا أريد أن أملأ هذه الصفحات الثلاث التى أملؤها كل أسبوع ، والمطبعة تريد أن تملأ أيضا ، والقراء ينتظرون أن يقرؤوها أو بعبارة أخرى يريدون أن يملؤوا هم أيضا فراغهم بقراءتها .

كتبت من هذه الصفحات الثلاث (باب الأدب والفن) ما كتبت ، ثم رجعت الى ما كتبت ، وقسته الى ما تعودت أن أكتب كل أسبوع ، فوجدته أقل منه بحيث لا يسد الفراغ ، ولم أجد عندى ما أكتبه ، أو قل لم أجد أدبا ولا فنا ولا شيئا يصح أن يقال عنه انه أدب أو فن أو شبيه بالأدب والفن من قريب أو من بعيد .

هذه الصحف وهذه المجلات ، يومية أو أسبوعية وشهرية ، يحررها محرروها ويكتبها كاتبوها فى هذا الحر الشديد ، لأنها لا تتوقف عن

الصدور فى الصيف كما لا تتوقف عن الصدور فى الشتاء . تقرأ هذه الصحف وهذه المجلات حين يصبح الصباح وحين يرتفع الضحى ، وحين يقبل المساء ، فلا ترى فيها أدبا أو فنا أو شيئا من قبيل الأدب والفن يترك فى نفسك أثرا أو صدى بعد قراءته ، ويظل عقلك فارغا من هذا الأثر وهذا الصدى كما كان قبل هذه القراءة .

وهذه القاهرة تكاد تخلو أنديتها وهيئاتها الثقافية الرسمية وغير الرسمية ، تكاد تخلو من كل نشاط أدبى أو ثقافى فى هذا الصيف كما تعودنا أن نراها كل صيف .

قلت لصاحبى : ماذا أصنع فى هذا الموضوع ؟ فقال فى شىء من الانكار : وهل هو موضوع ؟ فلم أجد مناصا ولا مفرا ولا بدا من أن أتمثل بهذا البيت الذى طالما تمثلت به قبل الآن وسأتمثل به كل آن .

أيتها النفس أجملى جزعا ان الذى تحذرين وقد وقعا

وأكبر الظن أن أوس بن حجر حينما قال هذا البيت فى رثاء فضالة الأسدى لم يكن يخطر له على بال ولم يكن يدور له فى خلد أننى سأتمثل به حينما أقع فى أزمة الأدب والفن فى هذا الأسبوع .

الرســـالة ـ ١٩٤٨/٨/٢

احتـلال الأوبرا

يظهر أن المهزلة التى تمثل سنويا على مسرح الأوبرا ـ ستتابع فصولها فى الموسم القادم ... أعنى الفرق الأجنبية التى تجلب من أوروبا كل عام لتسلية (الخواجات) والترفيه عن أبناء الذوات ... فتحتل المسرح القومى أكثر الموسم بعد أن تجلو عنه الفرقة المصرية وهى أحق به .

فقد قال مراسل الأهرام من باريس أن الأستاذ سليمان نجيب بك مدير دار الأوبرا الملكية وصل الى باريس وصرح له بأنه سيدعو الى مصر بين شهرى يناير ومارس القادمين ، فرقة مونت كارلو لمدة ١٥ يوما ، وفرقة الأوبرا الايطالية لمدة أربعين يوما ، كما أنه سيدعو اليها بيار بلانشان لمدة شهر مع فرقة تمثل خمسا من رواياته . ويضيف الى ذلك أنه يرجو أن يوفق لارسال فرقة الكوميديا المصرية الى فرنسا وانجلترا فى مقابل الفرق الأجنبية التى تستقبلها مصر .

وأنا أسأل أولا : ما هى فرقة الكوميديا المصرية التى يرجو أن يبادل بها ... ؟ هل عنـدنا فرقة بهذا الاسم ؟ ان كل ما لدينا هى الفرقة

المصرية التى تشرف عليها وزارة الشئون الاجتماعية وهى ليست كوميدية، والفرق الأخرى معطلة بفضل هذه السياسة التى منها استجلاب الفرق الأجنبيـــة ٠

المسألة ليست الا ســترا للموقف بتسميتها « تبادل فرق » فقد استنكر الرأى العـــام فى السنة الماضية الاستمرار فى استيراد الفرق الأجنبية ، وحمل عليه النقاد حملات موفقة ، وكان لنا فى ذلك مشاركة ٠ فأريد اتقاء الشعور العام بهذا « الرجاء » وقد تطورت ظروف البلاد بعد ذلك حتى صرنا الى حال لم يكن يصح فيها أبدا مجرد التفكير فى شىء من هذا الذى يزمعه مدير دار الأوبرا ٠ وقد قال النقاد وقلنا فى العام الماضى ٠ والجديد الآن أننا نحارب فى فلسطين ـ نقاتل ونهادن وندفع العدوان ونستأنف القتال ـ وهذا يقتضى تجنيد الجهود والأموال لمواجهة الجهاد ، ولهذا نلغى الحفلات الرسمية ونستغنى عما يماثلها من الكماليات وقد وقفت دول الغرب ضد قضية العروبة ، وهذا يقتضى أن نقف منهم موقف الحزم الذى لا يتفق معه أن ندعو فرقهم لاحتلال مسرحنا القومى ، ولا يكفى اختصار المدة المعتادة ، لأن الذى يدعو الى هذا الاختصار هو الذى يدعو الى الاستغناء التام ٠

أرانى أخذت فى بيان ما هو ظاهر بالبداهة ٠٠٠ وانى والله لأخجل أن أرى فى بلادنا وفى هذه الظروف التى نحن فيها ، تلك الفرق التى يراد قيادتها الى مصر فى الموسم القادم ٠

الرســـالة ـ ١٩٤٨/٨/١٦

الألفاظ الأجنبية بين الأمس واليوم

نشرت مجلة الاصلاح الاجتماعى مقالا لأستاذ الجيل أحمد لطفى السيد باشا ، عنوانه « موقف العربية من الألفاظ الأجنبية » وهو من مقالات معاليه القديمة التى كان يكتبها فى أوائل هذا القرن ، قالت المجلة انها تنشره للوقوف على آراء قادة الفكر فى مطلع النهضة الحديثة ٠ أثار أستاذ الأساتذة فى ذلك المقال قضية لا تزال من قضايا اليوم ، فقد دعا الكتاب أن يتساهلوا فى قبول الألفاظ الأوروبية «كالأوتومبيل والبسكليت» ويدخلوها فى الاستعمال الكتابى كما أدخلها الجمهور فى المخاطبة قائلا بأن اختراع أسماء تستعمل فى الكتابة وحدها يوسع مسافة الفرق بين لغة الكتابة ولغة الكلام ٠ والطريف فى نشر المقال فى هذا الوقت أنه يتضمن وجهة نظر تغير أساسها الآن تغيرا تاما ، فما كان معاليه يدرى ـ اذ ذاك ـ أن « السيارة » ستجرى على ألسنة الناس أكثر وأسهل من

« الأوتومبيل » اذ قال : « نشر مجمعنا اللغوى رحمة الله عليه أن الأوتومبيل (بالأفرنكى) اسمه (بالعربى) سيارة • فاذا قلت لواحد من أهل العلم (جاءت سيارة) فهم من ذلك أنك تخبر عن جماعة من الناس سائرين أو عن أحد الكواكب فأما فى العرف الفلاحى فالسيارة هى الهيئة المؤلفة من جماعة الفقراء أبناء الطريق يحملون لواء طريقتهم وطبولها وبازاتها لينتقلوا الى مولد من الموالد ، هذا هو ما أظن أهل القاهرة يعبرون عنه (بالاشارة) فان قلت لخادمك جىء بسيارة فتح لك فاه ووقف ينتظر تعريبا للسيارة حتى تقول له جىء (بأوتومبيل) ••

وما كان معاليه أيضا يعلم وهو يترحم على المجمع اللغوى القديم ـ أنه سيصير رئيسا للمجمع اللغوى الحالى الذى يسير فى نفس الطريق فيستبدل بأمثال « الأوتومبيل » أمثال « السيارة » •

وبعد فلا تزال القضية ـ كما قلت من قضايا اليوم ، بل هى من المعضلات ، فليست كل الأسماء (كالأوتومبيل) والسيارة فثمة كثير من الكلمات الأفرنجية لا تزال نستعملها فى الكتابة وقد تعبت الأقواس فى حراستها •• وكثيرا ما تستأنس فتترك بلا أقواس • وقد وضع المجمع اللغوى كثيرا من الأسماء لمسميات حديثة ، ولكن الكتاب حتى أعضاء المجمع منهم لم يلتزموها فى كتابتهم فلم نر أحدا منهم كطه حسين أو أحمد أمين أو المازنى يكتب المسرة أو المشن بدل (التليفون والدش) وهل يعبر الدكتور أحمد زكى عن تحليل الكحول (بالحلكحه) ؟

والفئة الصابرة فى هذا الميدان هم أطفال المدارس وتلاميذها ، وهم وحدهم المكلفون بتنفيذ قرارات المجمع اللغوى ••• فالطفل فى السنة الأولى الابتدائية لابد أن يكون جملا تشتمل على « السحاح » و « والأبزن » و « المشرجع » وهو حين يشب عن الطوق ويقرأ لكبار الكتاب لا يجد هذه الكلمات وأمثالها فيما يقرأ ، فينفض يده منها كالمعلومات التى يمتلىء بها ليفرغها فى الامتحان •

وقد تقول ان بعض الكلمات التى لا نستسيغها الآن ، قد تسير كما سارت السيارة وكثير غيرها ، ولكن هذا لا يكون الا فى الكلمات التى يقبلها الكتاب ويمنحونها الحياة بأقلامهم • ولا شك أن للكتاب عذرهم فى استعمال الأسماء الأجنبية التى لم توضع لها أسماء عربية موفقة ، أو لم يوضع لها شىء البتة • وأنا لا أرى أحدا يستطيع أن يصف غرفة من الغرف الحديثة فيسمى كل محتوياتها بأسماء عربية صحيحة ، ويؤلف من ذلك ـ ان استطاع ـ كلاما يقبله الذوق المصرى • وهذا مثل واحد ، وغيره كثير •

وما أحسبنا الا متفقين على ضرورة المحافظة على سلامة التعبير العربى، وقبول ما يوفق فى وضعه من الأسماء للمسميات الحديثة ، بطريق وجود الاسم فى اللغة ، أو بالاشتقاق أو النحت أو التعريب ، ومن التوفيق فى وضع الاسم أن تقبله الأذواق ، ولا يكفى اقرار المجمع اياه ٠ والمشكلة فيما عدا ذلك من الأسماء الأجنبية أفنقبلها كما هى ٠٠ أم ماذا نصنع ؟

الرســـالة ـ ١٩٤٨/٨/٢٣

صـــانع البـــؤس

نشر أن لجنة ألفت لاحياء ذكرى عبد الحميد الديب ، فقررت جمع ما قيل فى حفلة تأبينه وطبعه فى كتاب ، وطبع ديوانه ، واقامة حفلة للاحتفاء بذكراه ٠ ونشرت بعض الصحف أخيرا كلمات حث فيها أصحابها على الاهتمام بهذه الذكرى ٠ وفى كل ذلك ، وفى كل مناسبة يذكر فيها عبد الحميد الديب ، يصفه القائلون والكاتبون بالشاعر البائس ، وينحون باللائمة على مصر لاهمالها اياه ، وذهب بعضهم الى أنه أهمل حيا وميتا ، وهم لذلك يرمون هذه الأمة بالقسوة والجحود لعدم عرفانها أقدار النابغين من أبنائها ٠

قيل كل ذلك ، وقيل مثله فى حفلة التأبين الماضية ، وسيدور حوله المحتفون بالذكرى فى الحفلة المزمعة ٠٠٠ فهل كان عبد الحميد الديب بائسا ؟ أو بتعبير آخر : هل ظلمه المجتمع وحرمه نعمة العيش الرخى ؟

انما يأتى البؤس والحرمان من التعفف مع عدم القدرة على الارتزاق، وقد كان الديب على عكس من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ٠٠٠ اذ كان من العفاة السائلين ، وكان ذا حيلة فى هذا المضمار تدر عليه الكثير من العطاء ، وكان يعاونه على ذلك أصدقاء ، منهم من هو معجب بشعره ، ومنهم من يتفكه بتصرفاته ومفارقاته ، وكان بعض هؤلاء لا يبخلون عليه بما يملكون ٠

وكثيرا ما هيئت له أسباب العمل ، فقد وظف عدة مرات فى التدريس بمجالس المديريات وطالما دعى الى التحرير بالصحف والمجلات ، فكان يبدأ العمل وينقطع عنه بعد قليل ، وفى بعض الأحيان كان يحتال لأخذ المرتب مقدما ، ثم يذهب ولا يعود ٠

وكان له زملاء فى أول العهد قاسموه التسكع فى الحى الحسينى وكانوا يسمونه « الحى اللاتينى » ، ولكنهم أخذوا بأسباب العمل ، ومنهم

الآن صحفيون ناجحون ذوو دخل كبير · ومما يروى من نوادرهم معه فى عهد البؤس أن أحدهم ـ وهو الآن صحفى معروف يكسب حوالى مائة جنيه فى الشهر ـ نازع الديب عددا قديما من جريدة الأهرام ، اذ أراد كل منهما أن يهيىء به فراشا على (الرصيف) فى حرم المسجد الحسينى، فاقتسماه ، ولكن القسمة لم تحسم الخلاف ، فقد تمسك كل منهما بأن يأخذ الجزء الذى فيه « افتتاحية » العـدد ··· وكانت موقعة اسمها « معركة الافتتاحية » ، ويظهر أن الذى ظفر بهذا القسم غريم الديب ، فقد كان له فألا حسنا ، اذ صار بعد ذلك يكتب الافتتاحيات ·

وكان الديب يقضى حياته الخاصة فى الظلام يعاشر فيها أنواعا منحرفة من أخس الآدميين ، وكان ينفق على هؤلاء ومعهم ما يجمعه من هنا وهناك · فهو يبدأ الجولة بقصد احدى القهوات الكبيرة ، حيث يلقى بعض الأدباء والمياسير ممن يعطفون عليه ، فيسمعهم من شعره ، وقد يطرفهم بنوادر من شئونه الخاصة معرضا بحاجته ، وقد يتعرض بخرق كبير فى (البنطلون) وبروز أصابع القدم من الحذاء ، وقد ينشد مدحته لأحد الجالسين ، ثم يخرج عامر الجيب الى حيث يفرغه فى تلك البيئات المنحطة ··· ثم تنتهى الدورة بفترة البؤس الذى صنعه بتلك المقدمات !

ولم يكن وفيا للمغدقين عليه ، بل كان ينثنى عليهم بالهجاء ، بعد أن قدم المدح على العطاء ··· ومن غريب أمره أنه كان يهجو على قدر العطية ··· وكان يعرف ذلك منه المرحوم أنطون الجميل باشا فكان لايعطيه فى المرة الا (شلنا) ويقول : لا أريد أن أستكثر من الشتم · ولعل هذا هو الذى أوحى اليه نوعا طفيفا من المدح : بضعة أبيات لا يغالى بها فى مدح الممدوح ، وكان يسمى هذه المدائح « الشلنات » نسبة الى ما يرجوه من ورائها · وكان يطلق لسانه ـ حديثا وشعرا ـ على كل من يحسن اليه ، قيل له : أهج فلانا · فقال : ولماذا أهجوه وهو لم يحسن الى ولم يعطنى شيئا ؟ ورآه أصحابه مرة مقبلا عليه فى تيه وكبرياء ، فقالوا انه لابد أن يكون فى جيبه ـ على الأقل ـ عشرة قروش ··· فلما سألوه فى ذلك ، قال أنى لى ··· وهل يترك معى كامل الشناوى شيئا يا أستاذ ·· ؟ والأستاذ كامل الشناوى معروف بعطفه عليه واهتمامه بأمره ··· وشاهده بعض أصحابه فى ثياب رثة ، فقال أحدهم ، وهو الأستاذ محمد مصطفى حمام : يعز علينا أن يكون الديب عارى الخلف ، لا من (بنطلون) بل من (جلباب) ، وتطل أصابع قدميه لا من (جزمة) بل من (بلغة) ، فهلموا نوارى سوأته ··· وأحضروا له ثيابا نظيفة وحذاء جيدا ، فأخذها وذهب ، وبعد برهة عـاد اليهم مزهوا فيها ، ونظر اليهم شـذرا ··· ثم قال :

ألا تروننى وجيها يا كلاب ٠٠ ؟ ولم يكن يليق بهذا السؤال فى هذه الحال الا جواب واحد : بلى يا ذئب ٠

ولم يشذ الديب عن الجزاء الوفاق بهجاء من يحسن اليه ، الا مع معالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة باشا ٠ قال لى الأستاذ محمد مصطفى حمام : مدح الديب دسوقى باشا بقصيدة جيدة منها :

ولـو هيأتمو للـديب رزقا لكان بحمدكم صلى وصاما

وما لى لا أرود حمى رحيبا تكنف حافظـا ورعى حماما

وصحبته الى معاليه ، فأنشده اياها ، فأعطاه خمسة جنيهات (من جنيهـات ما قبل الحرب) ، وحقيبة كبـيرة ملأى بالملابس ، وأحاله الى (الترزى) ليصنعها على قده ٠٠ فكاد يجن من الفرح وراح يقارن بين حاتم الطائى وبين دسوقى باشا مقارنة انتهى فيها الى أن الأول أسطورة كاذبة والثانى حقيقة ماثلة ٠ ووالى انشاء المدائح فيه ٠ ولكن « الذئبية » أدركته مرة ، فقال أبياتا أولها :

أبلغ أباظة عنى انهم ورثوا مالا ولم يرثوا دينا ولا خلقا

وبلغت الأبيات دسوقى باشا ، فابتسم ، ثم استدعاه ، ونفحه نفحة أخرى ، وقال : ان يكن قد هجانا ، فانى أكافئه على الشعر الجيـد ٠ فاستمر يمدحه بعد ذلك ٠

هذه هى الحقيقة فى حياة عبد الحميد الديب كما يعرفها خلطاؤه لا كما يحلو لبعض الناس أن يصورها ، فلم يكن البؤس يأتى اليه قدرا لا يد له فيه ، وانما كان هو يصنع البؤس صنعا ، وكان يحصل على المال بتلك الوسائل ويبذره تبذيرا فى أدنأ الوجوه ، وفى أقذر البيئات ، ثم يجـوع ويعرى بصنعه ٠٠٠ وكانت تعوزه الكرامة والاباء والعفة ليكون بائسا حقيقيا ٠ وكان لا يتحرج من أية وسيلة للاستفادة المادية ، ولا يتورع عن أية شتيمة ، ولم ينج من هجوه أحد ممن عرف سواء أعطاه أم منعه ٠ وقد صب جام هجائه على جميع الأدباء بقوله :

يا رجال الشعر والقول الرصين لعن الله أباكم أجمعين

أما النـاعون على هـذا الوطن جحوده واهماله النـابغين من أبنائه فليلتمسوا المثال فى غير عبد الحميد الديب ، ويعفوا التاريخ من التزوير والتزييف ٠

وأما الذين يحبون أن يصوروا الأديب أو الفنان انسانا منحلا منفكا متحللا تائها شاردا ... فليعفوا الأدب والفن مما يحبون .

الرسـالة ـ ٤/١٠/١٩٤٨

سر الحاكم بأمر الله

مسرحية تاريخية ، ألفها الأستاذ على أحمد باكثير ، وأخرجها الأستاذ زكى طليمات ، ومثلتها الفرقة المصرية على مسرح الأوبرا فى مفتتح موسمها التمثيلى . وتدور القصة حول الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى ، وتصور شذوذ وغرائب أفعاله ، والحادثة الهامة فيها أو « العقدة » هى ادعاء الحاكم بأمر الله الألوهية ، وقد تخيل المؤلف ـ لكشف سر هذا الادعاء ـ أن « المجمع الفارسى » بعث جماعة على رأسهم رجل اسمه حمزة الزوزنى ، للعمل على هدم الدين الاسلامى فى مصر ، فراقب حمزة الحاكم حتى ألم بأحواله وعرف أنه يروض نفسه على الحرمان من طيبات العيش والتخلص من الرحمة وسائر العواطف الانسانية التى يسميها ضعفا بشريا ، فيتصل به ويوهمه أنه اله ويستعين على ذلك بتلفيق كتاب يدعى حمزة أنه مخطوط قديم ورثه عن آبائه وينبىء الكتاب بظهور ملك فى مصر يحل فيه روح الله ، وتنطبق أوصافه على الحاكم بأمر الله ، فيضطرب الحاكم أولا ثم يقتنع بأنه اله ، ويتخذ حمزة رسولا له .

وتسير الحوادث على هذا الخط حتى يفتضح أمر الفارسى بوقوع رسالة آتية اليه من المجمع الفارسى فى يد الحاكم بأمر الله ، فتتكشف له الحقيقة ويكفر بنفسه ..

ويبدو للمتأمل أن المؤلف لا يريد بيان سر الحاكم بأمر الله ، وانما يرمى الى تحليل شخصيته ، فتخيل خداع الفـارسى للحاكم لا يتجه الى حقيقة تاريخية ، من حيث ابداء رأى تاريخى فى الباعث للحاكم على ما كان منه ، وانما هو حبكة مسرحيـة غايتها خلق المواقف وترتيب الحـوادث للوصول الى تصوير هذه الشخصية الغريبة وبيان ما أحاط بها ، واستغلال كل ذلك فى تقديم فن ممتع .

هذه هى غاية القصة كما أفهم ، وقد وصل فيها المؤلف الى درجة لا بأس بها ، فقد صور الصراع بين الحاكم بأمر الله وأخته ست الملك ، وصور الصراع بين الحاكم وبين نفسه ، ووجه طاقته الى ابراز الأحاسيس وخوالج النفوس ، فنجح فى كل ذلك ، وان كنت ألاحظ أنه عزز جانب الألوهيـة وقوى حجة ما سماه التخلص من الضعف الانسانى ، فأظهر

ـ مثلا ـ الحاكم بأمر الله فى ذبحه الغلام بمظهر الفيلسوف المنطقى ، وكان لابد من عمل شىء للسخرية من هذا المنطق . ومن ذلك أيضا الحجة الدامغة التى أجراها على لسان حمزة الزوزنى عندما رد على الرجل الذى اعترض على الحاكم لأنه يسأله ويجب أن يكون عالما بما يسأل عنه ان كان الها حقا ... رد حمزة بأن الله يسأل عباده يوم القيامة عما فعلوا بدنياهم وهو عالم به .

وحقا أن الشعب المصرى كان اذ ذاك ضعيفا مسكينا مسالما ، ولكن لم ابراز ذلك على المسرح والتنويه به على أنه صفة دائمة له وفضيلة راسخة فيه ؟

وتنتهى المسرحية بختام يبدو غير طبيعى ، فان ست الملك أخت الحاكم بأمر الله التى كانت تقاوم جبروته وتعمل على أن ترده الى صوابه ولما يئست منه دبرت قتله ـ تلتقى به فى خلوته بجبل المقطم فيجرى بينهما حوار يبدى فيه الحاكم ندمه ويستغفر ربه ويطلب منها الصفح عما بدر منه فى حقها ، وكان هذا يقتضى أن ترق له وتحول دون تنفيذ القتل بعد ما بان لها صلاح أمره . ولست أدرى هل المؤلف هو الذى جعل الحاكم يصحح موقفه أمام أخته ثم تقتله ، وهى عنصر خيرفى الرواية ، أو حدث تعديل هذه النهاية فى الاخراج ليكسب يوسف وهبى (ممثل الحاكم) محبة الجمهور وعطفه ... ؟

ويدل الاخراج والتمثيل على الكفايات المختلفة التى تضمنها الفرقة المصرية الآن ، وقد أعجبتنى بل أطربتنى أن ممثلى الفرقة ينطقون اللغة العربية نطقا طبيعيا كأنها اللغة اليومية العادية ، فلا تكلف القاء ولا نبرات خطابة ولا تعثر فى التلفظ ، وهذا شىء آخر غير النطق السليم فلا تخلو الحال من بعض الخطأ فى الضبط مما لا يسلم منه لسان . وقد أثبتوا أن الفصحى هى لغة المسرح الراقى وأنها تفى بكل أغراضه حتى التهكم والتفكه ، وقد برع فؤاد شفيق فى ذلك حتى تكاد عربيته تقطر ظرفا وفصاحة . أما رنين جرس العربية على ألسنة الممثلات فهو المطرب حقا . ولله در أمينة رزق . فهى عروس هذه المسرحية ، وقد أدت دور « ست الملك » فأجادت فى مواقفه المختلفة ، وخاصة عندما دخلت على الحاكم مع قواد الجيش ، وطعنها الحاكم فى شرفها ، فمثلت الانفعالات النفسية أدق تمثيل . وأعتقد أن أمينة رزق أجدى على اللغة العربية من المجمع اللغوى . وهى فى ذلك قوة لا يستهان بها ولا تقل عن أم كلثوم فى غناء شعر شوقى .

وقد تعاون المؤلف والممثل (يوسف وهبى) فى تصوير شخصية

الحاكم بأمر الله وتحليل نوازعه . وقد تحول يوسف وهبى فى هذه المسرحية ، عن طريقته المعروفة ، تحولا محسوسا ، وذلك لطبيعة الدور ، فهو يمثل شخصية جبار متأله يتكلم فى رقة ممزوجة بالاستخفاف لأنه يملك كل شىء ولا يحتاج الى العنف والتهريج ، وقد كان يوسف وهبى يكتسح ويتغلب بالكلام والصياح، أما الآن فهو يطيح بالرؤوس ويزهق الأرواح وهو هادىء وديع رقيق ، ولماذا يصخب وهو القادر على كل شىء ؟

وهذه هى طبيعة الموقف ولا شك . ولكن لم لم يستخدم يوسف وهبى أو الحاكم بأمر الله قدرته فى « تكبير » الممثلة الفتاة التى مثلت « أم الحاكم » ؟ لقد كانت تسرع الى حضنه رشيقة لفاء خفيفة الحركة .. له فى ذلك حكمة .

والغلام الذى أتى به الى الحاكم ليذبحه فى أثناء رياضته للتخلص من الضعف البشرى — لم يكن يشبه ابنه عليا كما اشترط ذلك امعانا فى الرياضة ، ولم يكن يشبهه تمام الشبه كما قال عندما شاهده . وأظهر فرق بين على وبين الغلام (مرجان) أن الأول أبيض والثانى أسود فاحم ، وقد مثل الاثنين بنتان ... وكان صوت على صوت بنت هى التى مثلته .

وثمة كلمة أخيرة يقتضيها انصاف المؤلف ، فقد نشرت الاعلانات عن الرواية بالصحف والمجلات وعلقت بالجدران وأظهر ما فيها اسم يوسف وهبى وصورته فى دور الحاكم بأمر الله ثم اسم زكى طليمات مخرج الرواية . أما المؤلف فلم يبد اسمه الا فى بعض الاعلانات .. فى الآخر وب (بنط صغير) ... حتى الاذاعة ... لما أذاعت الرواية لم تكتب فى برنامجها اسم المؤلف .

وأذكر أن يوسف وهبى أعلن أنه يمد يده الى الأدباء ليعاونوه بالتأليف على النهوض بالمسرح ، فهل هو يمد يده الى الأدباء ليبتلع انتاجهم ويطوى أسماءهم ، ويأكل لحمهم ويرمى عظامهم ؟ ...

الرسالة — ٨/١١/١٩٤٨

أساطين الاذاعة

قام الأستاذ محمد قاسم بك المدير العام للاذاعة المصرية ، برحلته فى أوروبا وزار محطات الاذاعة فى روما وباريس ولندن وقد عاد أخيرا من هذه النزهة الاذاعية » ونشرت مجلة الاذاعة المصرية حديثا له عن رحلته وما أفاد من جولاته فى دور الاذاعة الأوروبية فكان من أهم المسائل

التى تناولها الحديث بل أهمها مسألة الكفايات المطلوبة فيمن يشرفون على الاذاعة ، قال : « ان مسألة الآلات والبرامج وما الى ذلك من الأمور التى تخطر على الذهن عادة ، انما تأتى فى المرتبة الثانية من الأهمية ، بعد أن أدركت أن المسألة الرئيسية فى تنظيم الاذاعة هى اختيار الرجال الأكفاء للاشراف على أعمال الاذاعة المختلفة ، وتحملهم المسئولية الكاملة فى ادارة الأقسام أو الادارات التى يعهد اليهم بها » ٠

وهكذا عرفنا أن « النزهة الاذاعية » لم تكن عبثا ٠٠٠ فقد استفاد سعادته منها حقيقة مهمة فى مسألة الإذاعة الرئيسية ٠ وأعترف أنى يوم تساءلت عن فائدة هذه الزيارات وقلت ان البرامج يمكن سماعها فى مصر ـ كنت غافلا عن أن زيارة سعادته ستتيح له الوقوف على أن المسألة المهمة هى اختيـار الأكفاء لادارة الاذاعـة ٠٠٠ ولا اعتبار لما قد يقوله المحرومون من أمثال هذه النزهات من أنه يمكن معرفة ذلك فى مصر ، وهو شىء لازم لكل عمل لا للاذاعة فحسب ، لا اعتبار لذلك لأن الحقائق المتعوب فى الحصول عليها وجلها من وراء البحار غير التى نصل اليها هينة بالبداهة فى مصر ٠٠

ثم لندع هذا وندخل فى صميم المسألة الرئيسية فى الاذاعة ، وهى اختيار الأكفاء ، فيفهم من كلام المدير أن اذاعتنا ينقصها الأكفاء ، وهو مهتم بسد هذا النقص تطبيقا لمـا استفاده من الرحلة ٠٠ وان أريد الا مصلحة اذاعتنا التى نرجوها لخير البلاد ٠

يشرف على تنظيم الاذاعة ثلاثة ، هم المدير العام ، والمراقب العام ، والمراقب المساعد ، أما المدير العام فهو من رجال التعليم قضى دهرا فى وظائف التدريس ومناصب التربية عرف فى خلاله بالخلق والكفاية ، ولم تعرف له مشاركة ولا انتاج فى الأدب والفنون ولا ملابسة لشىء مما يتصل بالاذاعة التى تولى ادارتها أخيرا ٠

وأما المراقب العام فهو ذو ثقافة تجاربه متوسطة ، نشأ فى محطة الاذاعة موظفا كتابيا صغيرا ، وقد وصل مرتبه أخيرا الى حوالى سبعين جنيها ٠ وكان يحاول أحيانا أن يعزز مكانه ببعض نشاط اذاعى لم يوفق فيه بمقدار ما وفق فى التقرب من الرؤساء ٠٠٠

وأما المراقب المساعد فهو من اخواننا الشعراء ، يقول الشعر على نحـو يسرح به مع عرائس الخيال ويبعده عن التمرس بفنون الاذاعـة وأداتها ، ويشكو الأدباء المتصلون بالاذاعة من بعض تصرفاته ٠

أولئك هم أساطين الاذاعة المصرية الذين يشرفون على تنظيمها ويوجهون دفتها ، وأنا لا أغمط أقدارهم ، وانما أقول ـ بعد أن بينت من صفاتهم ـ أنه حين ينظر فى « المسألة الرئيسية » للاذاعة يجب أن يشملهم النظر .. فلا ينبغى أن تظل الاذاعة فى مصر محرومة من كفايات أبنائها متخلفة عن نواحى النهوض فيها ، وهذه وسائل الاتصال الثقافى والفنى بالجمهور فى مصر قد ارتقت وتقدمت تقدما كبيرا جذب اليها أنظار الشقيقات العربيات ، وأصبحت فيها مثلا تحتذى ، وذلك على عكس الاذاعة فان الاذاعات العربية الأخرى أرشد من اذاعتنا ، وما أحوجنا الى احتذائها فى كثير .

ومما يدعو الى الأسف أن الاذاعة المصرية على تلك الحال ومصر تزخر بالعناصر والجهود الفكرية والفنية التى لم يتح للاذاعة الى الآن أن تستفيد منها ، لا فى تنظيم الادارة ولا فى استغلال المواهب . ومما يضاعف الأسف أن ذلك واقع مع أهمية الاذاعة وبعد أثرها ، باعتبارها أوسع أدوات التثقيف والامتاع الفنى انتشارا ، وأقدرها على التنويع فى تقديم الانتاج ، وأيسرها منالا للجمهور .

الرسـالة ـ ١٩٤٨/١١/١٥

مسلحة من براغ

نشرت احدى الصحف الأسبوعية لمراسلها من براغ ، أن اللغة العامية المصرية وغيرها من اللغات العامية بالأقطار العربية ـ تدرس فى كثير من جامعات العالم وفى جامعة براغ ، كما تدرس فيها اللغة العربية « الكلاسيكية » واسترعى انتباهى ما قصد اليه الكاتب من تعظيم شأن العامية على حساب الفصحى ..

وخاصة قوله :

« ويعتقد كثير من أعلام المستشرقين الأوروبيين أن اللغة الدارجة المصرية سوف تكتسح اللغة الفصحى وتحل محلها يوما ما فتصدر الصحف وتطبع الكتب باللغة الدارجة التى يتكلمها الشعب وتبسط الكتب الدراسية وتنال اللغة العربية نفس نصيب اللغة اللاتينية وحظها بعد أن تفرعت عنها اللغات الايطالية والفرنسية والأسبانية والبرتغالية » .

وأنبه أولا على أن هذا الكلام من « براغ » عاصمة تشيكوسلوفاكيا أو العاصمة الصهيونية الثانية بعد تل أبيب ... كأن لم يكفها امداد

اليهود فى فلسطين بالأسلحة والعتاد الحربى لمحاربة العرب ، فأراد دعاة الصهيونية هناك أن يصوبوا سهما الى لغة العرب الجامعة بينهم ، لتتحقق أحلامهم فى تفريق العرب ، فهذا حلم يبدو لهم جميلا ، وأى شىء أجمل لديهم من أن تنهزم العربية وتتقهقر لتحل محلها اللغات العامية ، ولكل شعب من الشعوب العربية عاميته ، فيصدر بها الصحف ويؤلف الكتب ، فتنال اللغة العربية نصيب اللغة اللاتينية ، وتنحل رابطة اللغة بين أقطار العرب ؟ ...

وذلك من غير شك سهم طائش ، وليس هذا أول كلام قيل فى هذا الموضوع ، فقد سبقته محاولات خائبة ، تتحد معه فى الغاية والمرمى ، وان كان لكل منها مصدره وباعثه ... فالغاية أن تنمحى اللغة العربية وتتفرع عنها لغات كالايطالية والفرنسية ... الخ ، والبواعث شتى ، فمن أعجمى لا يبين ، ومن عامى يريد أن يكون شيئا ، ومن متظاهر بالتقدمية الحمقاء ومن شاعر فى أحشائه بلذعة الفلفل من العروبة ... فيتبرد مرة بالفرعونية ، ويتذرع أحيانا بالعامية ... ثم جاءت الصهيونية فى آخر الزمن تريد أن تساهم فى هذه الخيبة ..

ولا شك فى حسن نية الصحيفة التى نشرت ذلك الكلام أو — على التدقيق — فى غفلتها ... وكان عليها أن تتنبه له ولبعض العاملين فى تحريرها من ذوى المحاولات القديمة الخائبة . ومن يدرى فقد يغزو صحفا أخرى مراسلون من براغ ..

ولتدرس جامعة براغ أو أى جامعة أخرى ما تدرس ، وليتعلم بها العامية نفر من أبناء بلادها أو غيرهم ، فهل هؤلاء هم الذين سيصدرون الصحف ويؤلفون الكتب باللغة الدارجة المصرية ويكتسحون ويفرعون ؟ . ثم من هم المستشرقون الذين يعتقدون أن اللغة الدارجة المصرية سوف تكتسح اللغة العربية الفصحى .. الخ ؟ لم يذكر لنا الكاتب اسم واحد منهم ، وأكبر الظن أن هؤلاء الذين سماهم « أعلام المستشرقين الأوربيين » اما أنهم صهيونيون واما أنهم أشباح تمثل أحلام ذوى المحاولات الخائبة والسهام الطائشة .

وبعد فكيف تنال اللغة العربية نفس نصيب اللغة اللاتينية ؟ لقد تفرعت اللغات الأوربية الحديثة عن اللاتينية القديمة مع النهضة التى قامت اللغات الجديدة بأعبائها، وكانت مظهرا من مظاهرها ، وهذا يختلف عن حال اللغة العربية كل الاختلاف ، اذ وسعت اللغة الفصحى النهضة العربية الحديثة واستقلت بها ، فهى لغة الآداب العصرية ولغة الكتابة

والتأليف فى سائر الفنون والعلوم ، أى أنهـا واجهت النهضة وقامت بأغراضها وعبرت عنها وأصبحت لغتها وانتهى الأمر ، فلم تخل مكانها لتحل محلها لغـات متفرعة ؟ أمن أجـل سواد عيون الوعول التى تكسرت قرونها ... أم لتحقيق أحلام الصهيونية فى تمزيق الأمة العربية ؟

الرســالة ـ ١٩٤٨/١١/٢٢

عزيزتى الآنسة أم كلثوم

قرأت فى أخبار اليوم أن محطة الاذاعة يتجه تفكيرها الى الاتفاق معك على أن تدفع لك ألف جنيه فى الشهر مقابل اذاعة أغنياتك المسجلة حسبما ترغب ، بدلا من أن تدفع خمسين جنيها عن اذاعة كل مسجل من هذه الأغانى .

ولم أتبين مقصد الاذاعة من ذلك ، أهى تريد الاقتصاد ... لأن عدد اذاعة المسجلات فى الشهر مضروبا فى خمسين جنيها يساوى أكثر من ألف جنيه ... أم أن حاصل الضرب أقل من ذلك وتريد زيادة التقدير أو تلبية رغبة فى الزيادة ؟

والواقع على أى حال أنها تدفع لك مبلغا كبيرا لا يقل كثيرا عن الألف فى الشهر مقابل أغنيات أخذت ثمن كل منها ثلاثمائة جنيه عند التسجيل .

وأنت تستحقين كل خير ، وفنك العالى لا يقدر بمال . ولكن محطة الاذاعة مسكينة (غلبانة) أعنى هؤلاء الفنانين والفنانات الذين يأخذ أحدهم مقابل الحفلة الغنائية خمسـة عشر جنيهـا يقاسمه فيها أفـراد « التخت » والمؤلف ، وأعنى الذين لا تعطيهم المحطـة أجرا على اذاعـة مسجلاتهم كما تصنع معك وحـدك ، وأعنى الذين تضيق بهم المحطـة ورجالها وان كانوا ممتازين فى فنهم ، وأعنى كل فكرة أو مشروع اذاعى نافع يقف فى سبيله ضيق الميزانية ، ثم أعنى هـؤلاء الذين يسعون لارضائك ويرضـخون لقوة شخصـيتك . فارحمى كل أولئك المساكين وكونى عادلة مقتصدة فى معاملة الاذاعة ، عامليها مثلا كشركة «بيضافون» التى كانت تعطيك ثمن التسجيل ، ثم تبيع (الاسطوانات) ولا يدفع اليك كل من يدير (اسطوانة) فى (الفنغراف) أى شىء .

يا كروان الشرق ، ان كنت تريدين المال فبعض هذا يكفي ، وان كنت تريدين اعلاء الفن فلست فى حاجة الى اعلائه ؟ فقد أعليته حتى

بلغت به سماء لا يطار لها على جناح ولا يسعى على قدم ٠٠ واعلمى أنك من الأعلام الخالدين وأنك لا تقلين ان لم تزيدى عمن خلدهن أبو الفرج فى « الأغانى » مع الفارق الذى به تفوقينهن ، من حيث ما أضفاه عليك روح العصر من استقلال الشخصية والكرامة العامة ٠

وأسألك بالله وبحق الفن ، أن ترأفى بحال الاذاعة ، فهى لك مطواعة ، وتبذل من أجلك ما فوق الاستطاعة ، وغيرك لا ينال الا بالشفاعة٠ وتفضلى بقبول تحيتى واحترامى ٠

الرســـالة ـ ١٩٤٨/١١/٢٢

بين مدير الاذاعة وأم كلثوم

لم يعد خافيا ما نشأ من خلاف بين الاذاعة وبين أم كلثوم فى شأن اذاعة مسجلاتها الغنائية ٠ ويظهر أن الأستاذ محمد قاسم بك المدير العام للاذاعة قد هالته طلبات أم كلثوم الباهظة فوقف فى سبيلها ٠ ومن هنا نشأت بين الاثنين معركة طريفة ، تستمد طرافتها من مظهرها ، فقد كتب الأستاذ محمد التابعى يدافع عن أم كلثوم ويقول باستحقاقها ما تطلب من مال ، ويهاجم شخص المدير ، ورد عليه الأستاذ عبد الرحمن الخميسى بمقال فى جريدة « المصرى » عنوانه « الأغانى فى السوق السوداء » وصف فيه الأستاذ التابعى بأنه صديق أم كلثوم ٠ ونشرت « البلاغ » مقالا بعنوان « الآنسة أم كلثوم تتقاضى أكبر مرتب فى الدولة » ثم نشرت « أخبار اليوم » مقالا هاجمت فيه مدير الاذاعة وحسبت ما يتقاضاه من الاذاعة ومن معاشه فى الحكومة فاذا هو ٣٠٦٠ جنيها سنويا على حين أن مرتب رئيس الوزراء ٢٥٠٠ جنيه فقط ٠

وكان مؤيدى أم كلثوم يقولون ليست هى وحدها التى تأخذ مالا كثيرا من الاذاعــة أو تريد أن تستزيد من المال ٠ ولكن هل هذا يبرر مطالبها ؟ انها الآن تأخذ من اذاعة مسجلاتها ٦٣٠٠ جنيه فى السنة وتريد أن تزيدها الى عشرة آلاف وثمانين جنيها ، وكل ذلك دون أن تبذل أى جهد ، ولكنها وجدت الاذاعة « عسلا » فتريد أن « تلحسها » كلها ٠

وعقدة الخلاف أن الاذاعة تحرص على رضاء المستمعين وعدم حرمانهم غناء أم كلثوم وهى تعلم ذلك فتغالى فى الثمن وتعلم أيضا مكان (خاطرها) من أعضاء مجلس الاذاعة ٠

ولولا أنى لا أريد أن أنتقل من الجد الى المزح لاقترحت أن ينقل أمر الاشراف على الاذاعة من وزارة الشئون الاجتماعية الى وزارة التموين ليعالج الأمر وزيرها الرجل العظيم صديق الشعب الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، فيضم مسألة الغناء الى مسائل السكر والصابون والصودا الكاوية ..

ولكنى ألزم الجد ، فأقول ان الأمر يتطلب الحزم والصرامة فى سبيل الصالح العام ، فحرام أن تبدد أموال الدولة ، والدولة فى حاجة اليها ، فهذه الأموال اما أن تكون الاذاعة محتاجة اليها فى تدبير شئونها كتحسين البرامج وانصاف الموظفين وغير ذلك ، واما أن تكون زائدة على حاجتها فعند الدولة لها ألف وجه ووجه .

الرســـالة ـ ١٩٤٩/٢/٢٨

مـوكب الأبطـال

يقول « مدرس أدب فى الأزهر الشريف » فى مطلع كتاب منه : « ما تزال دولة الشعر بخير ، فقد هزتنى قصيدة الشاعر على محمود طه فى أبطال الفالوجه التى نشرتها الأهرام فى عدد يوم الخميس ١٠ من مارس ، ولا ريب عندى فى أنك قد قرأتها ، وأنها قد هزتك ، وأن مثلها جـدير بأن يحظى باحدى تعقيبـاتك فى الرسالة ، سجل الأدب العالى وديوان الفن الرفيع . وانما حملنى على أن أوجه اليك هذه الكلمة ، حرصى على أن أسجل اعجابى بهذه القصيدة ، وقد مضى لى أن غمزت « أنشودة فلسطين » لصاحبها أيضا فى الرسالة الغراء ، حتى لا أكون مثل كاتب الشمال لا يحصى غير السيئات » .

ويقارن الأستاذ « مدرس أدب فى الأزهر الشريف » بعد ذلك بين هذه القصيدة وبين قصيدة أخرى لشاعر آخر فى نفس الغرض وفى نفس الجريدة وقد اصطنع أسلوبا لبقا فى استدراجى الى هذه المقارنة ، وكأنى به يؤلبنى على الشاعر الثانى ، اذ يقول فى نهاية المقارنة : « أرأيت ـ يا عباس ـ كيف يطغى بعض الشعر ، فيبدو شيطانا مريدا ، وكيف يتواضع بعض الشعر ، فيبدو ملكا كريما ؟ .. انى أترك لك الباقى » وهو يقصد بالذى يبدو شيطانا مريدا ، شعر أبى طه .. كما يعبر فى رسالته ، وما أخال الشاعر الآخر يسر بأن شعره ملك كريم فى هذا النظام . ويظهر أن الشيطان أليق بالشعر من الملك ..

أما بالباقى الذى يقول انه يتركه لى ، فهو على غير ما كان يتوقع ، فلست أرى داعيا لهذه المقارنة ، فلكل شاعر طاقته ومذهبه وأفقه .

أما قصيدة « أبى طه » فقد رآها القراء فى الأسبوع الماضى كاملة بالرسالة بعد أن أضاف اليها الشاعر ما استلهمه من مشاهدة أبطال الفالوجة يهرع الشعب الى الاحتفاء بهم وينثر الغيد طاقات الزهر فوق رؤوسهم ، ولابد أنها هزتهم كما هزتنى وكما هزت الأستاذ الأزهرى ، وحقا ما قاله فى رسالته : « واذا صح أن فى الشعر مواضع للسجود ، فان من هذه المواطن فى الصميم :

جن الحـــديد بأرضها وسمائها فجرى وطار ، تصيبه ويصيبها

شدت يد الفولاذ حول نطاقها حلقا تصيح النار : كيف أذيبها ؟

وقد تآخت فى هذه القصيدة قوة التركيب وقوة الروح ، فطابقت بذلك موضوعها الحماسى . ومما يستدعى الالتفات أن بنيانها القوى لم تتخذ لبناته من القوالب المرددة التى يلجأ اليها شعراء الجزالة . وأقول صادقا ، أو أعتقد اننى صادق اذ أقول : ان قصيدة « موكب الأبطال » من القليل فى أدبنا المعاصر الذى يجمع بين الديباجة العربية المتينة التى يظهر أثر الشاعر فى نسجها وبين نهج المدرسة الحديثة فى الشعر من حيث صدق التعبير والصدور عن الشعور الذاتى دون تقليد أو تزييف . ولعلها أول قصيدة للشاعر نفسه على هذا النحو ، فقد كان يؤثر قرب المنال من عامة القراء ، ولكن الموضوع فى هذه المرة حكم عليه أن يخلد البطولة المصرية فى الفالوجة بشعر يذهب مذهبها ومجاوزة المســتوى العادى . ولست أريد أن أفضل القصيدة على غيرها من شعر الأستاذ على محمود طه ، انما أنعتها بصفاتها ، فلا شك أن السهولة والرقة لهما مكانهما فى غزلياته وغرامياته .

وبعد فقد قام شاعرنا الكبير بحق البطولة على الشعر ، وجاءت قصيدته عملا ممتازا ، ينبغى أن ينظر فيه الشعراء الذين يؤثرون العزلة والهرب من المجتمع والانطواء على عواطفهم الشخصية وخيالاتهم البعيدة عن مضطرب الحياة . ونحن أمة لم تستكمل ضروراتها من الحرية والحياة الراقية المستقرة ، فاذا كان لشعراء أمم أخرى أن يعكفوا على ألوان مترفة من الشعور والتفكير فان ذلك لا يروج فى بلادنا ولا يناسبها فى هذه المرحـــلة من حياتها ، وأقل ما يرجى من الشــاعر أن يشارك مواطنيه مشاعرهم ويصدق فى التعبير عنها . وما أكثر من يستترون العجز بدعوى « التحليق » الذى لا يأتون منه بشىء ...

الرســـالة ــ ٢٨/٣/١٩٤٩

قلت فى العدد الأسبق من « الرسالة » بصدد الكلام على قصيدة « موكب الأبطال » للأستاذ على محمود طه : « وبعد فقد قام شاعرنا الكبير بحق البطولة على الشعر وجاءت قصيدته عملا ممتازا ينبغى أن ينظر فيه الشعراء الذين يؤثرون الهرب من المجتمع والانطواء على عواطفهم الشخصية وخيالاتهم البعيدة عن مضطرب الحياة ٠٠٠٠ » الخ .

قال لى صديق من الشعراء ، وقد قرأ ذلك : أتدعو الى شعر المناسبات ؟

شعر المناسبات ؟ تلك كانت قضية أثارها بعض الكاتبين منذ زمن ، فأزروا بمن يحملون أنفسهم على القول فيما لا يشعرون به بدافع المجاملة أو الملق أو حب الظهور أو غير ذلك من دوافع النظم الذى يخلو من حرارة التعبير الصادق .

ولكن قل لى بالله أيها الصديق : اذا جاءت مناسبة قومية أو اجتماعية فخالجت نفس الشاعر أو هزت مشاعره واستجابت لها شاعريته ، أتقول له : أمسك عليك لسانك فهذا شعر مناسبات ؟

المسألة ليست شعر مناسبات وغير مناسبات انما هى شعر صادق وشعر متكلف ، وكما يكون كل منهما فى شعر المناسبات يكون فى غيرها، فكم من شاعر يتملح بالوجد والحب والهيام وهو لا يعرفها غير ألفاظ .

حقا ان كثيرين من المتهافتين على مائدة الشعر يكثرون من التزييف فى المناسبات ، ولكن الصيرفى الحاذق يميز الصحيح من الزائف ، فلا يرفض النقود كلها لأن هناك مزيفين كثيرين .

الرسالة - ١٩٤٩/٤/١١

مدرسة حديثة فى فن القصة

لا تقر فضل الخير على الشر ، ولا تعترف بفارق بين الفضيلة والرذيلة ، ولا تميز الحق من الباطل ، أية نزعة من نزعات الانسان عندها كأية نزعة أخرى ، لا تقول للص يالص ، ولا تقول للبطل يابطل ، لأنه لا جريمة ولا بطولة ، فلكل عمل دوافعه ومقدماته ، وكل ما يأتيه الانسان أمر طبيعى لا ينبغى الحكم عليه ولا يجوز أن يستنكر .

هى مدرسة حديثة فى فن القصة ، ظهرت فى مصر ، وأعلنت صوتها يوم الأحد الماضى فى نادى رابطة الأدباء ، على لسان الطالب الأديب صلاح حافظ الذى ألقى محاضرة ، دعا فيها دعوة هذه المدرسة وأعلن ميلادها فى زهو ، وتظامن فبشر بزعيمها الجالس بجوار المنصة يبعد عن سيماء خجل التواضع .

والزعيم أو الكاتب القصصى الأول فى هذه المدرسة الحديثة ، هو الأديب محمد يسرى أحمد ، وأعلام المدرسة وأنصارها والمتحمسون لها يجتمعون فى واحد هو محاضرنا الأديب صلاح حافظ ، وهما طالبان بالسنة الثالثة بكلية الطب ، انهما يشرحان الانسان الحى كما يشرح الانسان الميت فى قصر العينى . هل يأبه الطبيب للقفازات أو يأنف من روائح الجثث ؟ كذلك كاتب القصة يحلل الانسان كما هو ويتغلغل فى أعماقه ليصورها كما هى ، فان قلت ان غاية الطبيب المشرح الوصول الى الحقائق العلمية قالت لك المدرسة الحديثة فى فن القصة أنها لا غاية لها ، فالكاتب يجب أن يبدأ القصة ويسير فيها مع الطبيعة لا يهدف الى شىء ، فان قلت ان الطبيعة لا تعتسف طريقها فهذا هو الفارق بين الطبيعة وبين المدرسة الحديثة .

يظهر أننى تأثرت بمذهب هذه المدرسة فى عرض الأشياء كما هى وابراز الانسان كما هو ، فانى أتحدث عنها كما هى ، واتماما للخطة أضربت فى هذا الموضوع عن استعمال علامات التعجب لأنهـا تدل على الانفعال وقد تشير الى الحكم . واستمر فى السير على هذه الخطة فأقول :

حدثنا المحاضر صلاح فقال ان المدرسة الحديثة قد اكتسحت كل ما عداها وأحرزت نصرا مؤزرا فى مسابقات القصة المختلفة ففاز يسرى بقصة فى مهرجان الشباب ، وبأخرى فى مسابقة الاذاعة ، وبثالثة فى مسابقة الثقافة العـامة ، وفاز هو ، أى صلاح ، بقصـة فى المسابقة الأخـيرة .

وليس هذا هو كل انتاج المدرسـة الحديثة ، فقد كان ليسرى فى مهرجان الشباب قصة غير التى فازت ، تحدث فيها عن حادثة غرام بين فنان وأخته وحلل العوامل التى جعلت بطل القصة يفتتن بمحاسن أخته ويستمتع بجسدها ثم يقتلها . ولم يعجب ذلك الاتجاه النفسانى فى فن القصة شيوخ الأدب المحكمين فى المسابقة ، فرفضوها ، وقال ان الأستاذ عبد الله حبيب قرأ هذه القصة ، اذ كان يعمل فى تنظيم المهرجان ، حتى وصل الى نهايتها وهو لا يشعر أن فيها جريمة ترتكب ، وانه دافع عنها أمام لجنة التحكيم (وقد سمعت أنا أيضا ذلك من الأستاذ عبد الله) .

وأنا ما زلت أتحدث على طريقة المدرسة التجريدية ، ولكنى وصلت الى نقطة أرانى فيها مضطرا الى الخروج مع المدرسة نفسها عن طريقتها . شيوخ الأدب جامدون لا يقدرون الاتجاه النفسى الجديد لأنه يخالف اتجاههم ، فالشيوخ يتحدثون عن جمال الربيع ولا يهتمون بالانسان ، فاذا عرجوا عليه لزموا السطوح ولم ينزلوا الى الأعماق ، كما يقضى بذلك علم النفس ، وكما تفعل ذلك المدرسة الحديثة . وقرأ المحاضر فى هذا المعنى رسالة كتبها يسرى الى الأستاذ فريد أبو حديد بك ، ومن فقراتها « لا يا سيدى .. نحن جيل وأنتم جيل » .

ثم أرجع الى الطريقة التجريدية فأقول : هكذا يقضى الشيخ بفوز قصص المدرسة الحديثة فى المباريات ، وتعتز المدرسة بذلك ، ثم تهاجم الشيوخ الذين حكموا بفوز قصصها . أقول هكذا فقط ولا أذكر الوفاء ولا الاعتراف بالجميل فليس شىء من هذا فى معجم المدرسة الحديثة فى فن القصة . أما لماذا قضت لجان التحكيم فى المباريات بفوز تلك القصص، فقد قال أحد أعضائها وهو الدكتور ابراهيم ناجى ، فى تعقيبه على المحاضرة : ان القصص التى اختيرت فازت لأن بقية القصص المقدمة تافهة ليس فيها شىء من فن القصة بل هى حكايات و (حواديت) .

وجريا على مذهب تلك المدرسة فى العطف على الضعف الانسانى وان جانب الذوق السليم واندفع مع الحيوانية السائمة ـ لا أريد أن يتجه القلم الى القسوة على بطليها ، غير أننا نختلف فى أن لرفقى بهما غاية .

انكما يا ابنى تتعجلان .

وانى وان كنت لم أقرأ لكما يبدو لى من الملابسات والقرائن انكما من ذوى الاستعداد ويمكن أن يجىء منكما ، ويدل ما يقول الأستاذ عبد الله حبيب عن قصة عاشق أخته على براعة يسرى فى السياق والحبكة ، ولكن ما أشبه حال الأستاذ وهو يقرأ القصة غير شاعر بأن فيها جريمة ترتكب، بمن (نشلت) حافظة نقوده وهو لا يدرى .

أن مناقضتكما للأخلاق الكريمة بهذه الدعوة مناقضة ظاهرة ، وأنتما لا تنكران ذلك ، وانما تتمسكان بأهداب الفن وأنا لا أدرى كيف يتسق الفن مع مخالفة الذوق السليم واغفال المثل الانسانية والانسياق مع الحيوانية البحتة . وما هو الفن الذى يتجرد من العاطفة ؟ ان تحليل الأشخاص واظهارهم دون انفعال وحكم ، عن طريق التصوير الفنى ، على ما يأتون وما يدعون لا ينتج الا شيئا قد يسمى « علم نفس تطبيقيا » أما عن الفن فلابد فيه من عاطفة الفنان ، فان تجرد منها فليس فنانا .

والعاطفة فى العمل الفنى اما أن تهدف الى الخير وتتجه نحو الجمال الذى يهفو اليه الذوق الفنى السليم ، أو تنزل الى الشر وتتدلى الى القبح ٠

أريد أن أفرض فى شأن هذين الشابين أحسن الفروض ، وهو أنهما يتكلفان الشذوذ على طريقة « خالف تعرف » ولا بأس بأن حققت لهما شيئا من ذلك ، وغاية ما أرجو أن يكون الثمن هدايتهم الى سواء الأدب القـــويم ٠

الرســـالة ـ ١٨/٤/١٩٤٩

عراك فكرى بندوة الرسالة

لقد أصبحت محنة فلسطين والحوادث التى وقعت أخيرا على مسرحها ومن أجلها ـ محنة لأفكارنا ومشاعرنا فى هذه الأيام ابتلينا ولا نزال نبتلى بها من أفراد نحمد الله على أنهم قلة لا يعبأ بها ٠ أفراد من مواطنينا اضطربت أفكارهم واختلطت عليهم حقائق الأمور من جراء تلك الحوادث، فصاروا يجادلوننا فى « العروبة » فيخلطون بين حقيقة الوحدة الخالدة وروح الشعوب المتآخية وبين اختلاف الساسة وتهويم الجامعة ٠

ألحت على تلك المقـــدمة فلم أجد مناصا منهـــا ، على كراهيتى للمقدمات ، قبل أن أدخل الى « ندوة الرسالة » حيث اعتركت فى هذا الموضوع وما تفرع منه ـ أفكار جماعة من أدباء العرب : من مصر ، ومن لبنان ، ومن العراق ٠ كان أحد طرفى المعركة الدكتور فلان ، ولا أسميه خشية أن يعتبر ما قاله مما يتحدث به فى المجالس ويتحرج من نشره ، ويكفى أن أذكر أنه كاتب معروف ، وكان يكتب بالرسالة فيما مضى ، وهو الى ذلك من هيئة التدريس بالجامعة ٠ أما الطرف الثانى فهم سائر من كان فى الندوة وعلى رأسهم الأستاذ الزيات عميد الرسالة ، والباقون هـم الأساتذة محمـود الخفيف ، وكامل حبيب ، ومحمـد الحومانى ، وابراهيم الوائلى ، وكاتب هذه السطور ٠

وقد كنا أو كان الطرف الثانى يناقش الدكتور (الطرف الأول) فتخطر لهم الفكرة الواحـدة أو يورد أحدهم خاطرا ويأتى آخر بحجة أخـرى ، وســأورد ما علق بذهنى من ذلك جملة ، أى من غير تفصيل واسناد الى فلان أو فلان ، وأضيف اليه ما خطر لى بعد الجلسة ، وقد ذكرت الأسماء لما لأصحابها من فضل فى المناقشة ، وعلى أى حال ليس بين الخيرين حساب ٠٠٠

كان مثار المناقشة ما تضمنه « كشكول الأســبوع » فى الأســبوع

الأسبق من الاشارة الى ما نشرته احدى الصحف لأحد قرائها من استنكاره ترحيب مصر بأبناء شقيقتها العربية وتعليمهم فى معاهدها ، ومقارنة ذلك بما أبدته الحكومة الإسبانية من الاستعداد لقبول بعثة من الطلبة المصريين على نفقتها فى جامعاتها . بدأ الحديث بالدهشة لذلك الذى نشر فى تلك الصحيفة فانبرى الدكتور يقول :

ـ أتريدون الحق ؟ ان أبناء مصر أولى ... ويجب ألا نبذل جهدا أو مالا لغيرنا ونحن فى حاجة اليه ، وكفى ما بذلنا ... فجاءه الرد يقـــول :

ـ يا أخى ، كيف تقول بهذا ؟ أتنكر التعاون العلمى بين الشعوب العربية ؟ واذا كانت الهيئات العالمية تدعو العالم كله الى التعاون الثقافى أفلا يجدر ذلك بالبلاد العربية وهى ذات لغة واحدة وثقافة مشتركة ؟ ولم التفاضل بين المصريين وغيرهم فى هذا المجال ؟ وبم يؤثر هذا القدر الذى تبذله مصر لتعليم أبناء شقيقاتها فى تعليم أبنائها ؟ واذا كانت الجامعات الغربية تفتح أبوابها للطلبة من مصر وغيرها من البلاد العربية أفتقفل مصر أبواب جامعاتها ومعاهدها فى وجوه شقيقاتها ؟ على أن ما نبذله من مال أو جهد فى الميدان العربى على اختلاف جوانبه انما نبذله فى تعزيز القومية العربية التى يدفع اليها وعى الشعوب العربية ، والتى تدعو الى التكتل والتعاون والتقارب ، والتى لا ينال منها اخفاق فى تجـربة سياسة أو فشـــل من جـراء الألاعيب الخارجيـة والدسائس الاستعمارية .

قال الدكتور : لا اعتبار عندى لكل هذا ، انما مدار الأمر فى نظرى على ما نستفيده نحن ، ونحوا عنى ألفاظ العروبة والوحدة والأخوة ، أنا أريد استفادة مادية .

ـ أنت أحد المؤلفين المصريين ، فلك عدة كتب ولا شك أنه قد وزع منها عدد كبير فى البلاد الشقيقة ربما يكون قد غطى نفقات الطبع ان لم يكن جلب ربحا ، فمن نظن ما وزع فى مصر كافيا لذلك ، هذا مثل قريب لاصق بشخصك نسوقه اليك مجاراة لمقياسك المادى ، واذا كان لابد من هذا المقياس فان الاستفادة لا ينبغى أن تقصر على الفوائد الوقتية والمنافع القريبة ، فان مصر أغنى البلاد العربية وأكثرها حظا من العلم والثقافة ، وهى اذ تمد يدها الى شقيقاتها وتتيح لها ما ينقصها فانها تكسب مودتها وثقتها فتتحول اليها بدل أن تتجه الى الأمم الغربية ، والشقيقات ولا شك يستفدن من مصر ، لأن معاملة مصر لها تختلف عن معاملة الغرب من حيث

الاخلاص أو على الأقل من حيث تجرد مصر من المطامع التى ينطوى عليها الغرب فتحمله على عرقلة تقدمها . أما فائدة مصر مما تتيحه لسائر البلدان العربية فهى أنها تجد فيها أخوات قوية قادرة على مبادلة النفع بالنفع . ولم لا تقول معنا أنها تكون حينئذ أجزاء متينة فى الكل العام وهو الكيان العربى ؟ والفائدة اذن هى كفائدة الفرد مما يعود على الجماعة من الخير العام . ثم قل لنا يا أخانا فى أى سبيل كانت مصر ولا تزال تبذل للأجانب من الغربيين ؟ وهل استفادت مصر من كل ما أغدقته على هؤلاء ؟ بل هل نجت من تشهيرهم بها وتقولهم عليها ؟ وما هى الفوائد التى يجنيها الشعب المصرى من فرق الممثلين والراقصات التى تجلب الى مصر كل عام ؟

قال الدكتور : ما دامت هناك استفادة فأنا مسلم بما تريدون .

ولم يرد الأستاذ الخفيف أن تنتهى المناقشة عند هذا الحد فقد أقبل فى أثنائها ولم يحضر أولها ، فلم يشبع من منازلة صديقه الدكتور ، فأعلن أنه يريد أن يصفى معه الحساب هذه الليلة فى قضية طالما أتعبه بالجدال فيها ، وكان الأستاذ الخفيف يعانى ألما فى الحلق وبحة فى الصوت ، فما استشعر الحماس للنزال حتى لان حلقه وتوضح جرسه وقال :

ـ ألا تعلمون أن هذه الأفكار منشؤها عند الدكتور أنه لا يؤمن الا بالغرب فى كل شىء وينكر الشرق والعروبة وما اليهما ، ويرى أنه يجب أن نغلق هذا الباب الشرقى ونفتح الباب الى الغرب على مصراعيه فنقطع كل صلة بماضينا وعروبتنا ونأخذ عن الغرب كل شىء بل نسعى الى الاندماج فيه .. ؟

اتجه الجميع الى الدكتور مندهشين ، ونظراتهم تسأله : أحقا ترى هذا ؟

قال الدكتور : نعم ... فأنا أتصور مثلا أنى مدير جامعة ، وأردت أن أضع برنامجا لدراستها فهل أجد غير العلوم الغربية ؟ ليس فى الشرق ما يستحق أن يدرس ، وحتى الثقافة العربية أكتفى منها بما درسه وحققه المستشرقون ، ولا قيمة لما عدا ذلك .. وأنا لا أرى أن هناك انسانا متقدما وانسانا متأخرا ، وانى أراكم تلوكون كلمة العروبة فمن هم العرب ؟

ارتفعت درجة الحرارة فى المجلس ، وتدفقت الردود تقول :

ـ أتسأل عن العــرب ؟ نحن العرب ··· نحن العــرب بوراثاتنا التاريخية وما كسبناه ومزجناه من الثقافات العصرية ، نحن العرب الذين نتحد فى قيمنا الروحية واتجاهاتنا الفكرية والاجتماعية ، ونختلف فى كل ذلك عن الغرب · وها نحن أولاء فى مجلسنا هذا نمثل ثلاثة من الدول العربية ، يطبعنا طابع واحد فى التفكير والمشاعر ، ونتشابه حتى فى الشكل · والسحنة ، لا يختلف مصرى عن عراقى أو لبنانى الا كما يختلف أبناء الأمة الواحدة من حيث الفردية ، ولو أننا انتقلنا بكامل هيئتنــا الى مجتمع أفرنجى لأحسسنا أننـــا غرباء عنه ولتزايل الدم من الدم ·····

وليس معنى أن نأخذ العلوم والمخترعات الحديثة عن الغرب أن نفقد شخصيتنا ونفنى فيه · واذا كنا الآن نأخذ من الغرب علومه فقد أخذ كثيرا من حضاراتنا وعلومنا واستعان بها فى نهضـته الحديثة ، وفى مكتبات أوروبا خمسمائة مجلد فى الاشادة بالحضارة العربية وما أسدت الى العالم الغربى ·

اننا لا نغلق الباب الغربى بل نحن دائبون على الاتصال بالغرب والاقتباس منه والانتفاع بحضارته ، فلم تقول أنت بغلق الباب الشرقى وقطع الصلة بماضينا وثقافتنا العربية بما فيها من آداب وعلوم وفنون ؟ ولا شك أننا استطعنا فى نهضتنا أن نكون ثقافة عربية حديثة مبنية على تراثنا الثقافى وعلى ما قبسناه من الثقافة الغربية ، وعجيب أن تدعو الى ما درسه المستشرقون من الثقافة العربية وفى نفس الوقت تدعونا الى هجر هذه الثقافة فأنت تحرم علينا ثقافتنا وتبيحها للمستشرقين ·

على أن ثقافة الغرب اما علوم أو آداب وفنون ، فالعلوم نتلقاها منه باعتبارها أدوات لتنظيم الحياة وتيسير وسائلها ، أما الآداب والفنون ، وهى ألصق بالأرواح والمشــاعر ، فنقتبس منهــا ما يلائمنا لنضيفه الى آدابنا وفنوننا التى هى الأساس فى ذلك لأنها نتاج بيئتنا وصورة حياتنا ومرآة نفوسنا ·

وهنا قال الدكتور :

ــ ما هى فنوننا ؟ هل عندنا موسيقى كالموسيقى العالمية ؟

ــ فنوننا هى التى نتذوقها ، وان كان فيها نقص فاننا فى سبيل استكماله · ونحن نتذوق موسيقانا ونطرب للجيد منها ولا يضيرنا أن غيرنا لا يستسيغها ، وماذا يهمنا من كلمة « عالمية » ما دام الوصف بها لا يقدم ولا يؤخر بالنسبة لأذواقنا ؟

ـ ان الطفل يضرب (الصفيحة) بالعصا ويسر لما يحدثه ذلك من صوت ، فهل معنى ذلك أنها موسيقى راقية ؟

ـ ان هذا التشبيه يمكن أن ينطبق على الموسيقى الغربية بالنسبة للشرقى الذى لا يرى فيها الا تصديعا للرءوس ·

نحن نستمع مثـلا موسيقى عبد الوهاب وغنـاء أم كلثوم ، وغير عبد الوهاب وأم كلثوم من فنانينا المجيدين ، فنتذوق لحنهم ونسر به ، لأنه يعبر عن مشاعرنا ويخاطب قلوبنا ، فهو منا والينا ، ولذلك نشعر بقرب الموسيقى الاسبانية من نفوسنا أكثر من موسيقى البلاد الأوربية الأخرى ، لأن الاسبانية تنزع الى أصل عربى كان فى الأندلس · وليس مما يقع أن نحول مشير المذياع الى محطة أجنبية ، وأم كلثوم تذيع احدى حفلاتها الغنائية ، أتسمع بدلا منها ثغاء احدى الفرنسيات أو الانجليزيات؟

قال الدكتور وهو يتهيأ للانصراف : ان تذوق الموسيقى الأوروبية يحتاج الى تربية وتثقيف ·

فسأله أحد الجماعة : عمن أخذ الأوربيون موسيقى (الجاز) ؟ فسكت ، وناب عنه من أجاب : من موسيقى الزنوج ···

ثم انصرف قبل أن يبدى رأيه فى تذوق موسيقى الزنوج وهل يحتاج الى تربية وتثقيف ·

الرســـالة ـ ١٩٤٩/٤/٢٥

مجمع سـلامة موسى للغـة العامية

فى مجمع فؤاد الأول للغـة العربية الآن ، كرسيان خلوا بوفاة الدكتور محمد شرف بك والمستشرق الألمانى الدكتور فيشر ، وقد فتح باب الترشـيح لهما ، فتقدم عضـوان من أعضـاء المجمع ، هما سعادة عبـد الحميد بدوى باشا والدكتور ابراهيـم بيومى مدكور ، بترشيح سعادة واصف غالى باشا لأحد ذينك الكرسيين · وحدث قبل ذلك أن كتب الأستاذ سـلامة موسى الى بعض أعضـاء المجمع يطلب ترشـيحه للعضوية ، ويقول ان سعادة واصف غالى باشا يزكيه ·

وتدل تلك الرسالة التى كتبها الأستاذ سلامة الى عدد من أعضاء المجمع ، على أنه غير واقف على حقيقة ما يتبع فى انتخاب الأعضاء ، فان تزكية أحد من غير الأعضاء ليست سببا الى الترشيح للعضوية ، وانما

يجب أن يرشحه عضوان ويقدما مسوغات الترشيح من انتاج المرشح ومؤلفـــاته ٠

ولنفرض أن اثنين من الأعضاء أرادا أن يرشحا الأستاذ ســلامة موسى ، فماذا عساهما أن يقدما للمجمع من مسوغات هذا الترشيح ؟ انهما لابد يقعان فى حرج شديد بالغ الشدة ما كان أغناهما عن أن يتورطا فيه ، فالأستاذ سلامة دائب ـ منذ أمسك القلم ـ على مهاجمة اللغـة العربية والأدب العـربى والثقـافة العربية على العموم ، والمجمع مهمته الأولى المحافظة على سلامة اللغة العربية ، وهو يعمل على تنمية الثقافة العربية ، ويشجع الباحثين فى الأدب العربى ، بل ان هذا الأدب لا يعجب الأستاذ سلامة هو معين اللغة التى يتسمى المجمع باسمها ويقوم عليها ٠

ماذا يقدم العضوان اللذان يجازفان بترشيح الأستاذ سلامة ؟ هذا كتاب يأخذ عنوانه النظر لقربه من موضوع الترشيح ، وهو « البلاغة العصرية واللغة العربية » وهو كسائر مؤلفات الأستاذ ســلامة يحتوى « أفكارا حرة » مما يقذف به هذا « المفكر الحر » كما يقول الذين يشيعون عنه هذه الشائعة ٠

يهجم الأستاذ سلامة فى كتابه هذا على اللغة العربية ويعيب أدبها ويدعو الى اللغة العامية ، يقول مثلا : « وقد التفت الى عبـارة قالها الأستاذ عباس محمود العقاد بشأن الاشتراكيين فى مصر لها مناسبة هنا ٠ اذ هم يدعون ، على غير ما يجب ، الى اللغة العامية ٠ وقد حسب عليهم هذه الدعوة فى مقـدمة رذائلهم ٠ لأنه هـو يعتز بفضيلة اللغة الفصحى ويؤلف عن خالد بن الوليد أو حسان بن ثابت » ومعنى هذا أن الاشتراكيين فى مصر يدعون الى اللغة العامية ، على ما يحب الأستاذ سلامة الذى يعتز بفضيلة اللغــة العامية ويريد أن يؤلف بها عن غير خالد بن الوليد وحسان بن ثابت ، لأن الكتابة عنهما وعن أمثالهما ـ فى رأى الفكر الحر المزعوم من أسباب تأخرنا ٠٠٠ لا يا شيخ !

ويقول بعد قليل من تلك الفقرات ان ارتباط اللغة بالتقاليد والعقائد هو سبب التبلد والجمود فى اللغة ، وان الدعوة الى غير ذلك هى احدى الغايات التى قصدها من تأليف الكتاب ، وهو يدعو فى مواضع مختلفة من الكتاب مرة الى دفن اللغة العربية ومرة الى الغاء الاعراب والمترادفات فيها ، ومرة يرى أننا بحاجة الى لغة المجتمع لا الى لغة القرآن ، ويقرن ذلك أحيانا بحرية المرأة والتقدم الصناعى الى آخر ذلك الخلط العجيب الذى يفتتن به من يشيعون عن الأستاذ سلامة أنه مفكر حر ٠ وتلك عينة من أفكاره الحرة ٠

نرجع الى مجمع اللغة العربية وترشيح الأستاذ سلامة موسى لعضويته ، لنتساءل : هل تتفق تلك الأفكار الحرة وهذه العضوية ؟ أنا لا أنكر على الأستاذ سلامة أن يكون عضوا فى مجمع ، ولكن أى مجمع ؟ هو بلا شك مجمع اللغة العامية ، بل أنا أرشحه لرياسة هذا المجمع العامى ، وهذه مسوغاته . وليس هذا فقط فالرجل جدير بالتخليد ، ولذلك يجب أن يسمى المجمع باسمه فيقال « مجمع سلامة موسى للغة العامية » .

الرسالة ـ ١٩٤٩/٥/٣٠

كبار الأدباء وعضوية البرلمان

حديث الانتخابات المقبلة أهم ما يشغل الصحف فى هذه الأيام وقد أمسكت باحداها وغرقت ساعة فى أنهارها وجداولها المملوءة بأحاديث الوزراء ورجال السياسة وتعليقات المحرر ، عن تعديل الدوائر وفتحها واغلاقها وما الى ذلك . ثم القيت الصحيفة جانبا ورحت أفكر فى الموضوع على نحو آخر ، قلت فى نفسى : لا شك أن تمثيل الأمة فى البرلمان يتطور من حيث المستوى الفكرى لنوابها وشيوخها ، تبعا لتطور الأمة نفسها لانتشار التعليم وازدياد المتعلمين ، أى أن عهد (النمر) الذى بدأت به الحياة النيابية فى مصر آخذ فى الانقراض شيئا فشيئا ، و « الموافقون » على ما لا يعرفون ما يوافقون عليه يوشكون أن يتركوا أماكنهم للعناصر الجديدة . ثم قفز الى ذهنى خاطر آخر ، فقلت فى نفسى أيضا : هل اقترب التطور من الحال التى يمكن فيها أن يشتمل البرلمان على الصفوة من رجال الأدب والفكر فى مصر ؟ ولكن كيف السبيل ؟ هل يخوضون معامع الانتخابات ؟ . وهنا جعلت أتصور بعض هؤلاء الأعلام وقد رشحوا أنفسهم للانتخاب ...

الدكتور طه حسين خطيب يسحر الجماهير ولكنها ليست جماهير الانتخابات ، وهو لا يستطيع أن يجلس الى أهل الدائرة اذا ارتفع الضحى واذا أقبل المساء ، يسمع منهم ويسمعون منه ، فيضيق بهم وقد يضيقون به ، حتى اذا بلغ الأمر ما اعتاد أن يبلغ كل عام فى أوائل الصيف ، ولم يعد فى وسعه احتمال الحر والشر والنكر ، فر الى باريس ...

والاستاذ توفيق الحكيم لا يستطيع مخالفة حماره الذى هو مصر على مقاطعة الانتخابات ومجانبة « التمرغ » فى أوحالها ، وقد خبرها أيام كان صاحبه نائبا فى الأرياف ، فأصبح فيها من الزاهدين .

والأستاذ المازنى اذا طاف بالدائرة فسيرغب عن سماع القصائد التى ينظمها أنصاره والداعون له ، فقد أنكر شعره فهل يسمع شعر هؤلاء ؟ وقد لا يجد له جلدا على قصيدة من الشعر الوسط فلا يصبر عليها ولو أدى ذلك الى ضياع « تأمين » الانتخابات ...

وسيشعر بضيق وقته عن هذا العناء والعبث فيهرب الى حيث يكتب المقالات المطلوبة منه للصحف والمجلات .

والدكتور أحمد أمين بك رجل فكر ومنطق لا يعجبان الناخبين ، وعندما يشاهدون مايبدو عليه من الجد ، وما يصطنعه أحيانا من التغافل، ينصرفون عنه الى منافسه ويتركونه قائما يتعزى بـ « زعماء الاصلاح فى العصر الحديث » وقد يدرك بعض الخبثاء أنه سيكون عضوا فى كل لجنة من لجان المجلس الذى انتخب له ، وقد يكون رئيسا لبعضها ، فيعملون على محاربته ليظل قانعا بلجان وزارة المعارف ولجان المجمع اللغوى واللجنة الثقافية بالجامعة العربية ولجنة التأليف والترجمة والنشر .

أما الأستاذ الزيات فتقف « الرسالة » فى طريقه عقبة أى عقبة ... اذ لابد أن ينجم له فى الدائرة « شعراء وكتاب » يريدون أن ينشروا فى الرسالة ما تجود به قرائحهم من النظم والنثر ، وقد يطلبون تغيير عنوان هذا الباب بحيث يكون « الأدب والفن فى الدائرة » وعميد الرسالة لن ينشر لأحد من هؤلاء شيئا ، والأدب والفن لن يخضعا للدائرة . وهكذا تتعقد المسألة وتستعصى على الحل ، فيقنع الأستاذ بظل « الكافورة » فى المنصورة صيفا ونظفر نحن بمجلسه فى ندوة الرسالة اذا جاء الشتاء .

وأما الأستاذ العقاد فهو عضو بمجلس الشيوخ عن طريق التعيين ، ولو أنه دخل الانتخابات لاصطدم بطلاب الوظائف ومطالب الموظفين من أهل الدائرة ، فالكاتب الجبار لن يرجو مخلوقا لمخلوق ، فاذا وصل الأمر الى أن يطلب موظف نقله من أسوان فان الأستاذ الكبير يعتبر ذلك اساءة بالغة الى مسقط رأسه ، فينسحب من الدائرة فى الحال ، ويكتب مقالا بجريدة الأساس منذرا بسوء المآل .

اذن ما هو الطريق المفضى بأولئك الأعلام الى البرلمان ؟ عضوية الأستاذ العقاد بمجلس الشيوخ تبعث الينا بصيصا من الضوء ، حقا انه ينتمى الى حزب سياسى ، والسياسة الحزبية تعين على تقديم الحزبيين ولكن ألست ترى أننا الآن قد أخذنا فى عهد قومى جديد وجه اليه جلالة الملك ، اذ أمر بتأليف الوزارة من جميع الأحزاب على أن يخلع الجميع رداء الحزبية فى خدمة البلاد .

وقد أوشكت الدورة البرلمانية الحاضرة أن تنتهى ، وسيجرى الانتخاب لمجلس النواب ولثلثى مجلس الشيوخ ، ولندع ذلك لنحصر النظر فى الثلث الباقى من مجلس الشيوخ وهو الذى يختار أعضاؤه من ذوى الكفايات فى الميادين المختلفة ، فاذا كان يختار الأعضاء من رجال السياسة ومن رجال الاقتصاد وغيرهم ، أفلا ينبغى أن يتجه النظر الى رجال الأدب والفكر فتختار خلاصة منهم أعضاء فى مجلس الشيوخ ؟ فذلك هو المنفذ الوحيد الذى يصل منه أولئك الرجال الى مقاعد النيابة عن الأمة • كما أن ذلك يعتبر من دلائل القومية التى تهدف الى صالح البلاد •

الرسالة ـ ١٩٤٩/١/٨

الموضوع فى فنوننا

أقصد بهذه الفنون السينما والغناء والموسيقى ، وأعنى بالموضوع فيها فكرة التأليف ، وهى تكاد تكون معدومة فى هذه الفترة من زماننا • والملاحظة أن تلك الفنون قد تقدمت وارتفعت فيما عدا الموضوع ، وخاصة السينما ، فالتمثيل فيها جيد على العموم ، وكذلك ما يسمونه (حرفية السينما) وعندنا بعض المخرجين الذين يجيدون فنهم ، وان كان بعضهم يفرض نفسه على التأليف فيأبى الا أن يكون مخرجا ومؤلفا فى آن فلا يكون شيئا ••• أما القصة فهى بيت الداء فى السينما المصرية ، وتسعة وتسعون فى المائة من قصص الأفلام المصرية لا موضوع لها ، فهى حوادث يتخللها غناء ورقص واضحاك ، وأحسنها ما كانت هذه الأشياء فيه متعة بعيدة عن السخف ، ومن اللوازم التى تتكرر فى معظم الأفلام أن تنزل بالبطلة كارثة ، أو تقع فى أزمة ، فتضطر الى كسب رزقها ، ولابد أن تكون مطربة ، فتلتجىء الى ملهى تغنى وترقص فيه ، وهنا تجىء الفرصة الذهبية لتقف حوادث القصة ريثما يستمتع المشاهدون ببرنامج الملهى الطويل ••• وبعد ذلك وعلى مهل يعثر الأب على ابنته والأخ على أخته والمحب على حبيبته حيث تعمل فى الملهى ، بعد أن يشبع الناس من السماع والنظر والضحك • وهكذا كله قد يكون لا بأس به ولكن على أن يغلف شيئا ، اما أن يكون فارغا فانه لا يدل الا على الفراغ الهائل فى ذهن المؤلف •

ومن المضحك أن بعضهم يحاول أن يجعل لقصته موضوعا « تلبية لرغبة الصحافة والنقاد » وقد قرأت هذه العبارة بين الأقواس على الشاشة فى تقديم أحد الأفلام ، يحاول المؤلف أو المخرج ذلك فيدس فيها شيئا

من قبيل الوعظ الخلقى أو بعض العبارات الوطنية الجوفاء ، فلا تزيد الفيلم الا برودة وسماجة ، وذلك للتكلف وايراد الشيء فى غير موضعه. ومما يدعو الى الضحك والأسف أن يقولوا فى الدعاية عن الفيلم أنه يعالج مشكلة اجتماعية ، وليس فيه عن المشكلة الا بعض مناظر عابرة أو كلمات متناثرة لا تبرز ناحية ذات شأن من المشكلة فضلا عن معالجتها .

ويدعى هؤلاء المؤلفون أنهم ينزلون الى مستوى الجمهور وهذا ليس صحيحا ، لأنهم ليسوا فى مستوى أعلى ينزلون منه ... والنزول الى مستوى الجماهير لا يكون مفيدا الا اذا كان مع النازل شيء يقدمه الى من ينزل اليهم بالاحتيال على اساغتهم اياه .

هذا وفى وزارة الشئون الاجتماعية لجنة للنهوض بالسينما ، لست أدرى ماذا تعمل لهذا النهوض ان لم يكن فى مقدمة ما تعمله العناية بهذا النقص فى الأفلام . وهناك رقابة تمنع ما يخالف الآداب العامة أو يمس الأمن العام ، ولست أدرى لماذا لا تكون هناك رقابة تمنع ما يفسد الذوق العام .

أما الغناء والموسيقى والأغانى الفكاهية (المنلوجات) فهى كذلك فى مجموعها ، ينقصها الفكرة والموضوع ، وقد كانت الأغانى الفكاهية تدور حول موضوعات وطنية واجتماعية ولكن الآن صرنا لا نكاد نسمع من الاذاعة غير « ورد عليك فل عليك » وأشباه ذلك . وأغانى الأفلام تصلح بصلاحها ان صح العزم على ترقيتها . أما الأغانى التى تقدمها الاذاعة فالله المستعان عليها وعلى الاذاعة .

الرسالة ـ ١٩٤٩/٩/١٢

شاعر يثور على الطبيعة

لكثير من الكتاب والشعراء ـ فى القديم وفى الحديث ـ ولع بمشاهد الطبيعة والسكون اليها والتغنى بجمالها ، حتى لقد صار ذلك تقليدا يجرى عليه الناشئون فى الأدب والمتطلعون الى قرض الشعر ، تراهم يقصدون اليها ويسرحون الطرف فى مغانيها عسى أن تزف الى قرائحهم بنات الأدب والفن .

وقد قرأنا كثيرا من القصائد والقطع الجيدة فى وصف مناظر الطبيعة والتفنن فى التعبير عن جمالها ، وقد أوحت بها الى أصحابها تأملاتهم تلك المناظر وسبحات أفكارهم فى جوها ، ولعل هذا النوع من الأدب أقل أنواعه رواجا فى عصرنا هذا الذى يفضل الخوض فى مسائل

الحياة والتحدث عن الحقائق الانسانية وتحليلها . فالأديب يذهب الى الحدائق والشواطىء ليأخذ قسطه من الاستجمام والترويح عن النفس وصحة الجسم ، كأى انسان آخر ، ثم هو مطلق الحرية فى أن يأخذ موضوعه من أى مكان شاء ، لا يتقيد الا بما يثير عقله واحساسه من صور الحياة وشئون الناس .

أثارت تلك الخواطر بنفسى ، قصيدة نشرت بالأهرام للأستاذ محمد مفيد الشوباشى ، عنوانها « شاطىء بلطيم » ذهب بها فى الحديث عن هذا الشاطىء مذهبا انسانيا طريفا يعاكس مذهب شعراء الطبيعة المفتونين بها ، فهو لم يسكت عنها ويعدل الى غيرها ، بل انه استنكر السكون والروعة والجلال وما الى ذلك من الأوصاف التى تجذب أولئك الشعراء الى أماكنهم المحببة اليهم ، فلم يرقه شىء من ذلك بل شعر بالوحشة والملل فيها ، قال :

على الشاطىء المهجور قضيت حقبة
من الدهر محزون الفؤاد وحيدا

بباب خلا من كل أنس وبهجة
يمر به الدهر الممل وئيدا

تمر به الأيام جرداء مثله
فلست ترى فيما تراه جديدا

ويمضى على هذا النحو فى التبرم بتلك الأماكن المقفرة حتى يقول :

حننت الى الانسان فى خلواتها
وان كان شيطان الخصال مريدا

ألا ليتنى ألقى عدوى فأرتمى
على صدره سهل القياد سعيدا

فلم يعد الليل الرتيب يشوقنى
ولا البدر وضاح الجبين فريدا

ولا الريح تشدو ولا الموج راقصا
ولا الشط منداح الرمال مديدا

حننت الى شط يموج بأهله
ترى فيه حفل الغانيات نضيدا

والذى استرعى انتباهى فى هذا الشعر وأطربنى منه ، قيمة هذه المشاعر والصدق فى التعبير عنها ، فالشاعر يضيق بالليل والبدر والموج، ويحن الى الانسان مهما كان ، ويشتاق الى لقاء عدوه ليرتمى على صدره.. لأنه انسان ...

الرســــالة ـ ١٩٤٩/٩/١٩

غـزل البنـــات

هو الفيلم الجديد الذى عرض هذا الأسبوع بسينما استديو مصر ، فرأى الناس نجيب الريحانى بعد موته ، بعثه على الشاشة فنه الخالد ، فعاد يضحك الناس ويمتعهم بعد أن خالوا البكاء عليه آخر العهد به .

ان الريحانى هو عصب هذا الفيلم « غزل البنات » ولولاه ما كان شيئا ، فقد اشترك فى التمثيل به ليلى مراد ويوسف وهبى ، وأنور وجدى وسليمان نجيب ، وغنى عبد الوهاب ولكن هؤلاء قاموا بأدوار قصيرة ، ما عدا ليلى مراد فهى بطلة الفيلم أمام الريحانى . وقد أقحم أكثر هؤلاء الأعلام فى الفيلم لاستغلال أسمائهم ، كما سنرى من عرض موضوع الرواية . ويخيل الى أن انسجام الريحانى فى هذا الفيلم من أسبابه أنه وضع له الحوار ، فضمنه فكاهاته الساخرة المعروفة ، وبعث به الحياة فى جسد القصة . ويقلل بعض النقاد من قيمة الحوار فى الأفلام الســـينمائية ، ذاهبين الى أنها مناظر وصـــور أكثر منها كلاما وحوارا ، وأنا لا أوافقهم على ذلك ، فان الصور والحركة اذا كانت من أدوات التعبير فالحوار هو الأصل فى ذلك ، وهو ذو أهمية فى السينما كما هو مهم فى المسرح . ليلى (ليلى مراد) بنت مراد باشا (سليمان نجيب) تلهو بالغناء والرقص وركوب الخيل ، وترسب بالامتحان فى اللغة العربية ، فيحضرون لها معلما بائسا طرده ناظر المدرسة الأهلية التى كان يدرس بها ، وهو الأستاذ حمام (الريحانى) فيستقبله الباشا وابنته استقبالا مهينا فى أول الأمر لبعض الأسباب الناشئة عن الغلط وسوء التفاهم ثم يسترضيانه ويكرمانه ، وما يكاد يبدأ فى التدريس لليلى حتى تبدأ هى فى مغازلته وابداء حبها له واحاطته بأسباب قوية من الاغراء ، فيستجيب لها فى تردد وتحفظ وان كان قد أحبها فعلا ويرى نفسه أخيرا قد وقع فى حرج من هذه العلاقة ، فيعتزم مبارحة الدار ، وكان الباشا قد أمر باقامته فى القصر ، فتفاجئه ليلى وهو يهم بالرحيل ، وتمنعه وترغمه على مصاحبتها فى السيارة وقد أوهمته أنهما يفران معا ، وتقف السيارة أمام مرقص تلقى فيه ليلى شابا تحبه (محمود المليجى)

وهو يريد الاحتيال عليها ، فيثور الأستاذ حمام محتجا على هذا اللقاء ، فيطرد من المرقص ٠ ويرى ضابط طيران (أنور وجدي وهو واضع قصة الفيلم ومخرجه) داخلا ، فيكلمه ويعرض عليه أن يدعى أنه ابن عم ليلى لينقذها من الشاب المحتال ، فيدخلان معا ، وتحدث معركة يتدخل فيها الضابط فيضرب الشاب وينقذ ليلى ويركبها السيارة الى جانبه ويغازلها، فيخرج الأستاذ حمام الجالس خلفهما ويعمل على وقف السيارة وينزل بليلى هربا من الضابط الذى أحب ليلى وأحبته ٠٠ ويريد الأستاذ حمام أن يضلل الضابط ، فيدعى أن المنزل المجاور هو منزل الباشا والد ليلى ، ويطرق الباب ويتبين أنه منزل الأستاذ يوسف وهبى بك (يوسف وهبى) فيستقبلهما الممثل الكبير ويلح فى معرفة السبب الذى من أجله طرقا بيته ليلا ، بل يغازل الفتاة غير عابىء باحتجاج الأستاذ حمام ويقول لهما ان المطرب الكبير محمد عبد الوهاب موجود فى منزله وانه سيغنى أغنية من قصة يضعها (يوسف وهبى) موضوعها تضحية المحب بحبه لاسعاد حبيبه ٠ ثم يقصدون الى حيث يغنى عبد الوهاب ، فيسمعون غناءه الذى يجرى فى موضوع التضحية بالحب فى سبيل اسعاد الحبيب ، فيتأثر الأستاذ حمام اذ يجد نفسه ذلك المحب ، فهو رجل كبير لا يلائم ليلى التى أحبت ضابط الطيران الشاب ، ثم يقبل هذا الضابط ، فنراه يأخذ بيد ليلى وهى تهش له مقبلة عليه ، والأستاذ حمام خلفهما راضيا بالموقف على سبيل التضحية ، ومنظره الحزين هو النهاية ٠

بدأ الفيلم بمناظر ممتعة وظريفة ، وتخللها نقد اجتماعى فكاهى ، فهذا الأستاذ حمام يقف فى (الفصل) بين تلميذاته يطالعن موضـوعا عن الأسد ، فتسأله تلميذة : هل يتكلم الأسد ؟ فيقول لها : وزارة المعارف تريده يتكلم ٠ وهذا هو يدخل منزل الباشا ويحدث مربى كلب الباشا ومعلمه فيعلم أنه يتقاضى ثلاثين جنيها ، فيقول : انه لو كان يعلم الكلاب من زمان لأصبح من الأغنياء ٠ ثم تجرى الحوادث بعد ذلك فى نطاق خاص بين الأستاذ حمام وبين تلميذته ليلى التى صارت حبيبته ٠ وعلى أى أساس قام هذا الحب رغم الفوارق الكبيرة بينهما التى أظهرها تفاوت السن ؟ تقول له انها استظرفته وهى فى نفس الوقت تحادث الشاب الذى تحبه بالتليفون ، فتنتقل من مغازلة هذا الى ذاك ، وهى فتاة لاهية عابثة ، تذهب الى المجالس وتجالس الشبان هناك وتشرب معهم وتراقصهم ، فليس مثلها بالذى يحب مثل الأستاذ حمام ، ولو لم تكن كذلك لأمكن أن تفهم أنها فتاة عاقلة تلمس فيه صفات انسانية وتقدر شخصيته ٠

وظاهر أن المؤلف يرمى الى فكرة التضحية بالحب من أجل سعادة

الحبيب ، وهى التى قال يوسف وهبى أنه يعالجها فى القصص التى يؤلفها · والتى تضمنتها أغنية عبد الوهاب · ولكن هل تنطبق هذه الفكرة على موقف بطلى الفيلم ؟ ان فكرة التضحية يمكن استساغتها اذا كان الحب من طرف واحد ، والطرف الآخر لا يجد هذا الحب ، بل يحب شخصا آخر · ولكنا هنا ازاء اثنين يتبادلان الحب ، فانحراف أحدهما عن صاحبه بعد طول التهافت عليه ، بعد خيانة لا يستحق من أجلها التضحية الممزوجة بالرضى والغبطة لسعادته ··

والفيلم ، رغم فخامة مناظره وما حشد فيه من ألوان المتعة ، مملوء بالمآخذ ، فقد ظهر الباشا أول ما ظهر على فرع شجرة لأنه يهوى جمع الأزهار ، وليس فى الشجرة أزهار · ويظهر أنه قصد بهذا التمهيد لمقابلته الأستاذ حمام وهو يحمل سلتين ، فلا يعرف أنه الباشا ، فيحدث سوء التفاهم المضحك ··· وليلى فتاة كبيرة ولم يقولوا فى أى مرحلة هى من مراحل التعليم ، ولكن من الدروس التى تتلقاها نفهم أنها لا تزال فى السنة الثالثة الابتدائية ·

وحدث أن خرج الأستاذ حمام من غرفته الى الحديقة ليستمع الى غناء ليلى ، فينبحه الكلب ، فيتسلق الجدار الى غرفتها هربا من الكلب ، ويضطر فى الغرفة الى تمثيل الكلب بالنباح مثله وهو مختف خلف قطعة من الأثاث ليدفع شك المربية فى وجود أحد ، فلم يكن تسلقه اضطراريا لأنه كان يستطيع أن ينجو من الكلب الذى يعرفه لأنه مقيم بالقصر · وعندما تدخل ضابط الطيران فى المرقص لانقاذ ليلى بدعوى أنه ابن عمها وأنكرته هى ، صفعها وجرها من يدها الى الخارج ، فركب بها السيارة ، ولم تنزل حتى كانت قد أحبته ، وكنا نسمع عن الحب من أول نظرة ، فهل هذا حب من أول صفعة ·· ؟ ولا أدرى كيف دخل الضابط منزل يوسف وهبى دون أن يعلم به أحد · والفتيات اللاتى يرافقن ليلى فى ركوب الخيل ، كن يركبن الأفراس بطريقة مضحكة ، وكان يجب تدريبهن واختيارهن بحيث يتحقق المراد من المنظر وهو المظهر الجمالى ·

أما يوسف وهبى فقد أقحم فى الفيلم اقحاما أو وضعت له فيه قطعة يظهر فيها ، ليقال انه اشترك فى التمثيل ، وهو يظهر باسمه الحقيقى ، فيشبع ميله الى العظمة الفنية التى تأبى الا الظهور بمظهر المؤلف الذى يعالج الموضوعات فى رواياته ·

والأغنية التى غناها عبد الوهاب كانت فاترة وأحسن ما فيها عادى ، وكذلك موسيقاها على خلاف بقية ألحان الفيلم وموسيقاه التى وضعها عبد الوهاب نفسه ، فهذه جيدة · وقد أجادت ليلى مراد فى الغناء ، كما

أجادت فى التمثيل ، وان كان أكثر الأغانى غير معبر عن مواقف الفيلم ، بل هو يصلح فى أى موقف .

ان الجهد الأكبر المثمر فى هذا الفيلم ، لنجيب الريحانى ، فقد قام عبء التمثيل عليه من الأول الى الآخر ، ونهضت معه بهذا العبء ليلى مراد، ولعل الريحانى هنا فى خير أدواره على الاطلاق .

الرسـالة ـ ١٩٤٩/١٠/٣

تكريم أم كلثوم

فى يوم الأربعاء الماضى احتفلت الهيئات الموسيقية فى مصر بتكريم كوكب الشرق الآنسة أم كلثوم بدار معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية ، لمناسبة عودتها من أوربا ، تعبيرا عن السرور بشفاء عينيها واطمئنانها على صحتهما بعد أن قلقت عليهما وامتنعت عن الغناء فشاركها الناس الأسف واكتأبوا لما نالها من الهم .

فلما عادت سالمة قريرة الى الوادى لتشدو فى مغانيه ، انبعثت النشوة فى جوانبه وسرت الفرحة فى أرجائه ، ثم تبلورت بعض المشاعر فى هذا الحفل .

ولئن اجتمعت الهيئات الموسيقية على تكريم أم كلثوم ، لقد كرمت هى الموسيقى والغناء ، ورفعت شأن الفن وأهله فى هذا العصر بفنها العالى وشخصيتها المترفعة . ولم يكن تكريم أم كلثوم قاصرا على الهيئات الموسيقية التى نظمت الحفل ودعت اليه ، وانما كان تكريم مصر كلها لمهدية السرور الى قلوب أبنائها ، تكلم بلسانها أعلامها من شعراء وخطباء ، وان أم كلثوم لأهل لكل تكريم ، فهى ثروة فنية طائلة ، وان اهتم الناس فى مصر بتكريمها وتقاعدوا عن تقدير غيرها من الأدباء والفنانين ، فقد أدوا واجبهم نحوها وقصروا فى حق من أهملوه .

ألقيت فى الحفـل كلمـات مناسبة للمقام من ممثلى الهيئـات الموسيقية ، وخطب الأستاذ توفيق دياب بك ، وألقيت قصائد للأستاذ عباس محمود العقاد والأستاذ عزيز أباظة باشا والدكتور ابراهيم ناجى والأستاذ كامل الشناوى ، وأزجال للأستاذ بديع خيرى والأستاذ بيرم التونسى والدكتور سعيد عبده ، وختم الحفل بكلمة الشكر من المحتفل بتكريمها ، وما أبلغها كلمـة . لمكرميها ردا للتحيـة ، فأعطت أكثر مما أخذت .

وتخلل ذلك غناء موسيقى ، وقد قدم الموسيقيون ألوانا من عزفهم وفنونا من ألحانهم ، فردوا اعتبار الفن اليه بعد طول ما أساءت اليه الاذاعة بما تقدم من الغث المجوج والمعاد المملول . ومما يذكر بالاعجاب قدرة الموسيقيين المصريين على عزف بعض القطع الرائعة من الموسيقى العالمية ، ولا سيما الذى عزف موسيقى الباليه . وقد أبدع « خماسى مجلس الادارة » الذى يتكون أصحابه من خمسة أعضاء بمجلس ادارة نقابة الموسيقين المحترفين ، وكانت موسيقى على فراج بارعة ، وقد نبغ هذا الفنان فى الموسيقى التصويرية التى قدم منها قطعة « فرح القرية » فأجاد .

ونلقى بعد ذلك ـ أيها السادة ـ نظرات الى القصائد التى ألقيت فى الحفلة كانت قصيدة الأستاذ العقاد جيدة ، كان فيها شاعرا بخواطره، وكاتبا بطبيعة السياق وسهولة الأداء واتساق الأفكار . قال فى مطلعها :

هلل الشرق بالدعاء
كوكب الشرق فى السماء

ثم قال يخاطب أم كلثوم :

انظرى فى وجوههم
تعرفى نضرة الوفاء

كلهم ود لو يغنى
من البشر والصفاء

لو بقدر السرور نشدو
غلبناك بالغناء

ثم يصف صوتها بقوله :

فيه أنس لمن يشا
ء وسلوى لمن يشاء

فيه للمرتجى سلا
م وللمشتكى عزاء

فيه حرز من الهمو
م وعون على القضاء

أى نفس اذا ترنمـ
ـت لا تهزم الشقاء

وابتدأ الأستاذ عزيز أباظة باشا قصيدته بقوله :

سعيت فى زحمة الأعلام أسكب من

قلبى الولاء ومن عليا سرائر

فى مهرجان حباه الفن روعته

وزانه بالأوالى مـن عشـائر

وقلت أدلف للتاريخ تقرصنى

عـلى مشـارفة كبـرى منائر

وباقى القصيدة على هذا النحو من قوة التعبير ، وقد أخذ يفتن فى معانيه وخواطره حتى قال :

ما أنت الا اعتـذار الدهـر قربة

لـكل عان ومظلوم ومكلوم

ما أنت الا ابتسام الله جاد به

ورحمة الله عمت كل محروم

وهى خواطر يفوح منها عبير الشعر ·

وقد قال :

يا أم كلثوم بعض الشر ما برحت آثاره تتجلى فى مآثره

ثم أعقب هذا بأبيات تحدث فيها عن اعتلال أم كلثوم والأسى له ، وحمدا لله على أنه عاد للروض بهجته ثم قال :

ألم أقل لك ان الشر ما برحت آثاره تتجلى فى مآثره

ولم أفهم آثار الشر ومآثره ولا موقعها بين البيتين ، ولعله يريد بمآثر الشر فرصة التكريم التى كان أول سببها محنة المرض ، ولكن كيف تتجلى فيها آثاره ؟

أما الدكتور ابراهيم ناجى فيظهر أنه كد شاعريته فى هذه القصيدة حتى أتعبها فحرص على أن يحلق ، فحلق ولكن جناحيه لم يقويا كثيرا على التحليق ، فجاءت القصيدة أقل من مستوى شعره · ومن تحليقه قوله :

أذاك صوتك أم فى الخلد تنزيل

على الثـرى لك أكبـاد مصفقة

وفى السموات اكبار وتهليل

وقوله محدثا عن الفن :

وحسبه وقطوف منك دانية

بأنه فى وجود العيش تجميل

فماأبدعصورة الحياةمجملا وجهها

بآيات الفن ·

وقد قال عن النيل يرنو نحو أم كلثوم :

جرى النسيم على وجه الغدير به

كأنه فى شفاه الفن تقبيل

وأدع لفظ « الغدير » قلقا فى موضعه هنا ، وأنظر فى جرى النسيم على صفحة الماء ، هل يصلح تقبيلا فى شفاه الفن ؟ وما جدوى تمثيل الفن شخصا له شفاه فيها تقبيل يشبهها النسيم ؟ لا أستطيع أن أخرج من ذلك بشىء ·

وألقى الأستاذ كامل الشناوى قصيدة حاول فيها أن يخدع برنات كلماتها وقوافيها ، وهذا مطلعها :

فديتها منحة ، السحر أعطاها

والسحر والشعرشىء منعطاياها

وفيه ترى السحر من عطاياها ··· وهى من عطايا السحر ··· أى انهما يتعاطيان ! وقد جانبه التوفيق « الذوقى » فى مقارنته بين أم كلثوم وانقسام الذرة ····

لانهما يتنافسان على المجد فى هذا الأوان · ويتساءل أيهما أولى بالمباهاة ، ويجيب :

الفن أولى ففيه رحمة وهدى

الفن قنبلة تأسو شظاياها

ولست أدرى كيف يكون الفن رحمة وهدى وقنبلة ذات شظايا ·· ولا أخال الأستاذ الا معتزا بأن جعل شظايا القنبلة تأسو ولكنا لا نأمنها ، وما انفجار الذخيرة فى جبل المقطم ببعيد ·

وفى القصيدة أبيات لا بأس بها منها :

الصوت بعض هداياها وقد فتنت   به الخلود فأمسى من هداياها

الرسـالة ـ ١٩٤٩/١٠/١٤

محنـة وتضـامن

أشرت فى مقال سابق الى مقال الدكتور طه حسين بك عن المازنى فى الأهرام ، واقتراحه فيه على وزير المعارف أن يكتب الى رئيس الوزراء طالبا تقرير معاش لأسرة المازنى · وقد عاود الدكتور طه الكتابة فى هذا

الموضوع بمقال عنوانه « تضامن » دعا فيه ــ بعد أن أبدى يأسه من استجابة الحكومة ــ الى أن يتضامن من الأدباء « ويجمعوا أمرهم على أن ينغصوا على رئيس الوزراء ووزير المعارف أمرهما كله ، وأن يؤرقوا ليلهما ويجعلوا يومهما عسيرا ، حتى يفرغا من هذه القصة ، ويفرغا منها على النحو الذى نريده لا على غيره من الأنحاء » ٠

وقد بدا شعور الدكتور طه فى ذينك المقالين صادقا نبيلا ، وقد بدا هو فى كتابته انسانا هماما ، وأريد أن أستطرق الى ما أريد أن أقول بأنه واجه الأمر مواجهة عملية على ما يقتضيه واقعنا وما تجرى به الأمور فى حياتنا الراهنة ، فقد رأى أن أسرة المازنى طال بها الانتظار أكثر مما ينبغى دون أن يعمل لها شئ يكفل لها الحياة الكريمة اللائقة بها ، فلم يكن بد من أن يتناول الأمر على ذلك النحو ، ولكننى لا أستطيع أن أكتم احساسا دقيقا يضطرب فى نفسى ، وهو أن عرض هذه المسألة على الصحف يمس كرامة الأسرة ، وكان ينبغى أن يوجد الباعث على التدبير المنشود لها دون اثارة علنية ، فان لم يوجد هذا الباعث لدى ولاة الأمور أو شغلتهم عنه الشواغل ، نبهوا عليه ، وكان ينبغى أن يكون هذا التنبيه نهاية الأعذار ٠ ولكن ما تجرى به الأمور فى حياتنا الراهنة غير ذلك ، فقد تجاوز الكاتبون نهاية الأعذار ، وجاء الدكتور طه فحمل حملته الصادقة ، ومع ذلك لا تزال «الرسميات» نائمة كأن أحدا لم يوقظها ٠٠ ولو استقامت الأمور لما اضطر أحد أن يكتب فى ذلك ، بل كان يتم كل شئ على ما يرام دون أن يعلم الناس بشئ ، فجناية الدولة مركبة من الاهمال أولا ، ثم من اضطرار الكتاب الى المجاهرة ٠ والرسميات التى تصم أذنيها ازاء الأدباء ، ذات حساسية شديدة فى مواطن أخرى ٠٠ وليس أبناء الأدباء بأقل استحقاقا للرعاية ــ لو استقامت الأمور ــ من أبناء « الباشوات » فليس آباء أولئك أقل خدمة وأثرا فى مصلحة البلاد ورقيها من آباء الآخرين ٠

وأريد لهذه المناسبة أن أشير الى شئ ينفع فى هذا الصدد ، فقد كان فى وزارة المعارف لجنة تقرر الكتب للمطالعة الحرة فى المدارس الثانوية ، وقد اختارت فى العام الماضى كتبا كثيرة يستفيد منها مؤلفوها آلاف الجنيهات ، وللأسف البالغ مداه أن المازنى لم يقرر له فيها كتاب ٠ ولندع ما فات ، فوزارة المعارف تستطيع الآن أن تقرر بعض كتب المازنى ، فتحقق بذلك أمرين جليلين ، أولهما النفع المادى للأسرة ، والثانى انتفاع الطلاب بمؤلفات الأديب الكبير ، ولا شك ان هذه المؤلفات تنال اقبال الطلاب عليها ، كما أن فائدتهم من قراءتها محققة ، لما فيها

من السهولة والطلاوة الى جانب القوة والغزارة . وهى على أى حال ليست أقل مما قرر مهما تواضعت .

تلك هى المحنة ، وما هى محنة المازنى وأسرته فقط ، وانما هى محنة سائر الأدباء فى مصر ـ وجلهم من هذا القبيل ـ وما ينتظر أسرهم من بعد العمر الطويل . أما التضامن فهو ما دعا اليه الدكتور طه اذ قال : « أما بعد فقد آن للأدباء فيما أعتقد أن ينظموا أمرهم ويجمعوا كلمتهم ، ويؤلفوا جماعتهم ، ويضمنوا لأنفسهم اسماع الحكام وغير الحكام ما ينبغى أن يسمعوه » فهل تجد هذه الدعوة صدى عند الأدباء وخاصة كبارهم ؟ لقد صار لكل طائفة فى مصر هيئة تنظم أمورها الا الأدباء ، وصار للمحامين نقابة ، وكذلك المهندسين والأطباء والممثلين والموسيقيين وغيرهم، أما الأدباء فهم يعيشون عيشة فردية بحتة ، مع أنهم من أحوج الناس الى النظام الجماعى لرعاية حقوقهم وتنظيم شؤونهم الأدبية والمادية ، ولا شك أن الجماعة المنشودة يجب أن يقودها الكبار ، وها نحن قد سمعنا صوت الدكتور طه حسين ، وبودنا أن نسمع غيره .

الرسـالة ١٢/١٢/١٩٤٩

على هامش الرحلة

ركبنا بعد انتهاء حفلة التأبين (تأبين على محمود طه فى المنصورة) ودفعنا الى قصر الأستاذ عميد الرسالة بضيعته القريبة من مدينة المنصورة. ران علينا فى أول الأمر وجوم من ذكرى الفقيد الذى رحلنا للمشاركة فى تأبينه . ولكن كان معنا الأستاذ محمد مصطفى حمام ... وكيف يكون معنا حمام ولا يتبدل هذا الحال ؟ هذا الأستاذ الزيات الذى كان يغالب دموعه وهو يلقى كلمته فى الحفل لم يلبث أمام غزوة حمام الفكاهية أن استسلم ونشط للايناس ، وزادت بشاشته اذ حللنا داره .

جعل حمام يحدثنا حديثا عجبا من كل لون . ولكنه أفاض فى الرواية عن جماعة من الظرفاء تميزوا بطابع خاص أو كان لكل منهم طابعه الخاص ، ولكنهم يجتمعون فى صفة مشتركة هى غزو مجالس الكبراء وكسب مودة هؤلاء وعطفهم بما يأتون من الملح وما يحسنون من الدعابة وأساليب التهريج ، من هؤلاء من مات كالشيخ عبد الحميد النحاس ومنهم من لا يزال على قيد الحياة ولا شك أن حياة هؤلاء جديرة بالكتابة عنها فهم يمثلون لونا يشبه ما ذخرت به كتب الأدب من أمثال « الأغانى » و « العقد الفريد » وغيرهما ، وللكتابة عن هؤلاء المعاصرين قيمة خاصة

من حيث ملابساتهم العصرية واتصالاتهم برجالات العصر الحديث ، وما يقترن بذلك من مفارقات وطرائف فى الأدب والسياسة والاجتماع . وقد أشرنا على حمام أن يكتب هذه الذكريات ويجمعها فى كتاب أو كتب ، ولكنه يقول : يخيل الى أن الحديث عنهم لا يحلو الا شفويا . والواقع أن حمام يتقمص الشخصية التى يتحدث عنها ويضيف اليها نفسه .. فاذا حكى أن فلانا قال فالقائل هو حمام .

واذا رأى ما يقصه لم يحدث فى المجلس التأثير المطلوب ارتجل ما يصل به الى ما يريد من التأثير ناسبا اياه الى من يتحدث عنه . فهو وضاع فنان لا يشق له غبار ..

وكذلك كان الرواة والمؤلفون فى القديم على ما يخيل الى . فأكثر ما نقرؤه من قصصهم ونوادرهم موضوع ، لم يقصد به الكذب وانما قصد به الفن . ولك أن تعتبره خيالا على نحو الواقع ، يشبه فى ذلك فن القصص العصرى .

ونعود الى حمام وطرائفه التى أغرقنا فى سيلها المتدفق . حكى عن أولئك الظرفاء أنه التقى فى بلدة بامام المسجد ، فرآه يحمل بعض العنب فى قرطاس ، فبادره بقوله : ما هذا يا مولانا ؟ عنب ؟ ولماذا لم تشتر بطيخة بدل هذا العنب ؟ ألا تعلم ما للبطيخة من مزايا لا توجد فى العنب أو غيره ؟ انك عندما تقصد الى الفكهانى لشراء البطيخة ، يقف لك فى احترام وتقلب أنت البطيخ ، فيراك الناس فيقبلون يجاملونك بانتقاء بطيخة جيدة ، وبعد الشراء يأمر الفكهانى صبيه ليحملها وراءك وقد يتطوع لذلك أحد الناس وقد يكون من وجهاء البلد . وفى هذه الحركة مظاهرة ذات شأن ، اذ يعلم الناس أن الشيخ قد اشترى بطيخة. فأين من هذا أقة العنب التى تأخذها وتذهب لا يدرى بها أحد ...

وانه لمن الوجاهة أن تسير وشيخ البلد يحمل لك البطيخة . وعندما تقترب من باب الدار تنادى : يا ولد .. تعال خذ البطيخة .. وتلتفت الى حاملها قائلا بأعلى صوتك : تفضل .. والله تفضل . ولا تخش شيئا فانه لن يتفضل . وبذلك يسمع الجيران ويعلمون أن الشيخ كريم يدعو بعزم شديد ، كما يعلمون أنه يبر أولاده فيشترى لهم البطيخ .. وتدخل البطيخة فيهرع اليها الأولاد ، هذا يركلها ، وذا يدحرجها ، وذاك يزاحم أخاه عليها ، وذلك يصيح : بابا أتى ببطيخة . وأنت من وراء ذلك كله تنظر مغتبطا ، ثم تصيح : هاتوا السكين . ويكون قطع ثم قضم ونحت . ويبقى القشر واللب فالأول تقطعونه للدجاج أو تتفضلون به على دجاج الجيران ، والثانى تجففونه وتقلونه وتتسلون به أنتم وضيوفكم نحو

أسبوع .. وهكذا تقضون أسبوعا حافلا بالمرح والمسرة جديرا بأن يسمى « أسبوع البطيخة » فيا سيدنا الشيخ أين من هذا كله أقة العنب التى يلتهم كل منكم حبات منها فتذهب فى الحال لا يبقى لها ذكر ولا أثر ؟

وشملت ظرائف حمام نوعا من الناس تراه ظافرا مقدما عند الكبراء وغيرهم ، ولا مزية لأحدهم ظاهرة ولا كفاية تبرر ما يلقونه من نجاح وتقدير ، هذا أحدهم فى مجلس رجل من رجالات الدولة يقول له صاحب المجلس وهو يعلم أنه لا يحسن شيئا مما يطلب منه : أنشدنا قصيدة من شعرك .

- لست شاعرا .
- قل لنا زجلا .
- لا أقول الزجل .
- اقرأ لنا ما تيسر من القرآن الكريم .
- لست من أهل القراءة .

فيقول الكبير : اذا كنت لا تنظم الشعر ولا الزجل ولا تقرأ القرآن مع ما أنت عليه من زى علماء الدين ، فبأى حق تجلس معنا ، يا .... وما بعد « يا » هو المزية التى من أجلها يجلس صاحبنا فى مثل ذلك المجلس ..

الرسالة - ٦/٣/١٩٥٠

لم هذا الشعر الرمزى ؟

فى عدد ابريل الحالى من زميلتنا مجلة « الكتاب » كلام الدكتور بشر فارس ، عنوانه « الشاطىء الحافل » وأوله :

أنا السيد الأعلى للشاطىء الحافل
اليه من مواغل الأرض تقبل الضمائر
ذوات الرغبات الخسائل
عاجزات ، غيارى
فتموت .

وقد كتب تحت العنوان (شعر) لكى يلقى القارىء باله الى أن هذا الكلام شعر ... أو لكى يزول عنه الشك فى أنه شعر وان كانت هذه الكلمة غير كافية لازالة الشك ، فلا أقل من أن يقال : والله العظيم انه

شعر . وقد علق عليه الأستاذ عادل الغضبان بكلمة أنكر فيها نسبة هذا الكلام الى الشعر ، حتى الشعر الرمزى القائم على التعريض والكناية ، فعقب عليه الدكتور بشر بأن الرمز عنده ليس بالتعريض والكناية ، بل هو « ابراز المضمر واستنباط ما وراء الحس من المحسوس وتدوين اللوامع والبواده » وماذا يعنى ؟ والله أعلم . خذ مثلا « ابراز المضمر » هل أبرز فى ذلك « الشعر » مضمرا ؟ ألست تراه ـ على العكس ـ زاده اضمارا على اضمار ؟ وأنا أفهم ان ما يقع عليه الحس هو المحسوس ، أما ما وراء الحس فكيف يكون محسوسا ؟ وأما « اللوامع والبواده » فكل شاعر يدونها ، ولكنه كلام غريب . والمطلوب أن يدهش وأن تصرف غرابته عن طلب ما وراءه .

أقصد بعد ذلك الى الأستاذ ابراهيم الابيارى الذى كتب فى نفس العدد مقالا بعنوان « الرمز فى الشعر العربى » وغاية المراد هى الرمزية فى شعر الدكتور بشر فارس ، وقد « بدهنى » من هذا المقال أن الأستاذ الابيارى تحول فيه من الاغراب اللغوى الى الاغراب بـ «اللوامع والبواده» . عرف الأستاذ « الرمزية البشرية الفارسية » بأنها « رمزية الصورة وهى أن ينعقد فكر الشاعر على حقيقة ما فيحيلها خيالا ، يختار له صورة تتفق ومعناه ثم يذهب يضم اليهـا ما يشبع نواحى تلك الصـورة المتخيلة اشباعا » وكل شاعر ينعقد فكره على حقيقة يحيلها خيالا يصوره ويشبعه اشباعا ، فما الجديد ؟

وليقل الأستاذ الابيارى ما يقول ، ولينجز ما وعد أو توعد به من اطالة الحديث فى هذا الباب والتقعيد له .. انما أريد أن أقف معه ازاء « الشاطىء الحافل » أو « الشاطىء الحافى » كما ينبغى أن يقال ليكون أشد امعانا فى الرمزية . ولننظر فى الفقرات السابقة التى نقلتها من أول « القصيدة » ما هى الحقيقة التى انعقد عليها فكر الشاعر .. الخ ؟ ولنفرض أننا استطعنا ـ بعد الكد وحمل النفس على ما لا تستطيب ـ أن ندرك ما يرمى اليه القائل ، فما غاية هذا العناء ؟ وما محصوله . وهل فيه جمال من جمال الفنون .

لطالما أسمعنى الدكتور بشر فارس من أمثال ذلك « الشعر » ـ عفا الله عنه لحسن نيته ... وأنا أقول له : انى لا أفهم شيئا ، فيحاول أن يبين ، وكنت أحيانا أصل الى أنه يريد شيئا ، ولكن لا أجد هذا الشىء يستحق كل ذلك الشقاء ، شقاءه وشقائى .. وقد يثبت لهذا الصديق الطيب وأشفقت عليه مما يعانيه ، ولكنى أرى العدوى تصل الى صديق آخر طيب أيضا ، هو الأستاذ الابيارى ، وقد يئست من الأول ، وبقى

لى أمل فى الثانى ، لعله يبين لنا الحقيقة والصورة وما أكلت منه حتى شبعت ، على أن يذكر فائدة هذا اللون من الكلام وهل فيه ما نطلب فى الشعر من متعة فنية ، أو هو كلام غير مألوف والسلام ٠٠

الرســـالة ـ ١٩٥٠/٤/١٧

معركة القزوينى فى الأزهــر

هى معركة طريفة بين أستاذين من أساتذة كليـــة اللغة العربية بالجامع الأزهــر ، هما الشـيخ عبـد المتعال الصعيدى والشـيخ محمـد عبد المنعم خفاجى ، وتدور رحا المعركة على كتاب « الايضاح » فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى ٠ وذلك أن للأستاذ الصعيدى شرحا لهذا الكتاب يتداوله الطلاب منذ سنين ، فجاء الأستاذ خفاجى ووضع له شرحا آخر أخذ طريقه أيضا الى أيدى الطلاب ، فأصدر الشارح الأول كتابا اسمه « تنوير الطلاب » نقد فيه مسلك الشارح الثانى ٠ وقال : أنه عنى بنقل عبارات الحواشى ، ومماحكاتها اللفظية بأسلوبها الذى لا يليق بعصرنا ٠ فهب الشارح الثانى يدفع الغارة بمثلها ، فأصدر نشرات تحمل عناوين مثل « بينى وبين الناقد العالمى البروفسير الأستاذ الصعيدى » و « بينى وبين زعيم المجددين فى البـلاغة » وقد ذهب فى هــذه النشرات الى أن الأستاذ الصعيدى خشى من منافسة شرحه الذى كان الميدان خاليا له من قبل ٠٠ ومما قاله : « والطريف حقا أن ناقدنا الكبير يرى أن الايضاح ملك له وأنه كان حجرا محجورا على سواه أن يتناوله بالشرح والتعليق ، لأن عمل الناقد فيه معجزة الأجيال ولأنه قد فرضه على الطلاب المساكين فرضا وحمله اليهم فى حقيبته صباح مساء » ٠

وتبودلت النشرات والحملات بين الأستاذين الجليلين ، بعضـها فى التجريح الشخصى ، وبعضها فى مسائل « العلم » من نحو اسناد بيت من الشواهد الى غير قائله أو تحريف فيه أو توجيه لقول « المصنف » ومما اختلفا عليه : هل مقدمة « الايضاح » مقدمة كتاب أو مقدمة علم ٠ وكم فى ذلك من نظر ٠

ويقول الأستاذ الصعيدى : « ويا ويل الأزهر فى عصر الذرة اذا علم الناس أنه لا يزال يبحث فى متعلقات الفعل ، الامها مكسورة أم مفتوحة » فماذا يقول الناس اذن اذا علموا أن أساتذة الأزهر ـ فى عصر الذرة ـ لا يزالون يبذلون جهودهم فى العراك على ايضــاح القزوينى ؟ وليت الأستاذين الفاضلين بذلا هذه الجهود فى تاليف بلاغة أخرى غير بلاغة

لى أمل فى الثانى ، لعله يبين لنا الحقيقة والصورة وما اتلت منه حتى شبعت ، على أن يذكر فائدة هذا اللون من الكلام وهل فيه ما تطلب فى الشعر من متعة فنية ، أو هو كلام غير مألوف والسلام ٠٠

الرســالة ـ ١٩٥٠/٤/١٧

معركة القزويني فى الأزهــر

هى معركة طريفة بين أستاذين من أساتذة كليــة اللغة العربية بالجامع الأزهــر ، هما الشيخ عبـد المتعال الصعيدى والشيخ محمـد عبد المنعم خفاجي ، وتدور رحا المعركة على كتاب « الايضاح » فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى ٠ وذلك أن للأستاذ الصعيدى شرحا لهذا الكتاب يتداوله الطلاب منذ سنين ، فجاء الأستاذ خفاجي ووضع له شرحا آخر أخذ طريقه أيضا الى أيدى الطلاب ، فأصدر الشارح الأول كتابا اسمه « تنوير الطلاب » نقد فيه مسلك الشارح الثانى ٠ وقال : أنه عنى بنقل عبارات الحواشى ، ومماحكاتها اللفظية بأسلوبها الذى لا يليق بعصرنا ٠ فهب الشارح الثانى يدفع الغارة بمثلها ، فأصدر نشرات تحمل عناوين مثل « بينى وبين الناقد العالمى البروفسير الأستاذ الصعيدى » و « بينى وبين زعيم المجددين فى البـلاغة » وقد ذهب فى هـذه النشرات الى أن الأستاذ الصعيدى خشى من منافسة شرحه الذى كان الميدان خاليا له من قبل ٠٠ ومما قاله : « والطريف حقا أن ناقدنا الكبير يرى أن الايضاح ملك له وأنه كان حجرا محجورا على سواه أن يتناوله بالشرح والتعليق ، لأن عمل الناقد فيه معجزة الأجيال ولأنه قد فرضه على الطلاب المساكين فرضا وحمله اليهم فى حقيبته صباح مساء » ٠

وتبودلت النشرات والحملات بين الأستاذين الجليلين ، بعضـها فى التجريح الشخصى ، وبعضها فى مسائل « العلم » من نحو اسناد بيت من الشواهد الى غير قائله أو تحريف فيه أو توجيه لقول « المصنف » ومما اختلفا عليه : هل مقدمة « الايضاح » مقدمة كتاب أو مقدمة علم ٠ وكم فى ذلك من نظر ٠

ويقول الأستاذ الصعيدى : « ويا ويل الأزهر فى عصر الذرة اذا علم الناس أنه لا يزال يبحث فى متعلقات الفعل ، الامها مكسورة أم مفتوحة » فماذا يقول الناس اذن اذا علموا أن أساتذة الأزهر ـ فى عصر الذرة ـ لا يزالون يبذلون جهودهم فى العراك على ايضــاح القزوينى ؟ وليت الأستاذين الفاضلين بذلا هذه الجهود فى تأليف بلاغة أخرى غير بلاغة

الايضاح ، تجدى على الطلاب فى تنمية ملكاتهم الأدبية على النحو الموافق للعصر ، والأستاذ الصعيدى نفسه يرى أن تلك البحوث التى يحويها الايضاح وأمثاله مماحكات لفظية وانها لا تليق بعصر الذرة ، فلم اذن يشغل نفسه بشرحها والتعليق عليها والعراك من أجلها ؟

والعجيب أن يصنع الأستاذ ذلك وله نشاط معروف فى الكتابة والتأليف ، ولكن يظهر ان المسئولين عن مناهج الدراسة فى الأزهر هم المسئولون عن ذلك ، فان التمسك بتلك الكتب جعل الأساتذة ــ حتى المنتج منهم ــ يدورون حولها ثم يتنازعون عليها ، وكان الأولى أن تصرف هذه الجهود فى العمل المنشود لاحياء التأليف الملائم للعصر بالأزهر ٠

ويبدو لى أن تلك المعركة لا يفضها الا أحد أمرين ، الأول أن تلغى دراسة الايضاح من الكلية، فيرفع « اللحاف » من بين المتنازعين عليه ، وبهذا تخلص العقول الجديدة من تنافره وتعقيده ٠ الأمر الثانى أن تبلغ مجلتنا « الرسالة » الى « قزوين » حيث يعلم بالأمر أحد أحفاد الخطيب القزوينى ٠٠ فيطالب بحقه فى « الايضاح » الذى ألفه جده الكبير ٠٠

الرســـالة ــ ١٩٥٠/٥/٨

الاصـلاح الحقيقى للأزهـر

نشرت الأهرام منذ خمسين سنة ما يلى : « ارتأى فضيلة الامام الشيخ محمد عبـده ، بعـد أن درس (بروغرامات) تعليم الأزهـر وغيرها من (بروغرامات) الدروس ، ادخال تعديلات كثيرة على (بروغرام) الأزهر ، فقدم تقريرا بذلك ، وضمنه (البروغرام) الواجب التدريس بمقتضاه ، ومن أحكامه ادخال جميع العلوم ، من كيمياء وفلسفة وهندسة وغيرها ، ورفع هذا التقرير الى السدة الخديوية ، فأحالته الى لجنة العلماء المؤلفة من ثلاثين اماما من أئمة الأزهر الأفاضل ، فاجتمعت هذه اللجنة برياسة حضرة المفتى ، لان سماحة العلامة المفضال شيخ الأزهر الرئيس الشرعى لهذه اللجنة ترك رياسة هذه الجلسة لفضيلة الشيخ محمد عبده ، ليكون أطلق يدا فى تأييد مبادئه الجديدة المعارض لها شيخ الأزهر » ٠

كان ذلك منذ خمسين سنة ، وكانت تلك أول خطوة نحو اخراج الأزهر من عزلته ليساير ثقافة العصر الحديث ٠ أدخلت العلوم الحديثة الى الأزهر منذ ذلك الحين ، وقد تحايل المصلحون اذ ذاك على جذب الطلبة اليها بمختلف الوسائل ، فألفوا فيهـا ودرسوها على الطريقة الأزهرية القديمة ، فكانوا مثلا يعرفون مصطلحات علم الحساب كالجمع والطرح

ويخرجون محترزات التعريف فالجمع هو ضم عددين أو أكثر من جنس واحد لينتج ناتج يسمى حاصل الجمع ، و « الأس » هو عدد صغير يوضع فوق عدد آخر للدلالة على حاصل ضربه فى نفسه مرة أو أكثر ٠٠٠ وهكذا وقد نظم بعض الطلبة مسائل الجغرافيا ليسهل عليه حفظها كما يحفظ المتون المنظومة ، ومن ذلك قول الناظم :

افريقيا يا عالما بالحال تحد بالبحر من الشمال

وتعاقب أساتذة العلوم الحديثة فى الأزهر ، حتى كان عهد المغفور له الشيخ المراغى الذى نقل الطلبة من المساجد الى أبنية مدرسية ، وجعل برامج دراسة العلوم الحديثة مطابقة لبرامج المدارس الابتدائية والثانوية، وأحضر لتدريسها نفس أساتذة هذه المدارس ، وأدخل كذلك على مناهج الدراسة فى الكليات ما يناسبها من الدراسات العصربة وندب لتدريسها أساتذة من الجامعة وبعض المدارس العالية ٠

وصار الأزهر ــ كما نراه الآن ــ يدرس العلوم الحديثة بفضل ذينك المصلحين العظيمين ، وقد خطا كل منهما الخطوة « الممكنة » فى زمنه ٠ ولكن هل هذا هو الاصلاح الحقيقى المنشود للأزهر ؟

قلت فيما مضى أن العلوم الحديثة فى الأزهر « روافد » ثقافية ، وأقصد بذلك أنها تمد المجرى الأصيل وهو علوم الشريعة الاسلامية ، ولن يكون الأزهر حديثا ومسايرا لركب الزمن ومحققا لما يطلب من جامعة اسلامية فى القرن العشرين ، الا اذا عرض هذه العلوم بأسلوب حديث وطبق أصولها على مسائل العصر الحديث ٠ وهذا هو ما أعنيه بالاصلاح الحقيقى للأزهر وهو يتطلب مصلحا « ثالثا » يخطو الخطوة « الثالثة » وهى الخطوة التى ستكون فى الصميم ٠

ان الأزهرى الحديث يشعر بأنه ذو شخصية مزدوجة : من قديم ومن حديث ، فهو يشارك النــاس فى المجتمع العصرى كثيرا من ألوان النشاط العصرى ، على اختلاف حظوظ الأشخاص من ذلك ، ويسايرهم فيها ، ويجيد فى بعضها ٠ ولكنه مع كل ذلك يشعر بشخصية ثقافية قديمة لا يكاد يبديها لأنها لا تلائم العقلية التى تحيط به ٠ ولو أنه تلقى ثقافته الاسلامية بطريقة عصرية ، وبتطبيق عصرى ، لما أحس بهذا الحاجز القائم فى عقله بين ثقافتين مختلفتين ٠

وأريد أن أقول لأولئك الذين كتبوا كلمة هنا وكلمة هناك : ان الأزهر ليس مقصورا على من ينتسبون اليه ويحملون شهاداته ، بل هو للجميع بأعتباره منبع المعرفة الاسلامية ، ولم أقصد فيما أوردته من رسائل

الطلبة وما عقبت به الا الصالح العام عن طريق تكوين جيل اسلامى جديد يعرض الثقافة الاسلامية عرضا جديدا ويلائم بينها وبين مقتضيات العصر .

وقد قصدت فى كتابتى السابقة أن أشرك الطلبة وأفسح لهم كى يعبروا عن مشاعرهم ويبدوا أفكارهم ، واتبعت الطريقة « الاستنتاجية » فاستنبطت منهم عناصر الموضوع حتى بدا تناوله جديدا وان كانت الأقلام تعاورته من قبل ، وقد قصدت بذلك أن أستحث الجيل القائم من علماء الأزهر على أن يخرج كنوزه للناس ، فقد قضوا أشطارا من أعمارهم فى دراسة تلك الكتب وادراك مراميها ، وهؤلاء العلماء هم الذخيرة الحية الباقية والطلبة فى هذا العصر تؤودهم المناهج المزدحمة وقد أصبحوا لا يسيغون أساليب التأليف القديم وصارت نفوسهم منصرفة عنها فلن يقبلوا عليها مثل أسلافهم ، فواجب أولئك العلماء أن يؤدوا الأمانة التى تلقوها عمن قبلهم بطريقة تناسب العقلية الجديدة عقلية من يراد منهم أن يتسلموها ، ولا ينبغى أن نيأس من قعود الأساتذة عن هذا الغرض ، فأنا واياهم ننتظر المصلح الثالث الذى قد يكون شيخا للأزهر ، وقد يكون رجلا آخر من رجال الأزهر يفسح له الشيخ الأكبر ، وان كان يعارضه ، ليكون أطلق يدا ...

الرسالة ــ ١٩٥٠/٥/١٥

مصر والعروبة

نشرت صحيفة « المصرى » يوم السبت من الأسبوع الماضى مقالين عن مكان مصر من سائر البلاد العربية ، لأستاذين كبيرين هما المفكر العربى ساطع الحصرى بك ، والأديب المصرى الدكتور أحمد زكى بك ، والمقالان يمثلان وجهتى النظر المختلفتين فى هذا الموضوع ، الأول يقول بالقومية العربية وبأن مصر هى زعيمة هذه القومية ، والثانى يقول كما ينطق عنوان مقاله « ما العرب وما الفراعنة ، انما نحن قوم مصريون » ولا أدرى هل قصدت الصحيفة أن تملأ الكفتين فى عدد واحد أو هو مجرد اتفاق ، والمحقق أن كلا من الكاتبين كتب مقاله وهو لا يعلم شيئا عن مقال الآخر .

وقد ثنى الأستاذ الحصرى موضوعه بمقال آخر نشرته الصحيفة يوم السبت من هذا الأسبوع . فى المقال الأول أعرب عن ايمانه بأن مصر تعتنق الفكرة العربية وأن الطبيعة زودتها بكل الصفات والمزايا التى تحتم عليها أن تقوم بواجب الزعامة والقيادة فى انهاض القومية العربية ، وقال

أنه لم يقنط من انتشار فكرة القومية العربية فى مصر يوما من الأيام ، وأن احجام مصر عن الاشتراك فى الثورة العربية التى قامت ضد السياسة العثمانية انما كان لظروف سياسية وعوامل تاريخية ، وهى ظروف وعوامل عارضة كان طبيعيا أن تتغير بعد مدة ، كما كان طبيعيا أن يتبدل موقف مصر والمصريين من حركات القومية العربية تبدلا ظاهرا تبعا لتغير تلك الظروف ، وأخذ الشعور بالعروبة فى مصر يغمر نفوس المصريين شيئا فشيئا ، حتى اشتد خلال الحرب العالمية الثانية ، وبلغ حده الأقصى بعد تأسيس جامعة الدول العربية وعند بدء الحركات السياسية والحربية لانقاذ فلسطين من براثن الصهيونية · ولكن الاخفاق الذى منيت به هذه الحركات أثر فى هذا التيار الفكرى تأثيرا سيئا وعرض فكرة العروبة لنكسة أليمة جدا · الى أن قال : انى أقدر مرارة الآلام التى شعر بها المصريون بحق من جراء سير الوقائع الحربية فى فلسطين ولا سيما صفحتها الأخيرة · ولكنى أعرف أن جميع المؤمنين بالقومية العربية شاركوا المصريين فى هذه الآلام ، وأن المثل العليا القومية لا يمكن أن تتحقق فى حملة واحدة · ثم أرجع الأستاذ عدم تقدير هذه الحقيقة ـ فى أهم أسبابها ـ الى اختلاط مفهوم « الفكرة العربية » بأعمال « جامعة الدول العربية » فى أذهان الكثيرين من الخاصة والعامة · وبعد ذلك أوضح الفرق بين جامعة الدول العربية « التى تأسست سنة ١٩٤٥ بموجب الميثاق المعلوم ، وبين « الجامعة العربية » التى لا تزال فكرة تعيش فى أذهان الذين يؤمنون بوحدة الأمة العربية ايمانا صحيحا ، قائلا بأن كل من يتهجم على فكرة الجامعة العربية من جراء أعمال جامعة الدول العربية، يكون قد ارتكب ظلما فادحا ·

وأذكر بهذا رأى الأستاذ الحصرى أن القوميات انما تقوم على اتحاد اللغة قبل كل شىء ، وقد فصل هذا الرأى وطبقه على نشوء القوميات بأوربا فى المحاضرات التى ألقاها بدار الجمعية الجغرافية الملكية من نحو سنتين ، وقد اتخذ من القوميات الأوربية أمثلة خلص منها الى فكرة القومية العربية التى تقوم على لغة الضاد فى جميع بلاد العروبة ·

وكان المقال الثانى للأستاذ الذى نشر يوم السبت الماضى تطبيقا لفكرته فى أساس القوميات اذ رد به على حديث لسعادة الأستاذ لطفى السيد باشا أدلى به الى مجلة « المصور » أيد فيه مصرية المصريين مستشهدا باليونان فى تمسكهم بقوميتهم وتحقيق استقلالهم عن الأتراك ·

قال الأستاذ الحصرى ، ان اليونان لم يندمجوا فى الأتراك بسبب اختلافهم عنهم فى اللغة وفى الدين ، وقد تعرضت اليونان بعد انفصالها عن الدولة العثمانية لخطر الاندماج فى الشعوب السلافية فى أوربا التى

يجمعها بها المذهب الأرثوذكسى ، ولكنها تغلبت على الاعتبارات الدينية واستجابت لنداء اللغة والوطن ، فاليونانيون مدينون بكيانهم السياسى الراهن ـ قبل كل شيء وأكثر من كل شيء ـ الى تمسكهم بلغتهم القومية ٠ وقال : ألا يدل ذلك على أن سعادة لطفى السيد باشا قد حاد عن جادة الصواب عندما استصغر وتجاهل شأن اللغة فساوى بين العروبة وبين التركية خلال دعوته الى المصرية على أن هناك ما هو أهم من ذلك ، فبلاد اليونان لم تستقل كلها دفعة واحدة ، فقد استقل سنة ١٨٣٠ أقل من خمس بلاد اليونان الحالية ، وظل الباقى ولايات عثمانية ثم أصبحت من الدولة اليونانية فيما بعد ، ومع ذلك فان المفكرين وزعماء اليونان ومفكريهم لم يحصروا مفهوم الوطن اليونانى داخل الحدود التى خطتها السياسة الدولية ، ولم يقولوا : فلنحصر جهودنا داخل هذا الوطن الذى يرفرف عليه علمنا الرسمى ، ولم يتنكروا لهذه الأقطار المختلفة فيخرجوها من نطاق جهودهم الثقافية ومن حدود أهدافهم السياسية ٠ بل ظلوا يحلمون بالوطن الأكبر الذى يضم جميع المتكلمين باليونانية حتى تكللت جهودهم بالنجاح التام ٠ ألا يظهر من ذلك كله أن تاريخ اليونان الحديث لا يؤكد الرأى الذى أبداه سعادة لطفى السيد باشا ، بل انه ـ على عكس ذلك ـ يشهد شهادة صريحة ضد ذلك الرأى ويفنده تفنيدا قاطعا ٠

أما مقال الدكتور أحمد زكى بك فقد اشتمل على العناصر الآتية :

١ ـ تفنيد القول بأصول الأمم وأن الفكر الحديث قد أطرح هذه الأصول ، واستدل بأمة الولايات المتحدة التى تكونت من أمم مختلفة ، ولم يمنعها اختلاف الأصول أن تكون أمة مرتبطة مشتركة الاحساس ، يتسابق أفرادها فى الذود عنها ٠

٢ ـ الجماعات الانسانية تأخذ بالوراثة القليل الأقل من الآباء ، وتأخذ بالمران الكثير الأكثر من البيئات : الجغرافية والانسانية والثقافية والتاريخية والزمانية فأثر البيئة يغلب على أثر الوراثة حتى لا يكاد الثانى يبين ٠

٣ ـ المصريون لا تصلهم بقدمائهم صلة ، فالقبط الذين يقال انهم أخلص أنسابا لا يتفق بياضهم وخضرة عيونهم مع ما عرف عن القدماء ، وليس بينهم وبين المسلمين فروق بينة وقد هضم الوادى كل من دخله ٠

٤ ـ العربية عنصرية لا ترتكز على حقيقة ، فقد اختلطت الأنساب فى كل بلادها والاسلام رفض الأنساب ورفض الأحساب ٠

والخلاصة التى انتهى اليها الدكتور زكى بك أن مصر أمة بالذى فيها اليوم من أهل ٠ كانت أصولهم ما كانت ، مساكها روابط مما يربط

الأمم الحديثة ، وأكبر هذه الروابط رغبة أهلها فى أن يكونوا أمة واحدة ويدا واحدة على الخير وعلى الشر ، ومن هذه الروابط شركة فى أسلوب الحيـاة الواحدة والتفكير الواحد ، ومن وراء التفكير الواحد الثقـافة الواحدة ، ومن وراء العواطف الواحدة التاريخ القريب الواحد » ٠

والواقع أن هذه العناصر التى تحدث فيها الدكتور أحمد زكى بك لا تنفى عنـا القومية العربيـة ولا تقتضى انعزالنا مصريين خالصين من العروبة والعرب ، فالفكر العربى الحديث لا يقيم القومية العربية الحديثة على الأصول والأنساب ، فاذا قلنا اننا عرب فليس يلزم لصحة ذلك أن نكون منحدرين من أصلاب القحطانية أو العدنانية ٠ ويظهر من ابتداء المقالة أن الدكتور بنى كلامه على تصريح « الملك الهاشمى » القائل : « أن المصريين قوم أفريقيون ، فهم لا يفهمون العرب ، وليسـوا أهلا لتزعم العرب ٠ ولكن الملك الهاشمى اذ يقول ذلك يعزب عن باله مفهوم القومية العربية الحديثة ، وهو الوحدة المبنية على اللغة الواحدة والثقافة الواحدة المستندة الى التاريخ الواحد ٠ والعربى الحـديث ليس هو فقط الذى يستطيع أن يثبت نسـبه الى احدى القبائل العربية ، وانما هو يتكلم العربية ويشـارك قومه العرب فى كل أمة عربية مشـاعرهم ويرتبط بروابطهم ، والمثل الذى أتى به الدكتور زكى بك ، وهو الولايات المتحدة الأمريكية التى تكونت من أمم مختلفة الأصول ، ذلك المثل الذى ضيقه بالتطويق على مصر التى تكونت من عناصر مختلفة ، ينطبق فى اتساعه وحجمه على قد الأمة العربية التى يرجى أن تتكون من أمم مختلفة الأصول، والبيئات « الجغرافية والانسانية والثقافية والتاريخية الزمانية » تعطيها الوحـدة والتماسك ، الى جانب عامل الوراثة الذى يتمثـل فى اللغـة والثقافة ، ولا أقول فى الدم والعصب ، فالقومية العربية تتوافر لها البيئة والوراثة جميعا ، وقد نفى الدكتور صلة المصريين بقدمائهم ، وهذا حق لأن حاضرنا فى كل النواحى بعيد عن ذلك الماضى كل البعد ، وان كنا أحيانا نتكلف الاتصـال به مجاراة للغربيين الذين يصرون على تمجيد قدمائنا الفراعنة ، لانهم لا يحبون كلمتى « العروبة والاسلام » ولم يتعرض الدكتور بشىء من هذا القبيل بالنسبة لصلتنا بالعرب ، وما كان ينبغى له أن يفعل ، لأن الدكتور زكى نفسه بلغته التى كتب بها المقال وأسلوبه الأدبى العربى ، حقيقة ماثلة شاهدة على تلك الصلة الخالدة ٠٠

ولو لم يكن عنـوان مقال الدكتور أحمـد زكى بك « ما العرب وما الفراعنة ، انما نحن قوم مصريون » لصلح المقال لتأييد القومية العربية ودخول المصريين فيها ٠ وذلك بتعديل يسير فى بعض الأجزاء مثل ابدال « العرب » بكلمة « مصر » فى الخلاصة التى انتهى اليها ، فالعرب أمة

بالذى فيها من أهل الخ ، فعناصر الخلاصة كلها تنطبق على العرب بما فيها من « رغبة أهلها فى أن يكونوا أمة واحدة ويدا واحدة على الخير وعلى الشر » وأبرز هذه الفقرة بالذات لأقول أن هذه الرغبة موجودة يستطيع رؤيتها من ينفذ بصره الى الحقيقة خلال غبار الأحداث الأخيرة ، الذى أثاره « حكام » بحوافز مطامعهم ورغباتهم الشخصية ·

الرســـالة ــ ١٩٥٠/٥/٢٩

الأعمـــاق

هذه مجمـوعة قصصية للأستاذ عبـــد الرحمن الخميسى اسـمها « الأعماق » ، وكلها قصص ، حتى المقدمة التى تحدث فيها عن كاتب قصصى ، هو هو ، صوره لنا يقطع الليل كله مكبا على كتابة قصة لم يبق منها غير ما يحتـاج الى جولة نفسية واحدة استحضر فيهـا حالة شعورية لبطل القصة ويقسم نفسه قسمين ، قسما يعيش عيشة البطل ويحس احساسه وينفعل انفعاله ، والقسم الثانى يراقب الأول ويعبر عنه · وفى هذه الفترة التى يتلبث فيها ليجمع طاقته · يناجى نفسه ويستحضر الأحداث الكبيرة التى أثرت فى حياته ، وهى أحداث ثلاثة صهرته فى بوتقة الألم · واذا نحن نخرج من ذلك بقصة الكاتب نفسه ، وطريقته فى كتـــابة القصة ، التى تتمثـــل فى كلمتين « التجـريد » و « الاندماج » وهى طريقة كل فنان مخلص يصدر عن طبع أصيل ·

وشخصية الأستاذ عبد الرحمن الخميسى تظهر فى هذه القصص ، كما أجملها فى « قصة المقدمة » أعنى بذلك ظهور الشخصية فى الحديث عن أبطال القصة ، فهذا وان كان موجودا فى بعض القصص الا أن الأهم منه هو نظرته الى الأمور والى الأشخاص وطريقة انفعاله وتفكيره وتصويره·

هو كاتب صادق يستمد وجدانا أنضجته نيران الألم التى تحولت فى القصص الى نور يشع فيها هادئا فى قلق ، وترى هدوءه فى التحليل ، وقلقه فى مشاركة الأبطال آلامهم ، تلك المشاركة التى تعدى القارىء ، فتنقله الى الجو ، وهو فى قصصه ، كما عرفناه فى حياته ، دقيق الاحساس مســتوفز الشعور ومع ذلك له قدرة على ضـبط احساساته ومشــاعره وتوجيهها ، فهو فوار وهادىء ·· ولذلك تراه يسيطر على جو القصـة منسابا الى الدخائل والدقائق حتى يبلغ بك ما يريد وينقل اليك انفعاله دون حماس أو جلبة ، واذا أنت قد وصلت معه فى طريق لا غبـار فيه ولا ترام ولا سيارات ···

والمؤلف يتخذ موضوعاته وأشخاصه من واقع الحياة التى اضطرب فيها ، ويستطيع من يعرفه فى الحياة أن يلمح شخصيته فى بعض القصص كقصة « آه يا أسمر اللون » .

ويبدو لى أن الكاتب حريص على أن يصور حياة كاملة أو جزءا كاملا من حياة فى القصة ، ويدفعه ذلك أحيانا الى افتعال الخواتم التى تفسد العرض الجميل ، فقد جعل « دهب » تحلم حلما تتحرك فيه وتصعد الى حاجز الشرفة لينهى القصة بسقوطها مهشمة فى الطريق ... وكذلك فعل فى قصة « الأبله يحب » اذ جعل البطل يندفع الى الشرفة ويسقط منها الى الأرض كأنه حصان يقفز فوق الحواجز فى سباق .

وأنا أراه فى هذه القصص التى يمتد فيها ظله يعطف على نفسه بعض الشىء ، وأراه أكثر صدقا فى غير ذلك ، لقدرته على الاندماج ، ففيه طبيعة المثل التى اتخذت الكتابة أداة للتعبير ويبلغ اندماجه أقصاه وأروعه فى قصتى « دهب بنت عبد الباسط » و « الحنة يا الحنة » فقد اتبع فيهما طريقة المناجاة أو حديث النفس ، فجعلنا نسمع كلا من « دهب » و « حسنية » تفكر فى صوت مسموع يروى لنا ما يقع لها ، وهاتان القصتان من قصص المجموعة التى تبين اتجاه الكاتب الى القطع الآدمية المهدرة فى حياتنا الواقعة ، وقد بلغ قمة الانسانية فى قصة « دهب بنت عبد الباسط » وقد يكون حكمى عليها مشوبا بمشاركتى الوجدانية فى حادثتها التى تتكرر أمام أعيننا كثيرا فى صورة هؤلاء البنات الصغيرات اللائى يجلبن من القرى للخدمة فى البيوت بالمدن ، ففى القصة بنات ينتزعهن أبوهن أطفالا من حضن أمهن ليوزعن على سادته من (البكوات) .

وافتعال الخواتم هذا لا يتفق مع الواقعية التى يسير الأستاذ الخميسى على منهجها الواضح ، والواقعية هى أظهر خصائص هذه القصص ، وهى واقعية يضيف اليها الكاتب من ذاته ما يرفعها عن مجرد الملاحظة والتدوين فهى واقعية قيمة تستحق الغيرة عليها مما يمسها ، وقد رأيت هذا المساس - فيما عدا تلك الخواتم - فى بعض القصص ، ففى قصة « رسالة المنتحرة » طالبة فى الجامعة يسكن أهلها « زقاقا » قذرا فى القاهرة ، وأبوها وأخوها من العمال ، ولم يوضح لنا الظروف التى جعلتها المتعلمة الجامعية الوحيدة فى هذه البيئة الجاهلة التى تؤثر تعليم البنين على البنات ، وقد علمنا أن أخاها عامل فظ غليظ الكف ، فكيف وصلت هى الى الجامعة وقعد أخوها يرتع فى جهله « بالزقاق » ؟ وفى هذه القصة تصوير رائع لأخلاق النسوة فى هذه البيئة .

وفى قصة « آه يا أسمر اللون » يرافق البطل المغنية بعد انتهاء الحفلة الى المنزل الذى تنام فيه ، وقد رأيناه فى الحفلة مرتبطا بجماعة من رفاقه ، فكيف تركوه يذهب معها ؟ ومن حيث ان الحادثة فى قرية كيف يحدث ذلك دون أن يلفت الأنظار ؟ ويشبه هذا موقفه فى قصة « الموتى يتحكمون فى الأحياء » من الفتاة القروية التى منحها البطل جنيها لتأتى اليه طائعة ، ويحبهـا وتحبه ويفكر فى زواجها ، ليس هـذا التصوير ومما لا بسنه مما يتفق مع طبائع القرويين ، وفى هذه القصة يخبر أبو البطل بأمور غيبية ولم يفسر الكاتب هذا أى تفسير ، بل جعلها « كرامات » مسلمة وأمعن فى ذلك فجعل البطل المتعلم يتقيد بها ٠

وفى ختام قصة « من يوميات الرجل الذئب » يقول أنه وجد هذه اليوميات فى كراسة تحتوى اعترافات الرجل الذئب ، ثم يقول بعد ذلك مباشرة أن بطل اليوميات انسان عرفه الكاتب واستخلص نموذجه النفسى ، وليس من احـكام السبك أن يجمع بين هذين الأمـرين : العثـور على الاعترافات فى كراسـة ، واستخلاص النموذج النفسي الذى لا يكون الا بكتابة هذه الاعترافات ٠

وفى قصة « اللحن الأخير » قدم موسيقيا يعزف قصة حبه أمـام حبيبته فى تسلسل أخاذ ، وهو يرسم فى القصة مثلا للموسيقى المعبرة ذات الموضوع ، ولكنه لجأ الى طريقته فى افتعال الخاتمة ، فجعل البطل يموت وهو يطلق آخر نغمة من كمانه وحبيبته تلحق به جثة هامدة فى مكانها ٠٠ وأنا لا أحب للصديق الكريم أن يدأب على قتل أبطـاله فى آخر القصص ، فهذا غير لائق بفنان متزن مثله ، وخير له وللفن الواقعى وللأبطال أنفسهم ، أن يدعهم ، فلا يضحى بهم فى سبيل « الفرقعة » بآخر القصة ٠

الرســـالة ـ ١٩٥٠/٦/٥

شــهادة الموسـيقى

تقدم أحد الموسيقيين للشهادة فى قضية أمام احدى المحاكم الشرعية فرد القاضى شهادته ، لأنه موسيقى ٠٠ محتجا بالنص الفقهى القائل : « الزمار والطبال وكل من يشتغل فى اللهو لا يصح أن تسمع شهادته » ٠

دهش الرجل الموسيقى ، ودارت بينه وبين القاضى مناقشة ٠ قال له فيها : ان الموسيقى فنان له اعتباره فى المجتمع والدولة تعترف به وتقدره ٠ فلما أورد له القاضى ذلك النص ، قال الموسيقى : اذن فالمحكمة

لا تقبل شهادة عبد الوهاب أو أم كلثوم ٠٠ قال القاضى : نعم ٠ واننى معجب بأم كلثوم وأحب أن أسمع غناءها فى قصائد شوقى ، ولكن هذا كله لا يغير النص ٠

ونحن نرى ان موقف القاضى سليم من حيث تمسكه بحرفية النص ، ولكن ما هذا النص ؟ وما سنده ؟ وهل يلائم حياتنا العصرية ؟ انه ولا شك من اجتهاد الفقهاء ، ولابد انهم قالوا به بعد أن نظروا فى أحوال عصورهم، والأصل فى ذلك ألا تقبل الشهادة الا ممن يدل ظاهر حاله على أنه عدل ، وقد رأوا أن حالة الطبالين والزمارين ومن اليهم من أهل اللهو فى زمنهم لا تدل على العدالة ٠

والآن أين نحن من ذلك ؟ ان الموسيقى والغناء والتمثيل فنون رفيعة ، والموسيقيين والمغنين والممثلين لهم فى المجتمع بحق مكانة ملحوظة، ومنهم أعلام ذوو أقدار ، فكيف ترفض شهادتهم لا لشىء الا لأنهم موسيقيون أو مغنون أو ممثلون ؟ نعم ان فى بيئة المشتغلين بهذه الفنون بعض ذوى السلوك المنحرف ، ولكنهم كغيرهم ممن لم ينص على عدم قبول شهادتهم ، والعبرة بحال الفرد لا الطائفة ٠

لقد دهش ذلك الموسيقى حينما رفض القاضى قبول شهادته ، بل لابد انه شعر بألم عميق فى نفسه ، لأنه وهو يشعر بقدره وسمو فنه يرى أن القضاء لا يرفعه الى منزلة أى رجل عادى جاهل من ذوى الحرف والمهن تقبل المحكمة شهادته ٠ فكيف يستطيع فنان محترم أن يوفق فى عقله وفى شعوره بين منزلته الفنية والاجتماعية وبين تحقيره بعدم قبول شهادته فى المحاكم الشرعية ؟

هذا مثل لما وضع لزمن غير زماننا ، وأصبح لا يوافق زماننا ولا تمنع أصول الدين بل تقتضى أن نغيره الى ما يوافقنا ، بمقتضى انزال الناس منازلهم وتحقيق الكرامة لذوى نفوس ومشاعر كريمة ٠ وهو مثل نسوقه الى علماء الدين ، وفيهم من يحيون حياة عصرية يسمعون فيها الغناء والموسيقى ويشهدون التمثيل ، ومنهم معجبون بأهل هذه الفنون ، كذلك القاضى الفاضل ، وقد سمعت مرة عالما جليلا يقول فى مجلس يتحدث عن المغنين والمغنيات : نحن عشاق أم كلثوم ٠٠٠٠ الى آخر كلامه ، وهو يقصد أنه ممن يعشقون فن أم كلثوم فى الغناء ، وهؤلاء العلماء يخالفون فى ذلك ـ بحق ـ نصوصا فقهية تحكم بتحريم الغناء ، وأذكر ما كنت قرأته فى كتاب من كتب الفقه من « قول » لأحد الفقهاء مضمونه أن مجرد السماع حرام أما التلذذ بالنغمة فهو كفر ٠

ولا شك أنني لا أرى فى مسلك علمائنا العصريين الذين يستمتعون بتلك الفنون ويعجبون بأهلها ــ أى حرج ، ولكن الذى آخذه عليهم أنهم يزاولون حياة « علمية » غير الحياة العملية .

الرســـالة ــ ١٩٥٠/٦/١٢

بين صديقى وبينى أو بين الكفاية والوصولية

آسف أن أكون فى حديثى اليك عن تلك الفتاة الأمريكية ــ قد مسست سياستك الداخلية فى بيتك . فأنت الذى جعلتنى أتحدث لك عنها باهتمامك الظاهر بها وبأخبارها ، وبتفصيلات اهتمامها بخطك..الخ والا فان بينى وبينها الآن حوالى ٥٠٠ ميل ، ولم يشفنى حسنها ولا حسن تمريضها ، بقدر ما شفتنى نسمات فيها من نسمات مصر .

وأفرغ من هذا الى تعليقك على رسالتى اليك .. عن تلك الحفنة من « الباشوات » و « الكروش » وعن تلك « الحفنات » التى تحدثت عنها من الوصوليين الذين « يسيرون فى ركابهم ويصهرون اليهم وغير ذلك من أساليب ، فيكتالون ويستوفون ، وهناك مئات من ذوى الكفايات يقعد بهم الحياء وتحتجنهم الكرامة فيهملون ... وبذلك تحرم البلاد من خير أبنائها وأوفرهم حياء وكرامة ، ويحرمون هم مما تلغ فيه الكلاب » كما تقول .

أنا لا أومن بهذا « الحياء » الذى يقعد بأصحاب الكفايات عن بلوغ حقهم ، وترك « الكلاب » تلغ فى الاستثناءات وغير الاستثناءات .

بل أنا أشك فى « كفاية » هذه الكفايات ، التى ترى حقوقها تؤخذ وتعطى « للكلاب » من الوصوليين ، ثم تتقبل ذلك راضية وتستنيم .

لو أن كل هذه الجموع من الموظفين وغير الموظفين ، التى لا تملك صهرا الى وزير أو كبير ،ولا تملك الوسائل الأخرى التى لا يرضاها الرجل الشريف ، والتى تقفز بأصحابها فوق الأمناء الشرفاء .. أقول لو أن هذه الجموع كانت لها « كفايات » حقيقية ، لما سكتت على هذا الفساد ، ولما تركت هذه الوسائل الملتوية تعمل عملها فى داخل الدواوين وخارجها .

ان الذى يسكت على حقه ــ خوفا من غضب وزير أو رئيس ــ ويدع « الكلاب » تقفز فوق رأسه بالاستثناء أو بأية وسيلة أخرى ، تنقصه أهم أنواع « الكفايات » وهى الشجاعة الأدبية .

لو أن كل صاحب حق من هؤلاء أسمع الوزير أو الكبير صوت غضبه لتخطيه ، لما جرؤ وزير أو كبير على أن يمضي فى طريقه الى حد التبجح أحيانا بالمحسوبيات والاستثناءات ٠

لست أنكر أن كثيرا من هؤلاء الموظفين الأمناء الشرفاء المتواضعين الذى تقفز على رؤوسهم « الكلاب » يضطلعون بأعباء عائلية ، ويخشون نقمة الوزراء والرؤساء ، ويخافون على لقمة الخبز أن تؤخذ من أفواه أطفالهم ومن يعولون من آباء وأمهات وأقرباء ٠٠٠ ذلك حق ولكنه لا يبرر السكوت ٠

ماذا يملك الوزير الذى يرقى مائة فى وزارته بالاستثناء ، لو أن مئات الموظفين الآخرين أسمعوه صوت غضبهم على تصرفه المعيب ؟

انه لا يملك أن يرقيهم جميعا بالاستثناء ، ولا يملك كذلك أن يطردهم جميعا من وزارته ٠

ولكنه يملك أن يتعلم أن هؤلاء الموظفين فى وزارته ليسوا «عبيدا» فى ضيعته ٠ أعنى أنه يملك أن يكون أكثر « أدبا » ولو أنه وزير ٠

اننى لا أملك أن أسمى سياسة القفز بالوصوليين والمحاسيب والأصهار الا « سوء أدب » منشؤه أن التربية السياسية للشعب لم تنضج بعد ، ليستطيع أن « يربى » أصحاب السلطة فيه ، كما ينبغى أن يكون ٠

وهكذا ترى أن هؤلاء الأمناء الشرفاء من الموظفين مسؤولون عما يناله الوصوليون المحظوظون ٠ فليجربوا مرة أن « يؤدبوا » ذلك الرئيس الذى يتخطاهم ، ولن يكلفهم هذا الا أن يبلغوه صوتهم متضامنين ٠

وتقول : « من حقى أن أكون قرفان » من جانب حالتنا التى لا تسر ٠

لست أحاول أن أمنعك من « القرف » ٠ ولكنى أحب أن يستحيل هذا « القرف » سخطا ٠ نحن فى حاجة الى السخط على أوضاعنا الحاضرة لا الى « القرف » منها ٠ فالسخط ليس معناه أن ننفض أيدينا من الأمر يائسين ٠

واذا آمنا بأن لنا رصيدا من كنوز الطبيعة الأرضية ومن كنوز الطبيعة البشرية على السواء ٠ وأن حفنة من « الباشوات » و « الكروش » هى التى تهمل ذلك كله وتقبله ، فانه يكون أمامنا أن نصنع شيئا ،

أن نجمع كل العناصر الساخطة المتيقظة ، لتنشىء سياسة جديدة • وليس من الضرورى أن ننتظر الحلول الجاهزة من « موسكو » كما يحاول بعض المخدوعين فى موسكو • ان حلولنا يجب أن تنبت من بيئتنا وظروفنا • يجب أن تدرس أولا واقعنا ثم نجد الحلول المحلية التى تناسبنا •

وأنا أؤكد لك ما أنا واثق به الى حد العقيدة : اننا نملك حلولا أهدى وأقوم من الحلول الواردة من لندن أو وشنطون على السواء •

اننا نملك « العدالة الاجتماعية » فى الاسلام « وهى كفيلة بأن تنشىء لنا مجتمعا آخر غير هذا الذى نعيش فيه • مجتمعا اسلاميا متحضرا يؤمن بالسماء ويؤمن بالأرض ، لا كما يحسب الجاهلون أن الدين تزهد وتقشف وتخل عن شئون الأرض للمفسدين •

سان دييجو ـ كليفورنيا سـيد قطب

جميل جدا يا أخى هذا الأسف الذى تبدأ به رسالتك •• وأجمل منه هذا الذى سقته سببا يشبه الاعتذار ••• وهو اعتذار أجمل من «الذنب» فأنا الذى جعلتك تحدثنى عن «مس فرو» باهتمامى بها و••الخ• وهذا الاهتمام وما بعده ، من دواعى استتباب الأمن فى بيتى • أليس كذلك يا رجل يا مكار ؟

ثم أليس يحملنا هذا على أن نوقن بأن حسنها أو حسن تمريضها أو كلاهما ، هو الذى شفاك ؟ ولهذا تهتم بتصحيح لقبها ، فهى « مس » • طيب يا سيدى •• لعل لك فى مصر من يسمع •

وأقصد بعد ذلك الى الجد • أنت تنظر الى موضوع الوصوليين من زاوية معينة ، وهى نظرة سليمة من حيث هذه الزاوية ، تنظر الى جمهور الموظفين وغيرهم الذين يسامون الخسف ولا ينبسون فيهدرون حقوقهم بسكوتهم ، ولعلك تعلم أن صنفا منهم وهم « الموظفون المنسيون » قد هبت زوجاتهم يطالبن بحقوقهن ، فانعكس الأمر وأصبح للرجال نساء يحمينهم ويزدن عن « الحريم » ولا شك أنى لا أسمى هذا « حياء » ولا أصف أصحابه « بالكفـاية » انما أقصد ذوى الكفـاية حقا الذين لا يتخطون لأنهم فى وضعهم الرسمى العـادى ، ولكنهم يستحقون أن يتجاوزوه • ولكن أحدا لا يقدرهم لأنهم لا يسيرون فى ركاب ولا يتخذون سببا آخر من أسباب الوصول المعروفة ، تمنعهم كراماتهم أن يصطنعوا ذلك ، ويمنعهم حياؤهم أن يعلنوا عن كفايتهم ، وهم لا يستطيعون ان يحتجبوا بهذه الكفاية كما يحتج بالأقدمية مثلا او بالشهادة ، لان الكفاية

والجدارة والنبوغ وما اليها ، أمور تلحظ فيمن يتصف بها ويمنع الحياء صاحبها أن يتقدم بها ، اذ ايسر ما يقال له : دعى مغرور .

اولئك هم « كنوز الطبيعة البشرية » التى لا تحتاج الى استخراج، لانها ظاهرة لا يسترها الا غبار المتسابقين من ذوى الوسائل الرخيصة ، وهم الذين يعنيهم القانون حين ينص على أن كذا فى المائة من الدرجات للاقدمية ، وكذا للكفاية ولكن « الكفاية » فى التطبيق لها معان أخرى لدى كبرائنا .. اذ نرى أصحابها عندهم ممن يمتون او ينفعون ، وللنفع أساليب مختلفة ..

هذا ، وأنا ياأخى عندما تحب ، عند السخط ... ولم يكن «القرف» الا تعبيرا مخففا . وسلام عليك .

الرسـالة ـ ١٩٥٠/٧/٣١

الشاعرة « ن . ط . ع »

قرأت باحدى الصحف اليومية فى يوم من هذا الأسبوع نعى فتاة باسمها الكامل ، أعرف أنها الآنسة « ن . ط . ع » الشاعرة التى نشرت لها « الرسالة » قصائد وقطعا من أشعارها ، ونشرت لها صحيفة البلاغ كثيرا ، كما نشرت لها « الأهرام » وكانت قد استرعت انتباهى فعقبت على بعض شعرها فى العام الماضى ، تعقيبا ختمته بما يلى :

« والفتاة الآنسة وان كانت فى أول الطريق الا أنها على الجادة تهديها الى الغاية موهبة صادقة مخلصة ، فهيا يا آنسة ن . من يدرى » .

أجل ، من يدرى أنها كانت تسير الى الغاية المحتومة بهذه السرعة ، وكنا نرجو أن يكون سيرها الى هدف آخر لتحقيق ما كانت تصبو اليه من صيت وخلود فى عالم الشعر ، كما كانت تقول :

هل يأخذ القبر
منى سوى جسمى
والصيت والشعر لن يتركا اسمى
سأصير شاعرة من قادة الفكر
أنا لست ساخرة يا قلب من يدرى

ولكن الموت أعجلها ، فاختطفها وهى على عتبة الخلود ، فطوى آملها الذى كانت تعكف على التطلع اليه • وقضى على عالم من الاحساس المرهف كانت تنـوء به ، فحطت حملها ونامت بجـواره ، وليتها نامت قريرة بما كانت تؤمل من ترك اسمها وراءها يلمع فى دنيا الأدب والشعر ، ولكن الموت أعجلها ولعله أطلعها على أن ما كانت تطمح اليه أمـر باطل وسراب خادع •••• من يدرى •

لقد قرأت قصة هذه الفتـاة فيما كانت تنشره من شعر ، كانت حبيسة « التقاليد » تطل على الحياة من بين قضبان سجنها ••• تنظر بعين الأديبة الشاعرة الى المجتمع الحافل الصاخب فتود لو شاركت الركب سـيره ، ثم لا تلبث أن تثوب الى ما أخـــذت به فى تربيتها المحافظة ، فتقول :

ورجعت أدراجى أتجـانب الناسـا

فى برجى العـاجى أتذوق الكاســا

كاس من الطهـر وهناءة البـــال

والفــن والشــعر فى برجى العـاجى

ولكن «البرج العاجى» كان مضروبا عليها فى قسوة يظهر الألم منها بين السطور وان أظهرت ميلها الى الاعتصام به مطاوعة لما جرت عليه الأسرة من الحجاب وشدة التحرز • فكان الصراع دائرا فى نفسها بين ذلك الحجاب وبين الوان الحياة التى تدعوها اليها باعتبارها أية فتاة ، بل لأنها فنانة ، والفن يأبى الاسار •

لقد قلت فى الكلمة التى كتبتها عنها : انها فى حاجة الى مزيد من العناية من حيث اخضاع التعبير • ولما تتبعتها بعد ذلك ورأيتها تهر حول ذلك الصراع فى نفسها ، لا تخرج عنه الا قليلا ، عرفت انها مشغولة بها عن تأمل ما عداه ، فكان ينقصها أيضا الآفاق الرحيبة التى تنتقل بينها • ولم يكن كل الأمر احتجابها ، وان كان هو بعض الأمر بلا مراء ، فكان يمكن لو فرغت من ذلك الهم أو لو تحررت من تسلطه عليها كل التسلط أن تتصفح الحياة من حيث هى ومما تقرأ ، ولكن حتى هذا القدر حرمته لانشغالها بالتفكير فى آلام نفسها ومنازعتها القيود •

ظلت شاعرتنا تكافح تلك النوازع النفسية ، تبثها تارة فى شعرها، وأحيانا تنطوى عليها ، وهى ترجو أن تجد من الشعر والصيت فيه وما يعوضها ، حتى كلت فأسلمت للمنية قيادها ، واذا نحن نطلع على وجه كئيب من نعيها ، فيبعث فى النفس الألم والأسى ، فى الوقت الذى كنا ننتقدها ، عسى أن تطلع علينا بجديد من الشعر .

واذا كان القبر قد احتوى على جثمانها فلعل لتلك الروح الشاعرة من هذه الكلمة ما يرضيها بعض الشىء . ولقد كانت « الرسالة » مجلتها الحبيبة فى دنياها الأدبية ، فالآن تبعث الرسالة اليها هذه الباقة ، من حبيبة حزينة الى فقيدة عزيزة .

الرسالة - ١٩٥٠/٨/٧

بين الدكتور زكى مبارك وسكرتير تحرير الرسالة

كتب الدكتور زكى مبارك فى « البلاغ » كلمة تعرض فيها لما كنت أخذته على الأستاذ محمود غنيم فى تشبيهه الدكتور طه حسين بك بابن العميد ، وقد بدأ الدكتور مبارك كلمته بكلام ذكره قبل ذلك غير مرة ، قال انه كان يشترك فى تحرير « الرسالة » ثم وقع بينه وبين صاحبها خلاف ، وقال ان المجلة (الرسالة) لا تذكر اسمه لذلك .. وأنا أعجب من الدكتور زكى مبارك كلما ذكر ذلك ، فان الأستاذ الزيات يحبه ويذكره بالخير دائما ، أما هو فتراه يتحدث عما بينهما من خلاف مزعوم ، الا أن يكون خلافا من جانب واحد هو جانب الدكتور زكى مبارك . وقراء الرسالة يشهدون أن اسم الدكتور زكى مبارك ليس ذكره محرما فى المجلة . وكثيرا ما يرد فى باب الأدب والفن خاصة وأذكر ان آخر مرة جاء فيها اسم الدكتور زكى مبارك يوم قلت انه أنكر على الأستاذ محمد عبد الغنى استعمال مجداف السفينة زاعما ان كلمة « مجداف » خطأ ، وقلت ان هذه التخطئة لا تليق بالدكتور زكى مبارك الذى يطالب بعضوية المجمع اللغوى ، لأن الاستعمال صحيح والكلمة معروفة لا تحتاج الى الغوص .

ويسمينى الدكتور زكى مبارك فى كلمته « سكرتير تحرير الرسالة » وأنا لست الا محررا بها فقط .

قال الدكتور زكى مبارك : « القضية أن المعلمين أقاموا حفلة تكريم لمعالى الدكتور طه حسين بك فى ناديهم ، وأن الأستاذ محمود غنيم ألقى

قصيدة زعم فيها أن الدكتور طه أعظم من ابن العميد · وهنا يقول سكرتير تحرير الرسالة ومن هو ابن العميد ؟ انه أصغر من أى كاتب من كتاب الطبقة الثانية فى عصرنا هذا وسبحان من أنعم على سكرتير مجلة الرسالة بنعمة الجهل · ان ابن العميد سيظل أعظم كتاب اللغة العربية ، وعلى ذلك الجاهل أن ينظر فى كتاب النثر الفنى وهو موجود بمكتبة الرسالة ، وفيه أطلت الشرح لحقيقة الرجل الذى خلعوا عليه لقب الجاحظ الثانى ·

وأنا اذا كنت « أجهل » ابن العميد فما أرانى بحاجة الى أن أعرفه من كتاب النثر الفنى ما دام صاحبه يقول عنه انه أعظم كتاب اللغة العربية · وسبحان من أنعم على قائل هذا بنعمة العلم · ألا يعلم صاحب النثر الفنى ان ابن العميد أستاذ المدرسة التى أفسدت الكتابة العربية ؟

وأنا أعنى بانكارى على الشاعر التشبيه بابن العميد وجعله مثلا فى الكتابة ـ ان المقارنة لا وجه لها ، لان الكتابة العربية المزدهرة فى هذا العصر أصبحت شيئا آخر غير ما كان يكتب ابن العميد وأضرابه ، فالعصر غير العصر ، والكتاب الآن يتناولون شئون الحياة ويعنون بأهدافهم من الكتابة على نحو بعيد جدا مما كان يصنع أولئك الكتاب ·

وليت شعرى ماذا ترك الدكتور زكى مبارك لنفسه حينما قال ان ابن العميد أعظم كتاب اللغة العربية ؟ · هل يستطيع ابن العميد أن يكتب صفحة « الحديث ذو شجون » بالبلاغ ·· ؟ وهل أنا « جاهل » اذ أقول ان الدكتور زكى مبارك أكتب من ابن العميد ·

ويقول الدكتور زكى مبارك : « ويقول سكرتير مجلة الرسالة ومهما يكن من شىء ـ كما يعبر (طه حسين) ـ فان ···· ومعنى هذا أن عبارة « ومهما يكن من شىء » من مبتكرات الدكتـور طه حسين ، وليس هذا بصحيح ، فهى من مبتكرات سيبويه فى الكتاب » ·

وأنت تراه يفسر ويرد على تفسيره ·· فأنا أقصد أن العبارة من لوازم الدكتور طه حسين ، ولم أقل انها مبتكراته ، ولكل كاتب أو لأكثر الكتاب ، ألفاظ يكثرون استعمالها ، وليست هذه الألفاظ من مبتكراتهم ، وينفرد الدكتور زكى مبارك بلوازم أخرى غير تكرار الألفاظ ، منها أن يكرر الخلاف المزعوم بينه وبين صاحب الرسالة ، ومنها حكاية الحفلة التى أقامها المغفور له محمود بسيونى بك لاصلاح ما بينه وبين الدكتور طه ، ومنها أنه من سنتريس ·· الخ ·

ولم يبين لنا الدكتور زكى مبارك ـ للمستفيد من علمه ـ كيف أن عبارة « ومهما يكن من شيء » من مبتكرات سيبويه ، وهل جاءت فى سياق تعبيرى ، أو جاءت عند تفسيره « أما » بأن « معناها » مهما يكن من شيء » وهل يعد هذا ابتكارا ونحن فى معرض الأسلوب الكتابى ؟

ومن استطرادات الدكتور زكى مبارك فى هذا الصدد قوله « وكان سكرتير مجلة الرسالة طفلا يحبو حين نشرت فى جريدة المقطم سنة ١٩٢٧ مقالات بعنوان أغلاط سيبويه » ·

وماذا لو كان ذلك ؟ لقد شببت بعد وقرأت له كثيرا وما زلت أسأل الله له طول العمر مع الصحة والعافية ·

الرســـالة ـ ١٤/٨/١٩٥٠

مهزلة الجمل

جرت مناقشة طريفة بين فضيلتى المفتى السـابق والمفتى الحالى فيما يتبع فى الاحتفالات بالجمل الذى يحمل كسوة الكعبة من طوافه سبع مرات بمكان الاحتفال وتقبيل مقوده عند تسليمه لأمير الحج وتجمع الناس وتسابقهم الى التبرك بالجمل وما يحمل ··· كتب المفتى السابق فى جريدة « الأساس » جوابا عن سؤال قال انها بدعة سيئة لا يقرها الدين فكتب المفتى الحالى فى « المصرى » كلاما عجيبا دافع به عن « المحمل » وما يلابسه من الأعمال التى أنكرها المفتى السابق ·

ووجه العجب فى كلام المفتى الحالى أن فضيلته ـ وهو مفتى الديار المصرية ـ لم يستند الى أصـل من أصول الدين ، بل أخـذت فضيلته « الجلالة » فراح يصف مشاعر النـاس واهتزاز نفوسهم عنـدما يرون الجمل وتقبيل مقوده ذاهبا الى أن ذلك يذكرهم برب الكعبة التى يحمل الجمل كسوتها ··· وزاد على ذلك فقال ان هذا تجديد فى الدين ·

وما أخال فضيلته الا مسلما بأن الله خالق كل شيء ورب كل شيء ، وكل شيء يذكر به تعالى · واذا كان يصح التبرك بالجمل ومقوده لانه يحمل كسوة الكعبة ، أفلا ينبغى أن يكون للتبن الذى يأكله الجمل نصيب من ذلك التبرك والتقديس ·· ؟ وهذا البرسيم الأخضر ، ما قول فضيلته فيه وهو الذى يكسب الجمل القوة التى يقتدر بها على محمله ··· ؟

ـ ان مشاعر الناس يا سيدى يمكن أن تتعلق بكل شىء ، وكل ما يعبد ويقدس ـ حقا أو باطلا ـ تهتز له نفوس عابديه ومقدسيه وأنتم ـ مصابيح الدجى وأعلام الهدى ـ تملكون الارشاد والتنوير وتوجيه العقول والمشاعر الى ما يجدر أن تتوجه اليه · ولا أحسب من ذلك هذه المهازل « المحملية » ومواكبهـا المزرية التى تصفها بأنها تجديد فى الدين · وهى أدنى الى العبادات البدائية الخرافية ·

٧

أى تجديد هذا يا فضيلة الأستاذ ؟ ومن هو المجدد المصلح الذى جدد فى الاسلام بتقبيل مقود الجمل ؟ هل رأى ذلك المجدد ان بقـاء أركان الاسلام خمسا فقط جمود دينى لا يتفق وروح العصر الحـديث فأضاف « جمل المحمل » الى الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد ؟

اذا كان ذلك أفلا ترون فضيلتكم ان هذا الاحتفال « المودرن » بالجمل والتبرك به وتقبيل مقوده ، جدير بأن تعمل له أفلام تعرض بدور السينما فى مصر والخارج لجـذب الأنظار الى ما وجد فى الاسلام ؟ · واذا وقفت فى سبيل ذلك رقابة الأفلام فى وزارة الداخلية بحجة أنه يسىء الى سمعة المصريين فى الخارج · لما فيه من مناظر غير لائقة فالبركة فى فضيلتكم ، وهمتكم كفيلة باقناعها بان التجديد فى الدين لا ينبغى أن تقف فى سبيله تلك الاعتبـارات ·· أليست نفـوس النـاس تهتز ومشاعرهم ترق ؟ مقال أو بيان آخر مثل الذى نشر فى « المصرى » يذلل هذه العقبات التى تقف فى طريق أحدث وأعجب « تقدمية » رأيناها فى العصر الحديث ···

الرســالة ٢/١٠/١٩٥٠

مسرحيـة « ابن جلا »

كان يوم السبت الماضى بدء تاريخ فى حياة المسرح العربى ، فهو أول يوم ظهرت فيه فرقة المسرح المصرى الحديث على خشبة المسرح ، وكان مسقط رأسها مسرح الأوبرا الملكية ، وكان مولدها على يد الأستاذ زكى طليمات عميد المعهد العالى لفن التمثيل العربى ، وقد اختار أعضاءها كلهم من أبناء هذا المعهد وبناته · عبأهم ، وتقدم بهم مباشرة الى الأوبرا على طريقة الزحف السريع ، كما كان يصنع الحجاج (يمثل الأستاذ دور الحجاج فى ابن جلا) وقبل أن نحـكم على مدى انتصار فرقة الحجـاج الحديث ·· ننظر فى جولتها الأولى ···

افتتحت الفرقة عملها بتمثيل رواية « ابن جلا » للأستاذ محمود تيمور بك ، وهى رواية تعالج شخصية الحجاج بن يوسف الثقفى وتعرض حياته فى اثنتين وعشرين سنة ، وهى الفترة التى ظهر فيها على مسرح الحياة السياسية فى عهد بنى أمية · تعرض المسرحية فى ثمانية مناظر ، يظهر فى أولها الخليفة عبد الملك بن مروان يدبر لحرب مصعب بن الزبير بالعراق ، ويعين قواد الحملة فيختار الحجاج (رئيس الشرطة) قائدا لمؤخرة الجيش ، وتظهر فى هذا المنظر فتاة أهوازية مغامرة تقول انها تشتغل بسقايا الجنود ، فتسترعى جرأتها وغرابة حالها انتباه الحجاج · ويبدو الحجاج فى المنظر الثـــانى قائدا للحملة المتوجهة الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير ، فها هو ذا بسفح الجبل ، يشرف على الكعبة التى يحتمى بها ابن الزبير ويرميها بأحجار المنجنيق ، ويفد عليه فى أثناء ذلك ابن حكيم ، وهو شيخ من الطائف ومعه ابنته عفراء ، يذكر بأيام نشأته فى الطائف ، وتعرض له الفتاة بما كان بينهما فى أيام الصبا ، ولكنه لا يلقى اليها بالا ، فتنصرف مع أبيها فى انكسار وخيبة أمل ·

وفى المنظـر الأخـير نرى الحجاج ملففا بالمـلاحف ، وعلى جانبيه مدفأتان ، يغالب آلامه ويتمادى فى مخالفة الطبيب ومعاندة معدته ، فيأكل ويفرط فى الطعام ، والأهوازية لا تزال فى خدمته والعناية به · وكانت عيون الحجاج تجد فى البحث عن الفقيه الصالح سعيد بن جبير لخروجه عليه · وهذا يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج الذى يباريه فى سطوته وبطشه ، ينهى الى الحجاج أنهم جاءوا بسعيد بن جبير ، ويدخل سعيد على الحجاج ، ويأبى أن يعتذر بخطأ ، وأوغر يزيد صدر الحجاج على شبيب حتى يأمر بقتله ، ولكنه يندم على ذلك بعد ويناجى نفسه بفظاعة هذا العمل ، ذاهبا الى القاء التبعة على كاتبه يزيد ، ويعود الى الطعام مصرا على المزيد ، ولكنه يضعف فيلجأ الى متكئه · ويأتى رسول قتيبة قائلا : جنود المسلمين على أبواب الصين ، فيستدنيه الحجاج ويعانقه ، وتبدو فى أساريره نشوة الفرح رغم آلامه الشديدة · ثم تعاوده ذكرى الدماء ، فيقول فى مناجاته : مالى ولسعيد بن جبير ؟ ما قتلته ·· على نفسه جنى · رحمتاه يا ربى · وأخيرا يتعدد فاقد الحركة ، فقد فاضت نفسه ·

مسرحية طويلة يستغرق تمثيلها نحو أربع ساعات · ولكنها متجددة التشويق ، تشيع فيها روح الدعابة والفكاهة ، وتعبيراتها مجنحة بالخواطر والالتفاتات المعجبة والهدف الذى ترمى اليه هو تحليل شخصية الحجاج كما يراها المؤلف ، بل كما أحسها وفهمها من طول معاشرتها فى تاريخها ، وهو يتخذ هذا التاريخ وسيلة الى غايته الفنية فالتاريخ موجود فى كتبه ،

ميسور لمن أراده ، أما الفن فمجاله النفس الانسانية ، يطلبها فى الحياة الحاضرة أو فى « الحياة التاريخية » ان صح هذا التعبير .

قصد تيمور الى الحجاج ذاته ، ولم يعرض من تاريخه وأعماله الا ما يعين على كشف أغوار نفسه ، ولذلك تجد المسرحية تعنى بحياته الخاصة أكثر مما تهتم بالأحداث التاريخية · الذى يهمنا من هذه المسرحية هو الحجاج باعتباره كائنا انسانيا له خصائص متميزة كان يعيش فى زمن ما ·

الحجاج ـ كما صوره تيمور أو كما يبدو لنا من هذا التصوير ـ رجل طامح يتطلع الى المجد ، ويحس فى أعماق نفسه بنقائص يحاول تعويضها ، كان معلم صبيان بالطائف ثم جاء الى دمشق ووضع قدمه على أول درج فى السلم عندما لحق بشرطة الخليفة ، فأراد أن يصعد عدوا ، واستحكمت به الرغبة ، فعنف وبطش وأسرف فى عنفه وبطشه ، بل أسرف فى كل شىء حتى الطعام ، وكان يحرص على فخر المصاهرة ليتسامى الى ذوى الأحساب والأنساب · وهو رجل قوى الشكيمة يأبى الخضوع حتى انه ليعصى أوامر الطبيب ويأبى تحكمه فى ما يأكل ويشرب ويعاند معدته فيحاول أن يرغمها على تقبل الطعام وهضمه مهما كثر وثقل · وهو أسود أخفش دميم ، فتراه معنيا لزيه ، يتخذ لغطاء رأسه الطراطير الطويلة يلف عليها العمائم الخضر أو الحمر ليتميز على نظرائه ، وهو يميل الى أن تعشقه النساء ، يتجاذبه حبهن وحب المجد ، وقد أتى المؤلف بالفتاة الأهوازية من ابداع خياله وجعلها محكا للحجاج ومسبارا لقلبه ، فأجرى على لسانها ما يكشف عن نوازعه وأسرار نفسه ، تجاهره بذلك فى جرأة لا يضيق بها على رغم أنها تصل أحيانا الى القحة ، وبذلك يكشف لنا عن مرض نفسى هو « السادية » فهذا الجبار الباطش يلذ له أن تؤذيه هذه الفتاة المغامرة وهى أيضا تشعر بلذة قسوته بل هى الناحية التى تعجبها فيه ، وتجمل الفتاة رأيها فى الحجاج بأنه « يد تبطش ومعدة تعوى » ·

وتيمور لا يرى الحجاج ـ على ما يبدو لى ـ رجلا شريرا ، أو على الأقل يصدر فى أعماله عن محبة للشر ـ لا يراه كذلك ، وانما يرجع دوافعه الى البطش والطغيان ، الى ما يراه فى جمع كلمة المسلمين وتدعيم الدولة ، فهو يبتهج كل الابتهاج بانتصار المسلمين وتمام الفتح واتساع رقعة البلاد ، يشم التراب الذى أتى به رسول قتيبة من تحت سنابك خيل المسلمين ـ يشمه فينتشى به وهو يحتضر ·· ثم هويتألم أشد الألم لقتل ابن جبير ويؤرقه تخيل دمه المسفوك ·

وقد بلغت هذه المسرحيــة غايتها من حيث معالجة الحجاج وجلاء « ابن جلا وطلاع الثنايا » ، وكان جل العناية موجها اليه ثم الى الفتاة الأهوازية ، وكان رسم الشخصيتين منطقيا سليما وان كان فى علاقتهما شذوذ · وهو شذوذ يقع فى الحياة · وليس فى المسرحية عناية ذات شأن برسم شخصيات أخرى ، وان كان تقديم سائر الشخصيات طبيعيا فيما عدا شخصية شبيب الخارجى ، فقد رأيناه على المسرح على غير ما نعلمه فى التاريخ وعلى غير ما يوافق فكرته الثورية الدينية ، رأيناه كلفا يحب الأهوازية يلح عليها فى مبادلته الحب ، وتفاجئه زوجه وأمه وهو مع الأهوازية فى حالة تقبيل ·· وقد نشأت من ذلك مشكلة هى غيرة الزوجة ونكوصها عن مشاركة زوجها فى القتال لخيانته اياها ، ثم انتهى الموقف انتهاء خطابيا لا يحل المشكلة ، فكان الحل (مكلفتا) ·

وقد جنح تيمور الى تغليب جانب التحليل على جانب السبك ، حتى أنه لم يحفل بترتيب نهاية مفاجئة ، وهذا اتجاه فنى لا غبار عليه ، وقد سلكه مع المحافظة على اجتذاب المشاهدين الى النهاية ، وهى مقدرة لايستهان بها ، ولكنى أريد النظـر فى محور القصــة الذى يقوم عليه التشـويق المسرحى ، وهو العلاقة التى بين الحجاج والأهوازية ، بدأت هذه العلاقة قوية مشبوبة فى أول المسرحية واستمرت متصلة الحوادث حتى نهاية المنظر السادس ، ثم كانت فى المنظرين السابع والثامن على صورة واحدة ، فتاة تعنى بمن كانت تحبه عناية عطف ووفاء · وأرى بذلك أن هذا المحور انتهى قبل انتهاء المسرحية بمسافة كبيرة ، وسد الفراغ بأشياء أخرى غيره كعرض مرض الحجاج ومناقشته لطبيبه ، وقد طال ذلك حتى بدا فاترا لولا بعض المسليات كحركات الخصى « بهروز » ودخول الأعرابى على الحجاج ·

وقد أخرج المسرحية الأستاذ زكى طليمات ومثل الحجاج ، ولابد أنه بذل جهدا كبيرا فى ذلك ، وخاصة أنه بصـــدد اعـــداد فرقة جديدة واظهارها على المسرح أمام الجمهور لأول مرة ، وقد وفق على رغم ذلك فى الاخـراج والتمثيل الى حـــد كبير · فكانت أوضـــاع الممثلين وحركاتهم وأصواتهم طبيعية منتظمة ، وكانت الاضاءة معبرة ومطابقة لأوقاتها ، وكان منظر الصواعق ولهب الاحتراق رائعــا ، وقد تجلت فيه طريقة زكى طليمات فى التعبير بالمناظر والايحاء بالأضواء ، وزاد هذا المنظر روعــة اصرار الحجاج على مواصلة الرمى وما لابس ذلك من قوة التمثيل وكانت المناظر والملابس موافقة ، بيد أنى أرى أن المخرج اشترك مع المؤلف فى المباعدة بين شخصية شبيب وبين الواقع ، فقد بدا فى (التزلك) برجليه والدرع اللامعة على صدره كأنه من عساكر الرومان ·

وفى المنظر الأول رأينا الوزير يدخل على الخليفة فزعا صائحا يطلب النصفة من الحجاج لأنه اعتدى على أعوانه ، وأعتقد أن التصرف اللائق بالوزير وبالخليفة أن يدخل الأول هادئا ويسلم بالخلافة فيؤذن له بالجلوس فيجلس ويبث شكايته . ورأينا الحجاج (رئيس الشرطة) يدخل على الخليفة وبيده سوط ، وقد يكون هذا مقبولا ، ولكن ما أظن لائقا أن يفرقع الشرطى السوط أمام الوزير لارهابه فى حضرة أمير المؤمنين .

وقد أدى الأستاذ زكى طليمات دوره فى تمثيل شخصية الحجاج فأحسن الأداء ، فقد اندمج فيها وخاصة فى المناظر الأخيرة فقد لمحت شيئا من « زكى طليمات » فى البدء ، ولكنه افتقدته بعد ذلك تماما حتى لم أعد أرى غير الحجاج ...

ولم يكن جهد الأستاذ زكى طليمات فى الاخراج قاصرا على الرواية، فقد أخرج أيضا هؤلاء « الأولاد » الذين أظهروا على المسرح كفاية ممتازة تبعث الاطمئنان على مستقبل المسرح فى مصر .

قامت نعيمة وصفى بدور الأهوازية ، فبرعت فى تمثيل الفتاة الجريئة والأنثى المدللة ، وكانت معبرة بصوتها وحركاتها حسنة الأداء للجرس العربى ، وهذا قليل فى الممثلات ، وهى ميزة تمتاز بها هذه الفرقة ممثلين وممثلات . وقد وصلت نعيمة وصفى الى القمة فى المنظر الثالث عندما كانت تحاور الحجاج فى شأن خطبته لابنه عبد الله بن جعفر . ولكن ضعفها كان ظاهرا فى المنظر السادس عندما أتت تفاوض الحجاج من قبل شبيب ، كانت ضعيفة وانية ، ولعل ذلك لتعبها .

وقد ظهر باقى الممثلين والممثلات فى أدوار قصيرة ، وقد أحسن كل منهم فى تأدية دوره ، وخاصة عبد الغنى قمر وسعيد أبو بكر وعبد الرحيم الزرقانى وصلاح سرحان وفوزية مصطفى وسناء جميل وملك الجمل ومحمد الطوخى وأحمد الجزيرى .

وكان توفيق الجميع ظاهرة سارة ، لتحقيق أمنية « فرقة المسرح المصرى الحديث » التى طالما داعبت الأحلام .

الرسـالة ـ ١٩٥٠/١١/٢٧

الشعر المعاصر
فى رأى الدكتور ناجى

قيل ان الدكتور ابراهيم ناجى سيلقى محاضرة عن « الشعر العربى المعاصر » بنادى الخريجين المصرى . وذهبنا نستمع اليه هناك ، فألقى

علينا محاضرة ، أو ـ بتعبير أوفق ـ حدثنا حديثا ، لا يصح أن نعتبره في « الشعر العربى المعاصر » الا اذا اعتبرنا أن هذا الشعر هو الدكتور ابراهيم ناجى وشعره لا غير ··· فقد بدأ بأن النقاد لا يحفلون بشعر المعاصرين ، اذ لا يكتبون الا عمن فارقوا الحياة ، وهو يرى أن الشعر المعاصر ما قيل منذ عشرين سنة الى الآن بخلاف الحديث الذى يرجع الى خمسين سنة ·· وأن الشعراء الأحياء « المعاصرين » لا يهتم بهم نقادنا ·· بخلاف المستشرقين الذين عنــوا بدراستهم ·· وذلك أن أحـد الناشرين الانجليز أخرج كتابا جمع فيه مختارات من أشعار هـؤلاء الشعراء ، والذى يهمنا مما احتواه هذا الكتاب ـ فى حديث الدكتور ناجى ـ هو قصيدته « العودة » التى ترجمت الى الانجليزية والى الفرنسية فجاءت فى الترجمة أحسن منها فى الأصل العربى ، كما قال الدكتور ·· لماذا ؟ لأن الشعر الانسانى هو الذى يصلح للترجمة ، وليس كذلك سائر الشعر ، فمثلا : دعت جريدة « الأهرام » فى وقت ما الأدباء الى ترجمة قصيدة « يا نائح الطلح أشباه عوادينا » لشوقى ، فلم يستطع أحد أن يترجمها ، والدكتور ناجى ، ممن حاولوا ذلك ـ كما قال ـ لا تصلح للترجمة ·

وهكذا سقط أمير الشعراء فى الميدان أمام الدكتور ناجى فى الجولة الأولى · وبقى أن يجول جولات أخرى يسقط فيها الباقين ·

هناك أولا شعراء تنشر لهم «الرسالة» فيجب التخلص منهم ، قال : لكى نعرف قيمة ما ينشر من الشعر « المعاصر » ننظر فى المجلات الأدبية التى هى أهم ما يهتم به ، وأهم هــذه المجـلات « الرســالة » فى مصر و « الأديب » فى لبنان ، فلنقارن بين هاتين المجلتين من حيث ما ينشر بهما من شعر ، قال ذلك ولم يقارن ·· اذ بدا له أن يقصر المقارنة على « الرسالة » من حيث ما كان ينشر فيها من قبل وما ينشر الآن ، وكل ما قاله فى ذلك ، أن الرسالة كانت فيما مضى تنشر للشعراء «الكويسين» أما الآن فانه لم يبق شاعر تافه الا ينشر بها · ولم يعن الدكتور بذكر أسماء من كانت تنشر لهم الرسالة ، فليس هو منهم ·· أما الذين ينشرون بها الآن فهم فى طريق الغارة التى يشنها بهذا الحديث على « الشعر المعاصر » والرسالة نفسها عقدة فى نفس الدكتور ··· ولذلك فانه ليس فى البلد نقد ··· ألم يخرج ديوان ناجى فلم تكتب عنه الرسالة ·· ولعله لا يذكر سبب ذلك ، فقد أتى الى دار الرسالة يحمل نسخة من هذا الديوان مشترطا ألا يطلع عليها نقاد الرسالة · وشكرنا له هذا الفضل · وليست الرسالة وحدها ـ فالحق يقال ـ هى التى أهملت ديوان ناجى (عملا بوصيته) بل كذلك جميع الصحف والمجلات ، خلا « عمود فقرى » فى احدى الصحف ·· و « العمود الفقرى » من لفظه على

سبيل النكتة .. ونذكر أن الدكتورة بنت الشاطىء هى التى كتبت عنه « عمودا » فى الأهرام . ولم يفت الدكتور – فى هذه النقطة – أن ينبه على أن العباقرة لا يلتفت اليهم فى زمانهم ، فشكسبير مثلا لم يعبأ به الانجليز فى حياته ، ثم كشف عنه الألمان ، ولكننا نرى ان الدكتور ابراهيم ناجى ليس كذلك ، فالناس يلتفتون اليه ويهتم كثير منهم بشعره ، حتى لقد استنفد ما يستحق من ذلك .

ويتابع الدكتور ابراهيم ناجى حديثه عن « الشعر المعاصر » أو حملته عليه ليقضى على البقية الباقية ، وليثبت فى النهاية أنه هو الشعر المعاصر .. فيقول : يتجه الشعر العربى الآن اتجاهين رئيسيين ، يسير فى الاتجاه الأول طبقا للمذاهب الأدبية المعروفة ، والثانى يتمثل فى محاولة خلق شعر حديث اجتماعى يوافق العصر الجديد ويتصل بالجماهير. فالمذاهب التى يسلكها الاتجاه الأول هى التقليدية اللفظية (الكلاسيكية) التى تعنى بالألفاظ « القاموسية » والدلالة المباشرة للكلمات دون التفات الى روح الكلمة وظلالها ، ويمثل هذه (الكلاسيكية) الآن فى مصر ، الأسمر ، وأتى ببعض شعره الذى لا تجد فيه الا « الكليشيهات » المرددة التى لا روح فيها .

ثم المذهب الخيالى (الرومانسية) المشبع بروح المراهقة ولم يذكر لهذا المذهب أحدا من شعراء مصر ، بل قال انه يتمثل فى شعراء الشام لتأثرهم بالأدب الفرنسى .

ثم الرمزية (السمبولزم) التى يمثلها فى مصر الدكتور بشر فارس، وقال ان الدكتور بشر نقل غموض الرمزية الى مصر ولم ينقل جوهرها .

ثم الواقعية (الريالزم) التى جرى عليها العقاد فأخرج الشعر عن طبيعته ، اذ جرده من الانفعال وجنح به الى الفكر والمنطق وأخيرا (السريالزم) الذى يقوم على استحياء العقل الباطن فى غيبة الشعور الواعى ، فتظهر فيه البدائيات الانسانية مختلطة ، كما فى شعر محمود حسن اسماعيل الذى يذخر بما كان يملأ عقل الانسان الأول ، من مثل الكوخ والراهب والناى والمزمار .. الخ .

وهكذا جبر الدكتور ناجى خاطر « الشعر المعاصر » المسكين الذى لا يجد أحدا يتحدث عنه .. فتحدث هو عنه بذلك الأسلوب ، ولم يفته ان ينبه الأذهان – تلميحا وتصريحا – الى أنه (الدكتور ناجى) هو الذى يقول « الشعر المعاصر » الذى فسره بأنه انسانى خالد ... وهو يصف الشعر الانسانى بأنه معاصر كيلا يشركه فيه القدماء ، وقد فرغ من

الاحياء • وقد قال انه يتجه فى شعره الى الجمع بين المذاهب المعروفة كلها ، ومرة أخرى قال انه هو صاحب الاتجاه الاجتماعى الجديد الذى يعنى بالجماهير ، وكأنه ترك من يمثل (الرومانسية) فى مصر (على بياض) لأضعه أنا فى هذا البياض •• ومما يدل على (رومانسيته) أن المراهقة وخيالاتها تبدو واضحة فى شعره رغم كبره ، ولعله يوافقنى ـ وهو من المشتغلين بالدراسات النفسية ـ على أن المراهقة ليست خاصة بالشباب ، فهى فيهم بالفعل ، وهى أيضا فى الشيوخ بالقوة ••

الرسالة ـ ١٩٥١/١/٨

عهد جديد

هذه مجموعة قصصية لكاتب قصصى جديد ، هو الشاب العراقى الأستاذ شاكر خصباك •

أعرف نزعة شاكر مما قرأته له من قبل فى (الرسالة) وفى مجموعة سابقة ، وأعرفها منه صديقا طالما التقيت به فى القاهرة خلال السنوات التى قضاها طالبا بجامعة فؤاد الأول • فلما أصدر مجموعته هذه صدر هذا الصيف وقبيل رحيلى الى المصيف ، كانت مما احتقبته ، عسى أن يذهب عن نفسى ما ألم بها فأشتاق الى المتاعب المتعة •

أحب من الأدب ـ أكثر ما أحب ـ ذلك النوع الذى يتخذ كاتبه أخاه الانسان موضوعا له ، على أنه أخوه •• أخوه كيفما كان ، لا يرتفع عنه لأن الأقدار أو الأسباب الاجتماعية أرادت له الحرمان والجهل وسوء الحال ، لا يتخذه الهية ولا طرفة يلهى بها ويطرف بل يراه أخا له يرثى لحاله ويأسو جراحه ويلتمس له ـ كمطلق انسان ـ البرء والسعادة •

وعندما قلت « أعرف نزعة شاكر » كنت أعنى تسديده الى ذلك الهدف الذى أحببت أن أرافقه ـ بقراءته ـ فى الاتجاه اليه •

هذه قصة (عهد جديد) ـ وهى قصة كبيرة جعلها فى مقدمة المجموعة وسماها باسمها ـ تعرض لنا أسرة جزار عراقى جعل الكاتب نفسه أحد أبنائه وتحدث بلسانه كدأبه فى سائر القصص ، ولابد أنه يتخذ هذه الطريقة ـ طريقة التحدث بضمير المتكلم ـ استكمالا للاندماج فى جو القصة ، وهو وان كان تخيلا الا أن ظلال شخصية الكاتب تظهر فى كثير من قصصه ، كالقصص التى يصور فيها حياة شباب ينزلون فى القاهرة لدى أسر (بنسيون) •

نعود الى قصة « عهد جديد » فنراه يصور لنا حياة تلك الأسرة تصويرا ينقلنا الى ذلك البيت الصغير الذى تعيش فيه ، وكأننا نجالس الرجل وابنيه ونؤاكلهم على الحصير الذى يفترشونه فى مدخل البيت . والحادثة التى تدور عليها القصة فى غاية البساطة وهى تتلخص فى أن الجزار يعامل أسرته بخشونة وغلظة ، وخاصة زوجته وابنه الكبير ، فلا يفتأ يوبخ الولد على كل تصرفاته ويوجه الى أمه قوارص الكلم . فيثور الابن وينفجر فى وجه أبيه محتجا على اهانة أمه فى احدى المرات ، ويغادر المنزل والبلد (الحلة) ... وتمر أيام لا يعلمون له مقرا ولا مرتحلا ، حتى يهتدى الوالد الى أنه رحل الى كربلاء ليعمل عند قصاب هناك على أن يستدعى أمه لتعيش معه بعيدا عن أبيه الفظ الغليظ ، فيجزع الرجل ويلين جانبه ويخفض صوته ويحسن ألفاظه ، ثم يبعث بزوجته الى كربلاء ، فتعود بولدهما ، وما يراه الأب حتى يخرج من صلاته ويتجه الى ابنه فرحا قائلا بصوت متهدج : الحمد لله على السلامة يا نجم .

الوقائع الظاهرة قليلة بسيطة ، ولكن الكاتب يأخذنا الى وقائع أعمق وأحفل ، هى التى تجرى فى نفوس أفراد الأسرة جميعا ، فبعد أن عرفنا شخصية كل منهم عن طريق تصرفاته جعل يحركهم عندما وقعت المحنة التى زلزلت أركان البيت ، وهى اختفاء نجم ، جعل يحرك مشاعرهم ويصف حركاتهم وفقا لطبيعتهم ، فالأخت البكاءة « أم دمعة » لا تنفك عن البكاء ، والأخت الجامدة تعبر عن التياعها لاختفاء أخيها بجمودها .. على طريقتها . وقد أفاض فى وصف المعالم الظاهرة والدقائق النفسية ، وهو فى كل ذلك يسير فى خطة القصة المؤدى الى نهايتها والمعرب عن عقدتها وهى تغير الأب من حال الى حال واستئناف الأسرة عهدا جديدا صار فيه الرجل الجافى انسانا رقيقا .

وتتمثل فى هذه القصة خصائص الشاب ، وأولاها نظرته الانسانية، فقد نقد الأب وصور حماقته نقدا وتصويرا بالغين ولكنه ما تخلى عن العطف عليه كانسان مسكين ضل سواء السبيل ثم اهتدى أو هدى اليه .

وثانية الخصائص دقة الرسم مع تجنب الفضول ، فقد عرفنا بكل شخصية من الشخصيات حتى كأنهم من معارفنا الأقدمين وحتى لأحسبنى ان ذهبت الى « الحلة » سأبحث فيها عن منزل ذلك القصاب وأسأله عن أفراد أسرته لأطمئن على حالهم جميعا وهو يفيض بالحديث عن أشياء كثيرة فلا يمل لأنك تشعر أنك فى طريقة القصة لم يعرج بك الى هنا أو هناك ، وفى خلال هذا الحديث تتجسم لك أصالة الكاتب فى تصوير البيئة ، وفى اجراء الكلام على ألسنة الأشخاص بما يناسب حالهم ،

فالجزار مثلا يشبه زوجته بالنعجة ، وابنه بالخروف ، وأبناء هذه الأيام بالجاموس الهائج ٠

وثالثة الخصائص التى ألمحها فى قصص شاكر خصباك هى النقد الاجتماعى فليست واقعيته من قبيل « التصوير الفوتوغرافى » وانما هو ينظر الى ما وراء الظواهر لينفذ الى الحقائق ويلقى الضوء على ما يعترضه من مظاهر الحياة الانسانية ، وفى كثير من قصصه أهداف بعيدة ، كقصة « أغلال » التى يثير فيها قضية حب بين حمال واحدى طالبات المدارس ، فيصور الفارق الاجتماعى بينهما عائقا ظالما ، أليس للحمال قلب كغيره من الناس ٠

وأنت بعد كل ذلك تحس روح القصاص العذبة وظله الخفيف وطلاوته التى تأسرك وتشوقك الى النهاية ، على رغم ابتعاده عن الاغراب وافتعال المفاجآت ٠

وقبل أن أنظر الى (الكفة الثانية) أحب أن أهنىء عالم الأدب العربى الحديث بهذا الشاب الذى يرجى أن يكون فيه من أعلام القصة المبرزين ٠

وهاك ما أراه من محتويات (الكفة الثانية) :

١ ـ لاحظت فى بعض القصص اهتمامه بما يشبه التعليق على النهاية أو الزيادة على النهاية بما لا داعى اليه وأحيانا تفسد الزيادة الموقف ، وذلك كما فى قصة « الرهان » و « قلب كبير » فقد عنى فيهما بالتعبير عن ألمه بعد الخاتمة التى كان يحسن السكوت عليها ، والحالة النفسية مفهومة وينبغى أن يدع القارىء يدركها من طبيعة الموقف ، وفى قصة « بدور بنت عمى » كانت نهايتها مصرع الفتاة التى أثارت حنقه وغيرته ، وكان يحسن صنعا لو أنه ترك القارىء يفكر فى هذا المصرع وكيف وقع ، ولكنه راح يتساءل : هل اختل توازنها أو أنه دفعها بيده ؟ فأفسد الموقف احتمال دفعه اياها أى قتلها ٠ وفى رأيى أن القصاص غير مسئول عما يحدث بعد أن يعرض صفحة معينة من الحياة هى التى انفعل بها وتعلق بها موضوعه ، فليس مطالبا بأن يجعل الأبطال يعيشون فى (التبات والنبات) ويخلفون صبيانا وبنات ، أو يلحق بهم مفرق الأحباب وهادم اللذات ٠٠٠

٢ ـ لاحظت فى بعض القصص مجانبة لمنطق الواقع ، ففى قصة « الدخيل » سكن غرفة فى شقة تسكنها أرمل توفى زوجها منذ شهر ، اسمها « ثريا » فلم يمض الأسبوع الأول حتى تأبط ذراع الحزينة على زوجها المخلص ـ وقضيا المساء فى قهوة بمصر الجديدة ، وبعد أسبوع

آخر ذهبا الى السينما ، فلو فرضنا انها « استلطفته » بهذه السرعة استلطافا أذهب الحزن من قلبها بهذه السرعة أيضا ، فما كان من اللائق أن تتحرج قليلا فلا تخرج معه الى القهوة والسينما وهو متأبط ذراعها أمام الناس فى الشهر الثانى لوفاة زوجها الذى تنطق حوادث القصة بحزنها عليه ؟ كل ذلك واسمها « ثريا » لا « مرجريت » ولا « راشيل » ·

٣ ـ أسلوب شاكر خصباك عذب حى والحوار فيه طبيعى جميل ، وهو يستكمل بذلك أدوات القصصى الفنان · ولكن ·· وليس قليلا ما بعد « لكن » تعوزه السلامة اللغوية والنحوية فى كثير من المواطن ، ومن أمثلة ذلك استعماله الامتنان بمعنى الشكر فى قوله (ص ١١٠) : « والحق أننى عظيم الامتنان لذلك الطفل » والخطأ النحوى ظاهر فى قوله (ص ١١١) : « لم أكن بأحسن حال منها » وهو يستعمل حيث للتعليل فى قوله (ص ١١٤) : « وكذلك يفقد الموقد الذى حفرته فى احدى زوايا الغرفة صلاحيته للعمل حيث يمتلىء بالماء » ويقول : «احدى المستشفيات » فى (ص ١٣٥) بدل « أحد المستشفيات » · ويقول : « الأشياء المفقودة التى يعثر بها » فى (ص ١٤٤) بدل « يعثر عليها » ·

وانى كاسف لهذا النقص فى كتابة صديقى شاكر خصباك ، وتدفعنى الغيرة عليه وعلى مواهبه الممتازة الى ابدائها ، وأدعوه الى أن يتألم من هذا الذى أكتبه ، كى يعمل على تمام ذلك النقص وهو من القادرين على التمام ·

الرسالة ـ ١٩٥١/٨/٢٧

فهرس

كتب للمؤلف

(أ) دراسات :

١ ـ غرام الأدباء	سلسلة اقرأ (دار المعارف)	١٩٥٦
٢ ـ أدباؤنا فى طفولتهم	المكتبة الثقافية (الدار القومية)	١٩٦٠
٣ ـ كتاب معاصرون	دار الكرنك	١٩٦٢
٤ ـ قصص أعجبتنى	سلسلة الألف كتاب	١٩٦٤
٥ ـ كتب فى الميزان	دار الكتاب العربى	١٩٦٥
٦ ـ محمد تيمور : حياته وأدبه	دار الكتاب العربى	١٩٦٦
٧ ـ الواقعية فى الأدب	وزارة الارشاد بالعراق	١٩٦٨
٨ ـ القصة القصيرة فى مصر	دار الكتاب العربى	١٩٦٨
٩ ـ أدب المقاومة	المكتبة الثقافية	١٩٧٠
١٠ ـ الأدب والمواطن	سلسلة كتابى (دار المعارف)	١٩٨٢

(ب) قصص قصيرة :

١ ـ الست علية الكتاب الذهبى	(روز اليوسف)	١٩٥٨
٢ ـ مديحة الكتاب الماسى	(الدار القومية)	١٩٦٦
٣ ـ العجوز والحب	هيئة الكتاب	١٩٧٦
٤ ـ حواديت عربية (جزءان)		
الجزء الأول ـ الطير الحذارى		١٩٥٥
الجزء الثانى ـ أم السعد		١٩٦٠

(ج) روايات :

١ ـ حمزة العرب	دار الكتاب العربى	١٩٥٣
٢ ـ الصحصاح	روايات الهلال	١٩٦٧
٣ ـ ذات الهمة	توزيع مكتبة الكيلانى	١٩٧٠
٤ ـ الفارس الأسود	هيئة الكتاب	١٩٧٤

(د) ذكريات :

١ ـ خطى مشيناها	سلسلة اقرأ (دار المعارف)	١٩٧٨
٢ ـ هؤلاء عرفتهم	سلسلة اقرأ (دار المعارف)	١٩٨٣

مطابع الهيئة العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٦/٢٠٨٨

ISBN — ٩٧٧ — ٠١ — ٠٩١٠ — ×







ستظل القراءة هى المظلة الرئيسية للبناء الروحى والفكرى والوجدانى للإنسان، والثقافة هى بكل المقاييس أفضل استثمار لبناء مجتمع المستقبل و«ثقافة السلام» هى الضمان الأكيد لإرساء دعائم الأمن والسلام الاجتماعى، والتسامح ومكافحة العنف، ونشر العلم والمحبة والإخاء والديمقراطية، والتواصل مع الحضارات الأخرى.



